السبت 27 آيار 2023
العدد 4923 السنة السابعة عشرة
Samedi 27 Mai 2023 no 4923 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

تحيّات تأخرت لـ «السيد الرئيس»

جنبلاط ينأى بنفسه: من الورقة البيضاء إلى التنحّي [3]

القوات: على باسيل ترشيح أزعور أولاً [2]

اطلب القوس مع الأخبار

تركيا
إردوغان رئيساً... إلا إذا

[8 ـ 9]

إذ يبدو بحسب المنطق والمعطيات، أن أردوغان سيتوّج بعد ساعات رئيساً لتركيا بحوالى 52٪ من الأصوات. فإن ذلك لا يغلق الباب على إمكانية حصول معجزة يتحقّق من خلالها حلم كيليتشدار اوغلو (أ ف ب)

قضية

الصين - آسيا الوسطى
لنا عالمنا وللغرب عالمه

10

رأي

نضالات أنيس النقاش
تأريخ مراحل مقاومة

6

البلاد

مقابلة

نكوسي مانديلا
لدعم فلسطين «بالأفعال»

[12]

«ثأر الأحرار»
في حسابات المعركة ونتائجها

[13]

المشهد السياسي

باريس تتمسك بفرنجية وتطالب معارضيه بمرشح

القوات تدعو باسيل إلى إعلان تأييد أزعور

نشطت في اليومين الماضيين المشاورات السياسية الداخلية المتعلقة بالملف الرئاسي، على أن تكتمل صورتها مع الزيارة المفصلية للبطريرك الماروني بشارة الراعي إلى باريس في الثاني من حزيران المقبل، ولقائه الرئيس إيمانويل ماكرون وطاقمه المكلف ملف لبنان. النشاط المستجدّ جاء تحت ضغوط قوية من بعض العواصم المعنية لدفع معارضي المرشح سليمان فرنجية إلى الاتفاق على مرشح منافس له، وأعاد إلى دائرة المشاورات اسم الوزير السابق جهاد أزعور الذي عاد إلى لبنان أخيراً.

وأوضحت مصادر متابعة لـ «الأخبار» أن الأيام الماضية شهدت تجدّد الاتصالات بين التيار وقوى المعارضة، جرى خلالها «توضيح المواقف وسوء التفاهم الذي أدى وقف المشاورات أخيراً»، وتم الاتفاق على استئنافها من حيث انتهت،

مساع لاتفاق قبل زيارة الراعي لباريس وداعمو فرنجية يشيرون إلى «تقدم سعودي»

عند اسم أزعور. وأشارت إلى أن بيان التيار على مواقع التواصل الاجتماعي أمس، يشير إلى السقف الذي وصلت إليه عملية التفاوض بدقة، وأن إشارته إلى «الإيجابية في الحوار مع الكتل المعارضة» وإلى «توافق على الأسماء سيسري قريباً على المقاربة والبرنامج»، صحيحة تماماً. لكنها توقفت عند الإشارة إلى «توافق على الأسماء»، في ما يبدو وكأنه «تقصّد بعدم الإشارة إلى وجود اسم واحد»، لافتة إلى أن رئيس حزب الكتائب سامي الجميل الذي يتولى الوساطة أصبحت لديه مواقف أكثر وضوحاً وحسماً في ما يتعلق باسم أزعور الذي يبدو الأكثر قبولاً من كل هذه القوى.

وفي هذا السياق، أوضحت المصادر أن القوات اللبنانية تبلغت قبل يومين بأن باسيل حسم موقفه، بتأييد ترشيح أزعور، وأن القوات أبلغت، من جهتها، الوسيط الكتائبي استعدادها للسير بأزعور شرط أن يعلن باسيل موقفه أولاً، وأن يضمن التزام كل أعضاء تكتله النيابي بتأييده، وأن يسحب فكرة الحصول على موافقة ثنائي أمل وحزب الله.

هذا التطور جاء نتيجة خلاصات عاد بها باسيل من جولته في إيطاليا وفرنسا حيث التقى مسؤولين في البلدين، وسمع من المستشار الرئاسي الفرنسي باتريك دوريل أن باريس لا تزال تدعم فكرة التسوية التي تحمل فرنجية إلى قصر بعبدا مقابل نواف سلام إلى السراي الكبير، وأن الفرنسيين حتى اللحظة لا يشعرون بوجود مرشح جدي غير فرنجية.

وبعدما عرض باسيل وجهة نظره من ترشيح فرنجية ومن مسألة النصاب والتوافق الرئاسي، أكد أن هناك محادثات جدية للتفاهم على مرشح آخر، وأن هذا الأمر سيكون قابلاً للتحقق في وقت قريب. وسمع في المقابل رغبة فرنسية بإنجاز الاستحقاق الرئاسي قريباً، وأنه في حال تعذر التوافق على مرشح آخر، فإن فرنجية هو صاحب الحظ الأوفر، وعلى معارضيه تقديم مرشحهم، ما يسمح بانعقاد المجلس النيابي، وبما يضمن حصول جلسة الانتخاب بمعزل عن النتائج.

وفي ما يتعلق بالتباين داخل تكتل لبنان القوي، قالت مصادر إن الأمر يعود إلى نقاش سابق لم يُحسم حول ترشح عضو من التكتل بعدما أبلغ باسيل النواب أنه غير مرشح. إذ طرح عدد من النواب، يتقدمهم الياس بو صعب والان عون وأسعد درغام، ترشيح النائب إبراهيم كنعان باسم التكتل، باعتبار أن ذلك لن يكون مستفزاً للفريق المسيحي. إذ سبق أن أعطى البطريرك موافقة على ترشيح كنعان، كما هناك إشارات إلى أن القوات لا تعارض ترشيحه، وإن كانت لم تؤيده. كما أن كنعان، بحسب أصحاب الطرح، تربطه علاقات جيدة مع ثنائي أمل وحزب الله ومع غيرهما، ولا يعتبر ترشيحه مستفزاً لهذا الفريق.

وفيما يبدو أصحاب هذا الطرح غير مؤيدين لترشيح أزعور لأسباب مختلفة، فإن باسيل يفضل أزعور على كنعان، من منطلق البحث عن مرشح من خارج الكتل النيابية والحزبية، وقدرة أزعور على وضع برنامج عمل بالتعاون مع كل القوى. ونقل قياديون في التيار الوطني عن أزعور أنه لا يريد مواجهة مع أحد، لكنه لا يعتبر ترشيحه من قبل عدد وازن من النواب تحدياً لأحد.

أما في ما يتعلق بموقف رئيس الحزب التقدمي وليد جنبلاط، فتشير مصادر مطلعة إلى مناخات سلبية تحيط به، وإلى رغبته «الشخصية» بعدم الدخول في الملف الرئاسي في ظل الانقسام. وتفضيله التصويت بورقة بيضاء على الدخول طرفاً في ما يحصل. وقال جنبلاط لزواره إنه لا يجد ما يبرر له التصويت لمصلحة فرنجية، علماً أن الرئيس نبيه بري يراهن على عودة الزعيم الدرزي إلى فكرة توزيع أصوات كتلة اللقاء الديموقراطي بين المرشحين المتنافسين.

وعلى ضفة «التغييريين»، لا يزال الانقسام سيد الموقف، إذ يؤيد البعض السير بأزعور، بينما يدعو فريق آخر إلى ترشيح شخصية لا ترتبط بتحالف مع القوات أو التيار. في المقابل، لا يزال الفريق الداعم لفرنجية يعتبر بأن «ما يقوم به باسيل ليس سوى مناورة للضغط على الثنائي، وأنه غير قادر على صياغة اتفاق مع القوات لغياب الثقة بينهما». ورغم ذلك، فإن الاتفاق لو حصل، تقول المصادر، سيكون «باسيل أول الخاسرين فيه وهو يدرك ذلك تماماً». وكشفت عن «اتصالات جديدة تتولاها شخصية فرنسية رفيعة مع السعوديين في ما يتعلق بفرنجية وقد حققت اتصالاتها تقدماً كبيراً»، مشيرة أن «لا مشكلة في ما يتعلق بالأصوات المطلوبة لانتخابه، لأننا في مرحلة انتقال سعودي من اللافيتو على فرنجية إلى الدعم المباشر الذي سيترجم بالطلب من النواب الذين تمون عليهم الرياض التصويت لمصلحته».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

جنبلاط من الورقة البيضاء إلى التنحّي

ليس معروفاً تعلّق وليد جنبلاط، ككمال جنبلاط، بالأديان القديمة والروحانيات والصوفية التي كتب عنها الأب الكثير. إلا أن الموقف المقتضب باسطره القليلة بإعلان استقالته من حزب هو ثاني رئيس له منذ تأسيسه قبل 74 عاماً. أقرب ما يطابق العبارة المأثورة لأحد أكبر شيوخ الصوفية، النفري، بقوله: «كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة»

نقولا ناصيف

الأسطر القليلة في استقالة وليد جنبلاط من الحزب التقدمي الاشتراكي، الخميس الفائت، أخفت ما لم يقله بعد إلى الآن، أو قال بعضه. بيد أن «الرؤية» التي يكتمها، وحاول اختصارها في «العبارة»، حملته على خطوة نادراً ما أقدم مؤسسون تاريخيون أو قادة تاريخيون لأحزاب لبنانية تاريخية ارتبطت بطوائفها وأضحت قائدتها كلها أو قائدة جزء منها كالأحزاب المسيحية القديمة والمتواصلة، على خطوة كالتي فعلها الزعيم الدرزي.

في الغالب، وحده الموت يحمل هؤلاء على التنحي. الحالات القليلة المعروفة بالاعتزال على الحياة استقالة الرئيس كميل شمعون من رئاسة حزب الوطنيين الأحرار عام 1985 كي يخلفه نجله داني، واستقالة الرئيس أمين الجميّل من رئاسة حزب الكتائب عام 2015 كي يخلفه نجله سامي. ثالثهما جنبلاط المستقيل من حزبه قبل يومين كي يخلفه نجله تيمور. الثابت في تقاليد الأحزاب المماثلة المرتبطة بالمؤسس والزعيم والقائد أنها تكتب له المنصب حتى الرمق الأخير.

حتى الأمس، يصح القول في جنبلاط إنه أكبر المعمّرين في منصبه في الأحزاب الرئيسية الحالية النافذة، المتشابهة المواصفات والالتصاق بالطائفة، رئيساً للحزب التقدمي الاشتراكي منذ 46 عاماً. بعده الرئيس نبيه بري في رئاسة حركة أمل منذ 43 عاماً. بعده سمير جعجع على رأس القوات اللبنانية، ميليشيات ثم حزباً، منذ 37 عاماً. بعده الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله منذ 31 عاماً. أما الآباء الأوائل لهؤلاء جميعاً فغابوا أو غُيّبوا وهم في المنصب، وأضحوا في ضرائحهم مرجعية خلفائهم: كمال جنبلاط والرئيس بشير الجميّل اغتيالاً، بيار الجميّل وكميل شمعون وريمون إده تقدماً في السن، الإمام موسى الصدر تغييباً.

في 19 آذار 2017، في ذكرى كمال جنبلاط، ألبس الابن الحفيد عباءة البيت دونما أن تشمل الزعامة والدور اللذين ظلا في كنف وليد جنبلاط حتى الخميس الفائت. حدث ذلك قبلاً أن كان الابن كمال نائباً ووزيراً ورئيساً للحزب في كنف والده، «الست نظيرة»، زعيمة البيت والطائفة والمنطقة حتى وفاتها عام 1951.

أما مغزى القرار المفاجئ باستقالة جنبلاط، وكان لمّح إليها للمرة الأولى عشية إعلانه في 2 آب 2009 على إثر الانتخابات النيابية العامة مغادرة قوى 14 آذار نهائياً دونما الانضواء في قوى 8 آذار، فيكمن في أنه لا يختم بالضرورة حقبة كي تبدأ أخرى.

بضع ملاحظات تحتّم استمهال الأحكام المسبقة:

أولها، مع أن جنبلاط أعلن تنحيه من رئاسة الحزب وعضوية مجلس القيادة ودعا إلى مؤتمر عام في 25 حزيران، إلا أن القرار النهائي في بت الاستقالة يعود إلى المؤتمر العام الذي يقرر قبولها ويدعو إلى انتخاب خلف له هو نجله تيمور، أو يرفضها ويطلب إلى رئيس الحزب المستقيل البقاء في منصبه. الموحى به إلى الآن أن استقالته نهائية، بعدما تحدث في المقابلة التلفزيونية الأخيرة عن رغبته في انتقال مسؤولياته إلى ابنه وطلبه الراحة والاستراحة. مع ذلك القرار النهائي في المؤتمر العام.

ثانيها، ليس تحديد موعد المؤتمر العام بعد شهر من الآن بلا دلالة. تالياً بين قرار التنحي وقرار المؤتمر العام، ثمة فاصل حرج يتحدث عنه الجميع تقريباً: ما قد يقع في الداخل حتى الوصول إلى هذا الموعد سواء حيال انتخاب رئيس للجمهورية أو التطورات الإقليمية من الخليج وصولاً إلى سوريا وترددّاتها في لبنان. في ضوء الفترة الحرجة المتوقعة هذه، اختار جنبلاط أن يكون خارج المشهد اللبناني برمّته، فلا يسأل ولا يُسأل، ويضع حداً للتكهنات التي تدور من حول موقفه من الاستحقاقين الأخيرين الأكثر التصاقاً بلبنان في الوقت الحاضر: انتخاب الرئيس وعودة سوريا إلى المعادلتين العربية واللبنانية.

ثالثها، ليس خافياً أو مضمراً وجود فريق في حزب جنبلاط وكتلته باتوا يُسمَّون صقوراً، على رأسهم ابنه تيمور والنائبان مروان حمادة ووائل أبو فاعور، يرفضون الذهاب إلى انتخاب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية. هو أيضاً موقف جنبلاط الأب قبلهم وأول من جهر به. بيد أن المشكلة تقيم في علاقته بالرئيس نبيه بري المحسوب أنه أكثر من يمون عليه، والأقدر على استقطابه وجذبه إلى حيث لا يريد الذهاب إليه، وهو التصويت لمرشح الثنائي الشيعي. من يسمع جنبلاط معبّراً بالحجج التي يدلي بها عن رفضه انتخاب فرنجية

> **رغم استقالته، الكلمة الأخيرة في تنحيه أو بقائه للمؤتمر العام للحزب**

يتيقن من أنه اتخذ قراراً نهائياً وقاطعاً. مع ذلك تظل علاقة التحالف الوطيدة غير المستغنى عنها مع بري وزراً ثقيلاً لا يعفيه منه سوى إخراج نفسه من واجهة الحدث والأفرقاء الآخرين كلياً.

رابعها، الواضح كذلك أن جنبلاط الأب لا يرغب في أن يورث إلى جنبلاط الابن كمّاً من الخصومات والعداوات تنكّبها منذ عام 2005، لعل أكثرها وطأة عندما عادى سوريا ثم صالحها ثم عاداها، ولم يعد الآن يريد العودة إليها. إلا أنه لا يود أيضاً أن يورث خلفه هذا العبء المكلف. يوم لبس عباءة زعامة البيت والطائفة في نهار تشييع والده، لم يرث منه وزر عدائه مع الرئيس حافظ الأسد، ما حمله في أربعين اغتيال اتهمت به سوريا على الاجتماع برئيسها في أيار 1977 كان شيئاً لم يحدث قبله. ليس مستبعداً أو بعيد المنال استعادة هذه الواقعة ما يشبهها في ظروف مختلفة ما دامت المختارة تشعر باستمرار أنها معنية بالدروز العرب، لا سيما منهم دروز سوريا.

خامسها، وهذه تنطوي بدورها على أهمية بالغة عند جنبلاط، حينما سمع منه زواره قبل مدة يقول إن خلافه مع المسيحيين في ما مضى هو على الجبل ومرجعيته وتوازن القوى فيه، وليس خلافاً على وجودهم ودورهم في لبنان. يحتاج إليهم في الوجود والدور في لبنان في مرحلة تشعره بالقلق من فائض القوة الشيعي من جهة والزحف الشيعي إلى جبل لبنان من جهة أخرى. في صلب إصراره على التريث وعدم الانضواء في أي فريق، مع تمسكه بما يقبل به وما يرفضه كانتخاب فرنجية، أنه لا يستطيع الذهاب إلى انتخاب رئيس بلا المكوّنين المسيحيين الرئيسيين أو أحدهما على الأقل. مشاركة هذا الفريق الأساسي والمعني الأول بالمنصب هي التي تنشئ التوازن السياسي في الاستحقاق لئلا ينتهي المال بالنموذج المعروف: أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

ليست الاستقالة، في أبسط تعريف آتي، سوى الوجه الآخر للورقة البيضاء التي لوّح أخيراً باستخدامها في انتخاب رئيس الجمهورية.

أخرج جنبلاط نفسه من واجهة الحدث في الشهر الحرج (هيثم الموسوي)

تقرير

رأس سلامة لواشنطن «أثمن» من أن يُترك للفرنسيين

غسان سعود

رغم التقدم الذي يحرزه القضاء الأوروبي في ملاحقة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، وتدحرج الكرة القضائية من فرنسا إلى ألمانيا، تتعامل جهات سياسية عليا بحذر شديد مع هذا المسار، قناعةً منها بأن كل ما يجري حتى اليوم يمثل سباقاً قانونياً - مالياً - قضائياً لا يمكن للقرار السياسي الفرنسي أن يؤثر فيه، وأنه «عند الجدّ»، يمكن للسياسة أن تحدث انقلاباً كاملاً في المشهد لمصلحة سلامة نفسه.

كان الفرنسيون، ولا يزالون، ضنينين بقطع الطريق أمام التجديد للحاكم، لاستبداله بأحد المقربين منهم، وهو ما يبدو أنه بات محسوماً. أما المضي في الملف فيعني تجاوز هذا الهدف نحو أهداف أخرى غير موجودة على الأجندة الأوروبية، كالاضطرار إلى محاسبة شركاء سلامة في الداخل اللبناني والخارج، ومسؤولين في النظام المالي الأوروبي سمحوا لسلامة وشركائه بفعل كل ما فعلوه. ولا بدّ، بالتالي، من وضع حدود منطقية للاندفاعة القضائية الفرنسية، إلا إذا كان هناك من يؤمن فعلاً بالاستقلالية القضائية الأوروبية المطلقة. علماً أن «الحاكمية» واحدة من أهم الاستثمارات الأميركية في لبنان، وتتجاوز في أهميتها، في هذه المرحلة تحديداً، الاستثمارات الأميركية الأخرى في قيادة الجيش وغيرها. ففي ظل محاولات واشنطن المتواصلة لمحاصرة حزب الله مالياً، لعبت الحاكمية، لسنوات، دوراً مركزياً وكبيراً في كشف حسابات اللبنانيين والتحويلات والداتا المالية كاملة. وإذا كانت قروض الحاكم وقدراته المالية حجر زاوية في المشروع الإعلامي الأميركي في البلد، فإن دور الحاكمية كان كبيراً جداً في مأسسة الضغوطات وتنظيم التلاعب بمزاج الرأي العام، عبر الدواء تارة والمشتقات النفطية طوراً وأيضاً عبر صرف الرواتب على منصة «صيرفة». كل هذا يدفع إلى الاعتقاد بأن تنازل الأميركيين للفرنسيين، أو غيرهم، عن هذه «الأداة» أمر مستغرب ومستبعد.

ووفق مصدر دبلوماسي موثوق، فإن الرئاسة الفرنسية تكرر في كل مرة خلطها بين الواقع والخيال، تحت ضغط الماضي الاستعماري، معتقدة أن في وسعها الحصول على موطئ نفوذ هنا أو هناك، لمجرد أنها تريد ذلك، من دون أخذ الجهد الأميركي المتواصل منذ عقود لتثبيت هذه المكتسبات، وأيضاً من دون الأخذ في الاعتبار أن مرونة باريس مع حزب الله تضاعف التشدد الأميركي. إذ لا يمكن أن تسلّم واشنطن بخسارة واحد من مكتسباتها الأساسية في البلد من دون أن تخوض معركة سياسية كبيرة، أو تحصل على مقابل سياسي أو أمني.

(أرشيف ـ بلال جاويش)

> **تنازل واشنطن لباريس أو غيرها عن الحاكمية أمر مستغرب ومستبعد**

في مقابل هذا الموقف الأميركي من الطموحات الفرنسية المالية المركزية في البلد، فإن ما ينقل عن السعوديين بشأن رئاسة مجلس الوزراء يكاد يكون هو نفسه. إذ يشير دبلوماسي عربي في بيروت إلى أن الملاحظات السعودية بشأن المبادرة الفرنسية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمرشح سليمان فرنجية، وإنما بموقع السعودية في هذه التسوية. إذ يراد منها تأمين غطاء سياسي - اقتصادي - مالي لمرحلة مقبلة يكون للحزب فيها رئاستا الجمهورية ومجلس النواب وللفرنسيين رئاسة مجلس الوزراء والحكومة والحاكمية والمرفأ والغاز، ولأميركيين سفارتهم والمؤسسات الأمنية ومجتمعهم المدني، وللرياض قصائد الغزل والمديح. وهذا ما يفترض أن يدفع كل الأفرقاء المعنيين بالحصول على الغطاء السعودي إلى السؤال فعلاً عما ينوون تقديمه لها في المقابل، في ظل الإصرار الإيراني على فصل الساحات في ما يخص التسويات ورفض مبدأ المقايضة بين أي من اليمن والبحرين والعراق وسوريا ولبنان. مع تأكيد المصدر الدبلوماسي المطلع يؤكد أن حلفاء إيران في المنطقة خرجوا من القمة العربية بانطباع واضح أن المملكة ليست في وارد توزيع الهدايا، بعد تيقن السوريون قبل هؤلاء جميعاً بأن مسار العودة الخليجية حذر وبطيء، ما يدفع الرئيس السوري بشار الأسد إلى التعويل أكثر على الدور الإيراني في إعادة إعمار البنية التحتية في عز التصالح مع السعودية.

تقرير

المؤبد لنعيم عباس وناقل الانتحاريين... و10 سنوات لحبلص

العسكرية تغلق ملف أحداث بحنين

لينا فخر الدين

بعد ثماني سنوات، أقفلت المحكمة العسكرية أمس ملف أحداث طرابلس التي ذهب ضحيتها ضباط وعسكريون في الجيش عام 2014، وأحداث بحنين التي قتل فيها عدد من الضباط، وأصدرت حكما بالسجن 10 سنوات على الشيخ خالد حبلص وبين ستة أشهر وسنة على بقية المدعى عليهم في الملف الأول، وخمس سنوات على حبلص والموقوف علاء الطيبة في الملف الثاني. أما باقي المدعى عليهم فتوزّعت أحكامهم بغالبيتها على 3 سنوات باستثناء مجد الأحمد الذي حُكم بالبراءة. فيما حكم بالمؤبد على أسامة بخاش والإعدام لمحمد نقوزي و5 سنوات للعريف حسين عياص بجرم المشاركة في المعارك التي أودت بحياة ضابطين.

> نعيم عباس: علاقتي بالمجموعات الإرهابيّة «جيّدة»!

كذلك أصدرت المحكمة حكماً بالمؤبد على المسؤول عن معظم تفجيرات الضاحية الجنوبية في العقد الماضي نعيم عباس وناقل الانتحاريين عمر الأطرش بجرم المشاركة في تفجيرين ضد حاجزين للجيش في صيدا عام 2013، وأنزلت عقوبة الإعدام بعمر صالح، وقررت كف التعقبات عن الموقوف وسام نعيم.

وكان الشيخ خالد المحمّد المقلّب بخالد حبلص «نجم» المحكمة العسكرية أمس، اكثر من ساعتين ونصف ساعة خُصّصت لأربع جلسات تمّ الاستماع إلى إفادته فيها، وإفادات بقية المدّعى عليهم ومرافعات ختاميّة لوكلاء الدّفاع.

أعاد حبلص على مسمع رئيس المحكمة العسكريّة الدائمة العقيد خليل جابر ما يكرّره منذ توقيفه في نيسان 2015 بأنه لم يدعُ إلى قتال الجيش في بلدة بحنين ولم يعتقد يوماً الفكر المتشدّد أو يتقرّب من التنظيمات التكفيريّة. إلا أن إمام مسجد بحنين لم ينكر أنّ فرضيّة تحريضه على الجيش «فيها شيء من الحقيقة». وعاد حبلص إلى الأجواء السياسيّة التي تلت 7 أيّار واندلاع «الثورة السوريّة» وما كان يُحكى عن «مشروع إيراني فارسي»، وسياسة «الكيل بمكيالين» مع المقاتلين الذين كانوا يتوجّهون إلى سوريا، كل هذه الأحداث «جرفته» في تيّارها وأوصلته إلى انتقاد «الدولة التي صارت رهينة بيد حزب الله». لكنه اعتبر أنّ ما قاله جاء أيضاً على لسان غالبيّة المرجعيات السياسيّة والدينيّة التي تُطلق على نفسها صفة «المعتدلة»، مذكّراً بأن وزير العدل في حينه (النائب الحالي أشرف ريفي من دون أن يسميه)، «قال عندما دخل الجيش إلى أزقّة طرابلس لتنفيذ الخطّة الأمنيّة، بأنّ طرابلس باتت محتلّة من قبل الجيش». لكنه نفى أن يكون دعا إلى قتال الجيش، بل «كنتُ أريد التصويب على بعض الأخطاء التي كان يرتكبها ضباط وعسكريون»، مشيراً إلى أنّ «علاقتي مع قادة الأجهزة الأمنية ممتازة».

ونفى أن يكون قد دعا إلى انشقاق العسكريين السنّة، «إلا أنني كنتُ أدعو إلى معالجة الأمور»، كما نفى أي تواصل له مع «داعش» أو «جبهة النصرة». وبعد هذه المراجعة، خلص إلى طلب «طي صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة»، معتبراً أنّ «أزمتي الكبرى» تكمن في إيواء الشيخ أحمد الأسير. وأكّد أنّ ذلك لم يكن بقرار شخصي منه، وإنّما «كان طلباً من هيئة علماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ سالم الرافعي»، لافتاً إلى أنّ الأخير طلب منه تأمين منزل للأسير وعائلته في بحنين من أجل «تمرير» الخطة الأمنية التي نفّذها الجيش في طرابلس. علماً أن اسم الرافعي ورد في الكثير من إفادات المدعى عليهم بقضايا الانتماء إلى التنظيمات الإرهابية، من دون أن يتم الاستماع إلى إفادته. وهذا ما ركّز عليه حبلص ومعه وكلاء الدّفاع عنه.

> نعيم عبّاس: «لا اكذب»

الموقوف نعيم محمود المعروف بـ«نعيم عبّاس» كان المُنازع الأوّل لحبلص في «العسكريّة» التي اختتمت جلساتها بملفاته الأربعة أمس. كعادته منذ توقيفه في شباط 2014، حضر المسؤول عن معظم التفجيرات الإرهابيّة التي وقعت في الضاحية الجنوبيّة بلباس رياضي، ووزّع تحياته وابتساماته على كلّ من في القاعة.

إلا أن ملامح القيادي السابق في «كتائب عبدالله عزّام» تغيّرت. إذ خسر الكثير من وزنه وغزا الشيب لحيته. «الصيد الأثمن» الذي وقع بيد الجيش منذ 9 سنوات خانته ذاكرته لكثرة القضايا التي يُلاحق بها والتي تتعدّى الـ18 ملفاً، فلم يتذكّر ما إذا كان مستجوباً في بعض الملفات، ما دفع بوكيل الدفاع عنه زينة المصري إلى التدخّل أكثر من مرة لتذكّره بتفاصيل الاستجوابات السابقة.

عبّاس، أجاب عندما ساله جابر عن علاقته بالمجموعات الإرهابيّة ضاحكاً: «الحمدلله كويسة». لكنّه أكد أن لا علاقة له بالاعتداءين على حاجزين عسكريين للجيش في صيدا (الأولي ومجدليون) عام 2013. ولفت إلى أنّ منفّذ العملية ونائل الانتحاريين بهاء السيّد زاره في منزله وربطه مع أحد قيادي «جبهة النصرة» في بيرود ويُدعى أبو حسن الفلسطيني، وأن الأخير طلب منه التوجّه إلى جامع الخاشقجي لنقل 3 أشخاص إلى صيدا، مؤكّداً «أنني لا أعرف التفاصيل ولا أسأل عنها. ولو أنني كنتُ متدخّلاً في هذه العملية لما قبلت بنقل الانتحاريين من دون أن أؤمن لهم هويات مزوّرة. أنا ما بشتغل هيك». ورأى أنّ ما حصل في صيدا في حينه كان «حادثاً عرضياً ولم يكن مخططاً استهداف الجيش». أما عمر الأطرش المتّهم بنقل الانتحاريين فقد «ضرب» القضيّة بأكملها حينما تراجع عن إفادته الأوليّة التي تتركّز على علاقته بعباس الذي كلّفه بنقل الأسلحة والسيارات المفخّخة من سوريا إلى لبنان، مشيراً إلى أنّه نقل عمر صالح الملقّب بـ«أبو فاروق» وانتحاريين آخرين نفذا عمليتي صيدا من دون أن يعرف تفاصيل مهمتهما، بسبب الصداقة التي كانت تربطه بـ«أبو فاروق»، لافتاً إلى أنّه يُهرّب الأسلحة والأشخاص من وإلى سوريا، ولكنه لم يقم بإدخال انتحاريين أو سيارات مفخّخة.

كما أنكر الموقوف والقيادي السابق في «كتائب عبدالله عزّام» الفلسطيني وسام نعيم أي علاقة له بالملف، خصوصاً أنّه كان موقوفاً في سجن وزارة الدّفاع في حينه.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

جورج نادر و«رفيف السلاح»

كسر رئيس المحكمة العسكريّة العقيد خليل جابر القواعد المُتعارف عليها في المحكمة العسكريّة. «رفقة السلاح» غلبت عليه، حينما وقف أمامه العميد المتقاعد جورج نادر والعسكري المتقاعد يوسف الفليطي بجرم «ارتداء سراويل مرقطة وقبعات عسكريّة وألبسة عليها شعار الجيش». وبدل من أن يستمع جابر لوكيل الدّفاع عن العسكريين المتقاعدين، سحب ورقةً مكتوبة من جيبه ليتولّى الدّفاع عن المدّعى عليهما، إذ قال: «أنتم جزء من تاريخ هذه المؤسسة الوطنيّة، ونحن اليوم إن حاكمناكم نكون حاكمنا أنفسنا وتاريخنا. فأنتم وكل المتقاعدين وسام شرف تزهو بكم البزّة العسكريّة». وتوجّه إلى نادر بالقول: «إذا كانت النيابة العامة قد أحالتك أمامنا فأنت في قلوبنا».

كلام جابر الدّاعم للعسكريين المتقاعدين دفع الحاضرين داخل المحكمة إلى التصفيق. بعد أن طلب فصل ملف نادر والفليطي عن ملف أربعة آخرين لإبلاغهم لصقاً. وبالتوازي، سجلت إجراءات أمنية خارج مقر المحكمة بسبب تجمع للعسكريين المتقاعدين دعماً لنادر وفليطي.

أخبار

الجيش «يُعاقب» عقيقي سحب المرافقين والسيارات!

الخلاف بين مفوّض الحكومة في المحكمة العسكريّة القاضي فادي عقيقي ومديريّة المخابرات في الجيش، وصل إلى حدودٍ غير مسبوقة في العلاقة بين المخابرات والقضاء العسكري، على خلفيّة توقيف المديريّة أشخاصاً من دون مراجعة القضاء المختص.

وبدل أن تنصاع المديريّة لتحفّظات عقيقي، قرّرت أنّ تعتبرها في حكم غير الموجودة، إلى أن قرّر الأخير الادّعاء على رئيس قسم التحقيق في المديريّة العقيد براء عويدات، بجرم مخالفة القانون وحجز الحريّات، في عمليات توقيف كان هدفها في كثير من الأحيان تحصيل حقوق ماليّة لمقرّبين من ضبّاط في الجيش!

في المقابل، جاء ردّ المديريّة غريباً، إذ قررت «معاقبة» عقيقي بسحب مرافقيه والحماية الشخصيّة المواكبة له من المديرية، من سيارات وعسكريين، بل وأصدر عويدات أوامر إلى الضابطة العدليّة بمنع مخابرة النيابة العسكريّة ممثلةً بعقيقي!

ويشير متابعون إلى أنّ معنيين تدخّلوا للملمة الأمر، ما أدى إلى استئناف بعض العسكريين مخابرة عقيقي أخيراً، إلا أنّ المواكبة الأمنيّة له لم تعد إلى سابق عهدها.

فوج الإطفاء عاتب على المحافظ: أين أموال الزلزال؟

حال من الاستياء تسود فوج الإطفاء التابع لبلدية بيروت، بعد تمنّع محافظ العاصمة القاضي مروان عبّود عن تسديد نفقات المهمّة التي نفّذوا نحو 23 ضابطاً وعنصراً من الفوج، شاركوا في عمليات الإغاثة ورفع الأنقاض إثر الزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا في 6 شباط الماضي، علماً أنّ كلاً من هؤلاء أنفق أكثر من 200 دولار خلال تنفيذ مهمته.

وكانت بلدية بيروت قد أشارت رداً على كتاب رسمي لقائد الفوج العقيد ماهر العجوز للاستفسار عن دفع الأموال إلى أن لا صلاحية لها بصرف الأموال باعتبار أنّ الفوج تابع للمحافظ.

وكان الفوج أرسل 11 ضابطاً وعنصراً إلى سوريا و12 إلى تركيا للمشاركة في عمليات رفع الأنقاض وإغاثة لبنانيين عالقين تحت الأنقاض، على أن يُصرف لهم بدل مادي باعتبار هذه المهمّة خارجية. وخلال الأشهر الثلاثة الماضية، وُعدوا بـ 30 مليون ليرة لكلّ عنصر، من دون أن يُصرف منها شيء حتى اليوم.

(الأخبار)

تقرير

شحّ الطوابع يؤخر طلبات الترشيح للامتحانات

فؤاد بزي

أكثر من 100 ألف تلميذ سيتقدّمون للشهادات الرّسمية هذه السّنة يعانون من مشكلة شحّ الطوابع المالية بكل فئاتها، ولا سيّما فئة الـ 1000 ليرة، إضافة إلى جيش ممّن يريدون إنجاز معاملاتهم. فيما لا تتوافر الطوابع سوى في السّوق السّوداء، حيث طابع الـ 1000 ليرة يُباع بـ100 ألف، والطوابع ذات الفئة الأعلى (5 أو 10 آلاف)، يتجاوز ثمنها الـ500 ألف للطابع. ويقع ضغط الطّلب الأكبر في هذه الفترة من السنة على طوابع الـ1000 ليرة مع اقتراب موعد الامتحانات الرّسمية، وفتح تعاونية موظفي الدولة باب طلبات المنح المدرسية، ما يضاعف الضغط على الدوائر التربوية في المناطق لإنجاز المعاملات.

يؤدي ذلك إلى تأخّر المدارس في الاستحصال على بطاقات ترشيح لتلامذتها بسبب «انقطاع الطوابع»، ما يؤثر على سير هذه العملية من كلّ الجهات، كإنجاز المعاملات الخاصة بـ«إخراجات القيد» الأساسية في الطلبات، واستكمال طلبات الترشيح. في الدوائر الرّسمية، «العرض قليل، والطلب كثير»، بحسب أستاذ يعمل على تخليص معاملات التلامذة الخاصة بالامتحانات الرّسمية. ويصف المعاناة لتحصيل الطوابع المطلوبة بـ«البهدلة»، إذ عليه «تأمين كلّ فئات الطوابع لطلبات الامتحانات، إضافة إلى الإحراج مع الأهالي عند استيفاء سعر الطابع بحسب السّوق السّوداء».

البديل موجود

بعد الاستفسار عن عدد التلامذة المرشّحين للشهادة الرّسمية هذه السّنة، يخلص مدير الخزينة في وزارة المالية إسكندر حلّاق إلى أن «لا قدرة للوزارة على تلبية هذه الكميات الكبيرة المطلوب طباعتها من طوابع الـ 1000». والحلّ، بحسب إسكندر، «بسيط»، إذ إن «وزارة التربية تمتلك آلات وسم المعاملات التي تحلّ محلّ الطوابع»، إضافة إلى «التعميم الرقم 2023/3 الصادر عن رئاسة الحكومة، والذي يسمح لكل الإدارات والمؤسسات العامة باستبدال لصق الطوابع بدفع القيمة المتوجبة على المعاملات في شركات تحويل الأموال أو المصارف»، ووفقاً للتعميم، يمكن دفع رسوم المعاملات بواسطة «النموذج ص 14»، على أن يرفق الإيصال، الذي يتحوّل إلى طابع مالي، مع المعاملة. ويعيد إسكندر عدم تنفيذ التعميم إلى «إضراب الموظفين،

> لا قدرة لوزارة المالية على تلبية الطلب الكبير

وبالتالي عدم تبلّغهم النص».

أحد متابعي المعاملات في دوائر وزارة التربية والمناطق التربوية، يصف الإصرار على استخدام الطوابع بـ«الروتين المتعب»، ويؤكد أن «التعميم كأنّه غير موجود. الآلات الوسم معطلة، ولا رابط بين الوزارات، والطوابع تطبع بكميات قليلة، وتباع عبر المعتمدين بمبالغ خياليّة».

تقرير

الطابع عملة نادرة في بعلبك ـ الهرمل

رامح حمية

الطوابع المالية في محافظة بعلبك الهرمل «مفقودة» منذ أكثر من عشرة أسابيع، ما ينعكس تأخّراً في إنجاز المعاملات وارتفاعاً في أكلافها بسبب السوق السوداء واستغلال موظفي الدوائر الرسمية لهذه المشكلة في غياب الرقابة والمحاسبة. فمنذ أكثر من شهرين ونصف شهر، لم يتسلّم أصحاب الرخص الرسمية في المحافظة أي طوابع بذريعة «ما في سيستم»، بعد العجز عن ربط محتسبيتي بعلبك والهرمل بوزارة المالية في بيروت عبر خط أوجيرو، ما يثير أسئلة حول ماهية هذا العطل التقني الذي يحول دون ربط إدارة بالوزارة الأم، وعن سبب عمل الـ«سيستم» بشكل طبيعي في المصلحة المالية الإقليمية في بلدة دورس (مدخل بعلبك الجنوبي)، في حين يتعذر ذلك في المحتسبيتين. واللافت أيضاً أنه في وقت يتعذر على أصحاب رخص بيع الطوابع في المحافظة تسلّم احتياجاتهم من الطوابع من محتسبيتي بعلبك والهرمل، يسير العمل كالمعتاد في محتسبية زحلة. ويزيد الأمر تعقيداً تعميم لوزارة المالية بعدم تسليم أي محتسبية طوابع لأصحاب رخص من محافظات أخرى. رئيس رابطة مخاتير غربي بعلبك عبدالله شحيتلي وصف التعميم بأنه «يعاقب أبناء بعلبك الهرمل بتكبيدهم أكلافاً باهظة في كل معاملة في الدوائر الرسمية ويفتح الباب أمام السوق السوداء».

وإلى التأخير في إنجاز المعاملات، زيادة في الأكلاف مع لجوء كثيرين إلى دفع رسم الطابع المالي في محلات تحويل الأموال WHISH MONEY، وهي غير متوافرة في غالبية القرى والبلدات البقاعية، ما يكبّدهم أعباء وأكلافاً إضافية. إلى ذلك، يُلاحظ أنه في مقابل تقتير الطوابع على أصحاب الرخص، تتوافر كميات كبيرة منها لدى تجار السوق السوداء الذين يستحصلون عليها من المركز الرئيسي في بيروت.

مصادر في وزارة المالية أكدت أن المشكلة سببها خط «أوجيرو» الذي يربط بين وزارة المالية ومحتسبيات المناطق، وأنه يتم العمل على إصدار تعميم يسمح فيه لأصحاب الرخص في بعلبك الهرمل باستلام الطوابع من محافظه البقاع وتحديداً في زحلة، علماً أن الحل، بحسب أصحاب الرخص، يكون «بمعالجة المشكلة في منطقتنا لا بإرسالنا إلى مناطق أخرى لتسلمها. بحسبة بسيطة، نسبة الربح المحددة قانوناً (5% نسبة الجمالة أي خمسين ليرة لكل طابع من فئة 000 ليرة)، لن تكون كافية لتغطية كلفة انتقال صاحب رخصة من الهرمل، مثلاً، إلى زحلة لتسلم حصته».

رحيل

كمال شاتيلا

تفاؤل لم تغيبه الجراح وآمال لم تهزمها الآلام

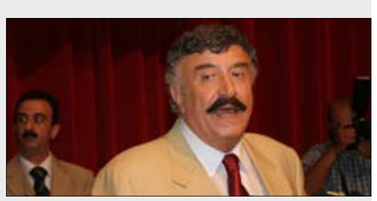

معن بشور *

اختارت المشيئة الإلهية أن يكون يوم الجمعة المبارك (أمس) هو يوم رحيل القائد والمفكر الناصري الكبير الأستاذ كمال شاتيلا، وهو العروبي المؤمن الذي أدرك بعمق وسعة أفق تكامل العروبة والإسلام، وأطلق شعار «إيمان دون تعصب، والتزام دون تحزّب».

واختارت المشيئة الإلهية أيضاً أن يكون رحيله في أيام يحتفل فيها لبنان والأمة بعيد المقاومة والتحرير، وقد كان أبو ناصر أحد رواد المقاومة والتحرير والكفاح ضد المشروع الصهيو - استعماري منذ عرفته طالباً قبل ستة عقود.

واختارت المشيئة الإلهية كذلك أن يكون رحيل هذا القائد المفعم بالآمال رغم الجراح والآلام التي عاشها، في أيام تشهد فيها الأمة العربية والإسلامية مصالحات، كان كمال شاتيلا من أوائل الداعين لها والساعين إلى تحقيقها والمتحمّلين لكثير من الظلم بسبب دعواته تلك.

بل واختارت هذه المشيئة الإلهية أن يرحل عنا كمال شاتيلا وقد بدأت ملامح سقوط المنظومة الفاسدة التي تحكّمت بلبنان طويلاً، وقد كان الأخ كمال في مقدّم من خاض المعارك على مدى عمره ضدها، ودفع هو والكثير مع إخوانه ثمناً لشجاعته ولإقدامه في النضال ضدها وضد سياساتها ومشاريعها.

كما اختارت هذه المشيئة الإلهية لرحيل كمال شاتيلا عصراً بدأت تنهار فيه معالم «الإمبراطورية الاستعمارية» التي تحدث عنها، وكتب حولها، الكثير الكثير، وآخر كتبه كان عنها. وكان البعض يظن في كلام الأخ كمال، وغيره من العروبيين والتقدميين، بعض المبالغة أو الشطط أو التفكير الرغبوي، فإذا بالأيام تكشف صحة تلك الرؤى، ودقة تلك التحليلات. فنرى أمام أعيننا كيف يتراجع الغرب الاستعماري وعلى رأسه الإدارة الأميركية، وكيف يتقدم محور مناهضة هذه الهيمنة انطلاقاً من بولوات المقاومين والمجاهدين في أمتنا، والتي عمّت تداعياتها العالم كله...

منذ أن عرفت كمال شاتيلا رفيقاً في الفكر والعمل القومي العربي في ستينيات القرن الماضي، عرفت فيه مناضلاً مقداماً جريئاً في طرح قناعاته، قادراً على التمييز بين الاختلاف في الموقف والتحليل للحظة، والتلاقي في الأفكار والرؤى الاستراتيجية، فكان يخضع الخلاف العابر لمصلحة الفكر الثابت، ويترجم بذلك الشعار الأحبّ إلى قلبه، شعار «العروبة الحضارية الجامعة» التي «تصون ولا تبدّد، توحّد ولا تفرّق، تشدّ أزر الصديق، وتردّ كيد العدو»، فيبحث عن المشتركات مع الآخر ليدخل منها إلى معالجة نقاط الاختلاف، فيما نرى آخرين يدخلون من نقاط الاختلاف إلى اشتباكات لا تتوقف مع أصحاب المشتركات...

وكم كان مؤثّراً لقائي معه في الدار البيضاء، في المغرب عام 1997، أثناء انعقاد دورة المؤتمر القومي العربي، بعد أن كان قد مرّ عليه 13 عاماً من النفي عن حبيبته ومدينته بيروت، فوجدت الرجل رغم أنه كان مثقلاً من جراح الآفرين قبل الأبعدين، أكثر تمسكاً بقناعاته، وحماسة لمنطلقاته في الدفاع عن وحدة الأمة وتحرير فلسطين واستقلال الوطن الكبير وحرية الإنسان العربي وحقوقه.

ولعل أجمل ما تركه لنا المناضل الكبير كمال شاتيلا، هو إخوانه في مدرسة اتحاد قوى الشعب العامل، كبرى مؤسسات المؤتمر الشعبي اللبناني، الذين يمثلون حيث يعملون، تلك الروح العروبية الجامعة في زمن الفرقة والتشرذم والمذهبية المريضة، وذلك الإصرار العجيب على مواصلة النضال الذي يزداد توهّجاً كلما واجهوا العقبات والصعوبات، والذي ينمو ويتطور ويتألّق كلما اشتدت التحديات.

الرحمة لكمال شاتيلا (أبي ناصر) الذي بقي وفياً للقائد الخالد الذكر جمال عبد الناصر، والذي اختار له القدر الرحيل في القاهرة التي أحبّها كبيروت، وكانت تستقبله مناضلاً ومحاضراً ورمزاً عروبياً كلما زارها...

وعزاؤنا مشترك مع عائلته الكريمة ورفاقه الأحبّة الذين سيبقون مشاعل عروبة ونضال وعطاء لا تغيب...

* الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

نضالات أنيس النقاش: تأريخ مراحل مقاومة

أسعد أبو خليك *

طوى أنيس النقّاش في حياته مراحل من حياة الأمّة. لم يدع الانتكاسات والهزائم والسقطات تثبط عزيمته. الرجل لم يكن عادياً. كان، مثل قلّة في لبنان في مرحلة ما قبل الحرب، قد نذر حياته لهدف تحرير فلسطين. بات هذا الهدف مدعاة للسخرية في ثقافة رفيق الحريري التي سخرت من المبادئ والقيم السامية. هو من الذين قرّروا أنّ هدف حياته يكمن في تحرير فلسطين. هذا زمن بات بعيداً عنا. نحن في زمن يطلع فيه مارك ضو بخريطة طريق لطمأنة إسرائيل (نائب تغييري يساري وديموقراطي معاً) مُعلناً أن المقاومة المسلّحة ضد إسرائيل انتهت لغير رجعة. لماذا؟ لأن النظام الاستبدادي الإماراتي، الذي يسترشد به، قرّر أن يتحالف مع إسرائيل. وبناءً على ذلك، يطلب ضو من الشعب الفلسطيني واللبناني والسوري (هؤلاء الذين يرزحون تحت احتلال إسرائيل ويعانون من عدوان مستمر عليهم منه) ترك السلاح جانباً والتمثّل بـ.. تطبيع الإمارات مع إسرائيل. تغيّر الأزمان هو الانتقال بين الأضداد: من أنيس النقاش إلى مارك ضو، مثلاً.

التقيتُ بأنيس النقّاش للمرّة الأولى قبل أكثر من خمس عشرة سنة. كان ذلك في «سيتي كافي». وصلتُ إلى المقهى ولم أجده. اتصلتُ به فأجابني: أنا هنا. فتشتُ عنه لأجده في زاوية لا تراها وأنت تدخل المقهى فيما هو يقدر على مراقبة الداخلين إليه. تشعر مع أنيس النقاش أنّك مع رجل «ضد المرحلة»، على قول درويش. (سمير القنطار كان يكتب على دفتره المدرسي: «الشهيد سمير القنطار»، وعندما تلتقي به بعد الإفراج عنه تتيقّن أنه لم يستكن في كل فترة السجن الطويل، لا بل هو ازداد إصراراً على المضي في سعيه لتحرير فلسطين). أثار غياب النقّاش الكثير من الحزن والتأسّف والعزاء على المواقع لأن «المرحلة» كانت تحتاج إليه. كان من القلّة التي لم تر تناقضاً بين مقاومة إسرائيل في لبنان وتحرير لبنان من الفساد والطبقيّة والقهر الطبقي. كان غاضباً في أيّامه الأخيرة.

كان النقاش قد سجّل حوارات عن ذكرياته من قبل، لكنّ هذا الكتاب بعنوان «مذكرات أنيس النقّاش: أطفال وأقدار» هو بقلمه هو. وأنيس ليس كاتباً أو قصصيّاً لكنّ تجربته الغنية وتفاصيلها المذكورة تكفي كي تنسى أن أنيس، لكثرة ما خاض من

> **تقرأ هذه المذكرات ويزداد إعجابك بأنيس ولكن خيبتك تزداد كثيراً بوضع المقاومة الفلسطينية في لبنان كم كانت فاشلة، وكم ان قيادات المقاومة لم تكن جدية في خطة تحرير فلسطين او حتى خطة مقاومة الاحتلال**

مغامرات، لم يكن مقدّراً للحظات الدرامية الكثيرة التي عاشها. والكتاب يجب أن يكون مقروءاً من المؤرّخين (للحزب الأهليّة ولتجربة منظمة التحرير) ومن قبل كل من يُعنى بشأن المقاومة. تقرأ الكتاب وتلاحظ الفارق بين المقاومة اللبنانيّة الحاليّة والمقاومة الفلسطينيّة. وفقدني مؤرّخ فلسطيني معروف في حديث قبل أشهر عن أن تجربة المقاومة الفلسطينيّة لا تُقارن بالتجربة الفذّة للمقاومة اللبنانيّة الحاليّة (لا نتحدّث هنا عن تجربة مقاومة إلياس عطاالله والتي انتهت عندما ضرب غازي كنعان يده على الطاولة، كما هو اعترف في حديث مع جريدة مقاومة ما، «نداء الوطن»).

لم يهدأ أنيس النقاش في حياته، منذ طفولته. ثار مبكراً جداً وتذكّر والدته أنه أصرّ على التبرّع بكنزته لدعم التحرير الجزائري (ص. 31) لأن ضيق الحال لم يسمح لعائلته بالتبرّع أكثر. تقارن ذلك بفتى في عمره اليوم وكل حلمه أن يقتني آخر صرعة من حذاء رياضي. أخبار زمن أنيس النقاش، وصحافة تغطية أخبار زمن أنيس النقاش، كانت مثيرة ومحفّزة ومُحمّسة. الثورة الجزائريّة حرّكت مشاعر جيل كامل وكانت جميلة بو حيرد أشهر من يسرا أو إليسا في زماننا المقموع. تأثّر بعمّه زكي النقّاش، وكان كاتباً عروبيّاً جريئاً. اصطحبه عمّه للقاء وزير التربية في أوائل الستينيّات، شارل حلو، بغرض دفع حملة التعريب في الثقافة والتربية. ساله عمّه بعد اللقاء عن رأيه في الحلو فقال أنيس الصغير: «هذا الوزير هيْئته كذّاب، وإذا كان بدّو يعرّب لماذا كان يتحدّث طوال الوقت معك بالفرنسيّة؟ هو وزير لبناني ويبحكي بالفرنسي؟» (ص 39). اكتشف زكي النقّاش لاحقاً أن بصيرة أنيس كانت ثاقبة. طبعاً، لم يقِ الفرنكوفوني الحلو بوعده عن التعريب (زها الحلو في مذكراته أنه تدخّل في نقاشات الأكاديميّة الفرنسيّة كي يُبهر الفرنسيّين بإجادته للفرنسيّة، بحضور شارل ديغول، الذي اصطحبه في زيارة بروتوكوليّة).

تم وقعت الهزيمة في عام 1967 (كان أنيس في السادسة عشرة) وتحطّم عالم أنيس النقّاش (أنا كنت في سنّ السابعة وحطّمت الهزيمة عالمي ولا أزال أعاني من ويلاتها إلى اليوم، حتى إنني في أيام حرب تموز الطويلة كنتُ أستيقظ كل يوم وأعدُّ نفسي للهزيمة بالرغم من تطمينات عسكريّة من عامر محسن). انطلقت التظاهرات غاضبة بعد تنحّي عبد الناصر. الحقّ أقول لكم: كل من يزعم أن تظاهرات رفض التنحّي، في مصر أو في لبنان، كانت مُدبّرة وغير عفويّة يكذب عليكم. عمرو موسى أو غيره يكذبون، والأخير ضعيف أمام المال السعودي والإماراتي، مثله مثل معظم كتّاب ومثقّفي الزمن العربي الحالي. الناس خرجوا من منازلهم بأثواب النوم في ذلك اليوم. أنا شاهد على ذلك من حي المزرعة. وإن نسيت ولكن لا أنسى هتاف الجماهير، في الليل الداكن: «أبو ناصر، يا حبيب بدنا نحرّر تل أبيب» (طبعاً لو كانت جوقة 14 آذار موجودة آنذاك لكانت اعترضت لأن مشروع مواجهة إسرائيل هو مشروع لولاية الفقيه ولا يعني غير الإيرانيّين فقط). وكان الناس يصرخون، حسب رواية النقاش: «لا عرب بعد عبد الناصر». واعترض الفتى أنيس على الهتاف وصاح: «لا، هناك عرب بعد عبد الناصر». يقول أنيس: «فاجأ شعاري الجموع، فرفضوا خلفي في محاولة للقبض عليّ، ولم أدرك فداحة فعلتي إلا عندما سمعتهم يقولون باعلى صوتهم: امسكوه. اقتلوه، مع بعض الشتائم» (ص. 45). عن هؤلاء الجماهير الغاضبة يقول عمرو موسى، كما يقول غيره من أنصار السرديّات الخليجيّة عن التاريخ العربي، إنهم كانوا مُوجّهين من المخابرات المصريّة.

يحضر مهرجاناً شبابياً ويلاحظ أن «الموسيقى التركيّة فيها الكثير من موسيقى الرحابنة والفولكلور اللبناني، ثم بدأتُ بالتساؤل ما إذا كان العكس هو الصحيح» (ص.63). يتحدّث عن الاعتداء على مطار بيروت في عام 1968 ويقول: «تبيّن لاحقاً... أن أجهزة الدولة كانت تتحسّب لمثل هكذا عدوان وكان لديها معلومات تتعلّق بالاعتداء على بعض المرافق اللبنانيّة ومنها المطار، ولكن قيادة الجيش..وخاصة قيادة منطقة بيروت لم تتخذ أي إجراء ولم تكن مستعدّة للردّ على العدوان» (ص. 67) ولم يكن قائد منطقة بيروت إلا إسكندر غانم الذي أتى به سليمان فرنجيّة من التقاعد وعيّنه قائداً للجيش بعد وفاة جان نجيم. ويقول أنيس إن المكتب الثاني بقيادة غابي لحّود حمى غانم من المحاسبة. كان ذلك زمن حصريّة السلاح.

وشارك أنيس في تظاهرة 23 نيسان 1969، ويقول إن رفيقه إبراهيم عمل بنصيحته و«احضر مجموعته التي ألقت المولوتوف على سيارات الشرطة. وهكذا سجّل العنف الشعبي والثوري نقطة ولو صغيرة بحجم

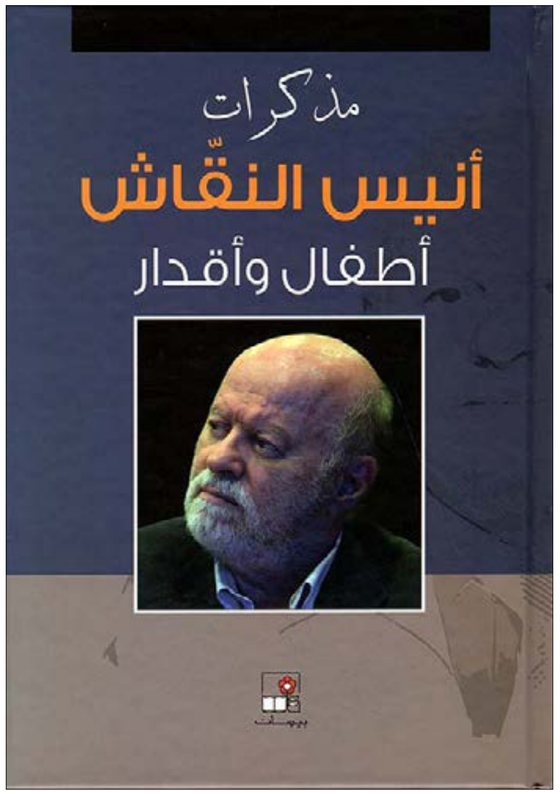

المجزرة» (ص. 72). لم يهدأ أنيس النقاش في تلك الفترة، وفي كل فترة. وعندما التحق بالخدمة المدنيّة (التي كانت بديلاً للخدمة العسكريّة بعد البكالوريا) ساهم في تنظيف شوارع في القبيّات مع زملائه من الكليّة العامليّة وقدّمت امرأة لهم الشكر منوّهة بدورهم «كطلاب مهذّبين ومرتّبين من مدرسة الفرير المسيحيّة وليس كهؤلاء المسلمين الوسخين الذين يسكنون في قرية وادي خالد القريبة من القبيّات» (ص. 96). ردّ أنيس عليها بالقول: «طانت، اسمحي لي أن أعرفك بالشباب. هذا علي وهذا مصطفى وهذا حسين وهذا محمد وأنا أنيس».

عملت أخت أنيس في مكتب المعلوماتيّة في وزارة الدفاع وكان يصله معلومات، منها أن دائي شمعون كان يقوم باتصالات بجهات إسرائيليّة وأن سميرة توفيق كانت تعمل لصالح المخابرات الأردنيّة وأن أنيس النقاش ناشط في حركة «فتح» (ص. 117). ويصارحنا أنيس بالمبالغات والتبجّح الذي رافق مسيرة عرفات فيقول عن موضوع مشاركة القوات الفلسطينيّة في «جبهة راشيا الفخار» في حرب 1973: «حقيقة الأمر أن دور هذه الجبهة كان محدوداً جداً رغم حجم البلاغات، فكل ما كانت تملكه من تسليح لم يتجاوز هذا المدفع وبضعة صواريخ أطلقت على المستعمرات» (ص. 157). وكانت حالة من الفوضى وعدم التنظيم وفقر المعلومات تسود أوساط المنظمات الفلسطينيّة مثل تنظيم أراد تعطيل خط نفط تابلاين الذي كان قد أوقف الضخ فيه منذ سنين.

وسمع أنيس النقّاش عن منظمة جديدة اسمها «منظمة الفدائيّين العرب»، فانضم إليها سراً بالنيابة عن «فتح» فيما انضم إليها آخر من قوات القادسيّة يعمل لصالح المخابرات العراقيّة. وآخر يعمل لصالح المخابرات السوريّة وكانوا في التنظيم للتجسّس على بعضهم البعض (ص. 189). والطريف أن الرجل الذي يعمل لصالح المخابرات السوريّة في الدكّان المذكور أصبح مرافقاً لنايف حواتمة (ص. 191) والرجل الذي عمل في الدكان لصالح المخابرات العراقيّة أصبح مسؤولاً في قوة حماية العمليّات المركزيّة «حيث يتواجد أبو عمّار (فيها) أكثر أوقاته». التقى أنيس بـ«أبو الطيّب» (مسؤول أمن الـ17) وحذّره من الرجل فما كان من «أبو الطيّب» إلا أن قال: «إنت عارف يا مازن (اسم أنيس الحركي)، إحنا الفلسطينيّة طالعين من منظمات داخلين منظمات، وكثير منا رايحين جايين، يعني مش كل واحد صار جاسوس» (ص. 193).

ويتحدّث أنيس بصراحة عن تجربة وديع حدّاد وعن فشل الكثير من العمليّات التي خُضر لها، ويقول إنّ «فشل العمليّات المتتالية انطلاقاً من دول أوروبيّة باتجاه الكيان الصهيوني دفع أبو هاني لاتخاذ قرار مهاجمة المصالح الإسرائيليّة في أوروبا نفسها» (ص. 201)، وبعض العمليّات انتهت «بفشل ذريع» مثل محاولة قصف طائرة في مطار أورلي بقاذف آر بي جي). وكانت مجموعة كمال خير بيك (في الحزب القومي) تتشارك مع مجموعة وديع حدّاد في العمليّات. ويكشف في حديث مع أبو حسن سلامة أنه كان يفتقر للحس الأمني والسرّي، ما جعل أبو عمار ينهره قائلاً: «اسمع يا «كذا». مازن بقلك..إيه إنت ما تجمّعش؟ لازم تتم العمليّة بسريّة» (ص. 223). ويريحنا أنيس في الحديث عن ميشال مكرل وينفي عنه تهمة الخيانة التي ألصقها كارلوس به، ويقول إنه عندما اصطحب الشرطة إلى منزل كارلوس لم يكن يعلم أنه في داخله (ص. 226).

أمّا عمليّة فيينا، فكانت، كما يقول أنيس: «العمليّة وأهدافها ليبيّة محضة» وأن الهدف هو الحصول على تمويل فدية من السعودية وإيران مقابل إطلاق سراح الرهائن (بالإضافة إلى مكافأة من القذّافي) (ص. 231). هذا النوع من العمليّات حوّر نمط العمل الثوري في الخارج، كما أن وضع المنظمات الفلسطينيّة في موقع الإدانة بيد أنظمة عربيّة كان التزامها بالقضيّة الفلسطينيّة أضعف من التزامها بمصلحة الحفاظ على سلطتها. واعترض الوزير العراقي على العمليّة وعاتب أنيس لأنهم أضاعوا عليه «فرصة عشاء الهيلتون» (ص. 259).

وينقل أنيس عن أفراد في الجيش اللبناني في عام 1975 أن التعبئة السياسيّة فيه كانت موجّهة «ضد المقاومة الفلسطينيّة وليس ضد العدوّ الإسرائيلي. شعبة التوجيه في الجيش لم تكن ترى من خطر على البلاد سوى المقاومة الفلسطينيّة والأحزاب اليساريّة المتحالفة معها» (ص. 278). وكان هناك تحضير «لاشتباك كبير... لتطهير لبنان من العمل الفدائي» (ص 280). ويتألّم أنيس لأن «لا القيادة في الثورة الفلسطينيّة ولا قيادات الأحزاب التي كانت مجتمعة بما يُعرف بالحركة الوطنيّة، كانت تستعدّ لمثل هكذا تحدّ» (ص. 280). وتحمّس أنيس للقيام بعمليّة لفكّ الحصار عن تل الزعتر. التقى بعرفات الذي قال له: «العمليّة يجب أن تكون سريّة ولا يعرف بها أحد. كمال بيك جنبلاط لا يريد اشتباكات في الجبل ونحن الحلّ الوحيد لدينا لفك الحصار عن المخيّم هو فتح جبهة في الجبل» (ص. 300). ثم «وصل عبد الحليم خدّام إلى بيروت واجتمع بالقيادة الفلسطينيّة وقادة الحركة الوطنيّة وكان على عادته سليط اللسان، لا يقدّم رأيه بالمنطق بل بالتهديد، الرسالة كانت واضحة: إياكم ثم إياكم من توسيع المعارك للجبل. أي تحرّك عسكري في الجبل القيادة السورية تخالفه تماماً» (ص. 309).

وعن المواجهة بين قوّات المقاومة والجيش السوري في عام 1976 يؤكّد أن أبو جهاد كان ضد القتال معها وأنه قال إن الجيش السوري «جيش حليف وسنقاتل معه يوماً ما ضد العدوّ الصهيوني» (ص. 333). وعرفات نفسه لم يكن متحمّساً مثل بعض الفصائل اللبنانيّة للقتال بين الطرفين. ويتحدّث عن حقبة جرت فيها عمليّات اغتيال وتفجيرات بين حركة «فتح» والنظام العراقي: وأعدّت عمليّات «أخرى لاحتلال السفارات العراقيّة في باريس ومدريد». تقرأ ذلك وتحزن أن قوات الثورة الفلسطينيّة كانت منصرفة لعمليّات ضد سفارات عربيّة وبناءً على خصومات كانت تطول أو تقصر بين «فتح» والأنظمة العربيّة (وحدها علاقة عرفات وأنظمة الخليج بقيت ثابتة حتى الاجتياح العراقي للكويت).

ويتحدّث بإعجاب عن شخصيّة جلال الطالباني عندما كان يساهم في العمل الفلسطيني الثوري. ويقول عن إذاعة «مونت كارلو»: «ليست سوى أداة بروباغندا سوداء تشغّلها الأجهزة الفرنسيّة ولكن بتمويل خفي عراقي ومن بعده تحوّلت إلى تمويل سعودي. وتبيّن بالأدلّة أن كل الإذاعات التي تنطق باللغة العربيّة من الغرب... كانت تنسّق الخطط الإعلاميّة مع حلفاء الغرب في منطقتنا» (ص. 422).

ويتحدّث بالتفصيل عن محاولة اغتيال شهبور بختيار وعن تجربة المحاكمة والسجن. كم هو صلب هذا الأنيس النقاش. في كل معركة أو مفصل في حياته، يتعامل مع التحديات بقوّة وثبات وعزم. أنيس النقّاش كان يمكن أن يكون أكثر فائدة بكثير لو أنه انضمّ إلى تنظيم أكثر فعاليّة من تنظيم حركة «فتح». أنيس كان أكثر انضباطاً وسريةً وقدرةً مما تسمح به فوضى دكاكين حركة «فتح»، حتى في سنوات عزّها (الإعلامي). ويلتقي أنيس بجورج عبدالله في السجن الفرنسي ويتحدّث عن تجربة تنظيمه الصغير الذي ركّز على الاستهداف الحصري للمراكز العسكريّة والمخابراتيّة (ص. 667). ويصارحنا أنيس بالقول إن جورج تعرّض لـ«خيانة وتخلّ من دولة عربيّة هي الجزائر» (ص. 668).

ويتحدّث أنيس عن الاشتباكات في إقليم التفاح بين حركة «أمل» و«حزب الله» وكيف أن قوات من «فتح» تدخّلت لصالح «أمل» كما أنه يتحدّث عن لقائه في تونس مع أبو الهول وكيف أن الأخير اعترض على عدم مدّ أبو عمار له بالمعلومات الآتية من لبنان، والمسؤول عن الساحة اللبنانية بقي هو الحاج إسماعيل ويقول أنيس عنه: «تعجبت من إصرار أبو عمار على التمسّك بالحاج إسماعيل مع أنه لم يبل بلاء حسناً في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 بل كانت هناك أخبار على أنه انسحب من أرض المعركة في الجنوب وترك قواته تواجه الاجتياح بدون توجيهات من قيادة القطاع» (ص 734). وفي لقائه مع عرفات في تونس يحاجج أنيس عرفات بالنسبة إلى تعاطيه مع الأزمة اللبنانية ومع النظام السوري. كان أنيس يرى أن عليه أن يتفاهم مع النظام السوري وأنه كان عليه ألا يخرج من البحر إلى تونس بل عبر البر إلى سوريا. حاول عرفات أن ينفي دعم «فتح» لحركة «أمل» لكن أنيس واجهه بالمعلومات والحقائق ونصحه بأن يتحالف استراتيجياً مع إيران و«حزب الله». وفاجأ عرفات أنيس بأنه وافق على كلامه وأبدا استعداده للتحالف مع الحزب على أن يتم ذلك في طهران وبشهادة الإيرانيين. كما اشترط أن يتم التعاطي بين «حزب الله» وحركة «فتح» عبر عماد مغنية فقط. وانزعج أنيس نقاش من مسألة دعم حركة «فتح» لحركة «أمل» في لبنان وأبدى أبو إياد استغرابه لذلك لأن عرفات أبقى الموضوع سراً يحتفظ به لنفسه. أمّا هاني الحسن فكان يعلم ذلك وقال إن أبو عمار كان يناور كعادته وإن الذي قام بالوساطة بين حركة «أمل» و«فتح» كان محسن إبراهيم.

أمّا أبو إياد فاعتبر أن اجتياح الكويت كان خيانة من صدام للقضية الفلسطينية ونقاش الذي نذر حياته لخدمة فلسطين. مرض الكورونا قضى عليه وكان أمامه سنوات لتقديم المزيد من التضحيات والمساهمات في القضيّة. كما أنه في آخر أيامه كان شديد الحماس لإمكانية التغيير والقضاء على النظام الفاسد في لبنان وقد أزعج كلامه الصريح بعضاً من حلفائه، وكسب أنيس جمهوراً جديداً له. تقرأ هذه المذكرات ويزداد إعجابك بأنيس ولكن خيبتك تزداد كثيراً بوضع المقاومة الفلسطينية في لبنان كم كانت فاشلة، وكم أن قيادات المقاومة لم تكن جدية في خطة تحرير فلسطين أو حتى خطة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ليس لأنها كانت تفتقر إلى الوطنية بل لأنها لم تكن تدرك أهمية الإعداد والتنظيم والتدريب والحفاظ على السرية الفائقة التي (أي غياب السريّة) شكّلت مقتلاً لمنظمة التحرير منذ انطلاقتها في لبنان. تقرأ عن سهولة الدخول إلى مكتب عرفات والتحدّث معه وتدرك أن إسرائيل لم تجد صعوبة في اختراق كل المنظمات الفلسطينيّة. وتقد تجربة المقاومة الفلسطينية يجعلك أكثر إدراكاً للفروقات الهائلة بينها وبين المقاومة اللبنانية الحالية التي شكّلت وتشكّل اكبر خطر وتهديد لإسرائيل منذ احتلال فلسطين. وكل المليارات التي أُنفقت، وتُنفق، لتقويض سمعة وشعبية «حزب الله» كانت بسبب نجاحه الفائق وقدراته الخارقة وردعه غير المسبوق للدولة الإرهابية على حدودنا الجنوبية. يكفي أنيس فخراً أنه ما وقع على حركة مقاومة، لبنانية أم فلسطينيّة، إلا وانضوى في صفوفها، لعله يساهم في تصحيح مسارها وزيادة فعاليتها.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

أسباب وآفاق التحولات السعودية

سعد الله مزرعاني *

لا شكّ بأن تحولات مهمة، حصلت وتحصل في المملكة العربية السعودية. تتواصل حلقات هذه التحولات، منذ أطلقت قيادة المملكة، بمبادرة من ولي العهد محمد بن سلمان، خطة مفاجئة لمصالحة وحوار خصومها (الإقليميين خصوصاً)، مهما بلغت حدة الخلافات والصراعات التي كانت قائمة معهم. في السياق، وبالتزامن مع تتابع حلقات تلك السياسة الجديدة، انطلقت تحليلات وتكهنات، ولا تزال، حول الأسباب الحقيقية، والأهداف الفعلية، والنتائج القريبة والبعيدة. وقعُ هذا الانعطاف كان كبيراً. المدى الذي يشمله الفعل السعودي (نظراً لما للمملكة من حجم اقتصادي كبير وقدرات وعلاقات مهمة)، ذو أبعاد دولية، وإقليمية، وداخلية في المملكة نفسها.

يمكن التوقف، عموماً، بشأن التحليلات والتكهنات، عند رأيين:

الأول، يبالغ في حجم المبادرة والفعل السعوديين. ينسب هذا الاتجاه دوراً حصرياً واستثنائياً لولي العهد ولشخصيته وميوله الاندفاعية والانفعالية، كما عبّر عنها في غير مناسبة: توسيع العلاقة مع العدو الصهيوني وتشجيع التطبيع معه. المسارعة إلى الانخراط في الصراع الداخلي اليمني. تحويل الخلاف مع دولة قطر، إلى صراع مرير مقترن بتدابير عزل ومقاطعة وحصار. تصعيد الصراع مع قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. التصعيد والتطلب والشروط حيال الأزمتين السورية واللبنانية. وفي الشأن الداخلي: إزاحة ولي العهد الشرعي المعين محمد بن نايف، قسراً والحلول مكانه. إحكام القبضة على السلطة ومحاصرة المنافسين وإطلاق إشارات نزوع متعددة نحو مزيد من الحكم والتسلط الفرديين. استهداف المعارضة والمعارضين بالتدابير التعسفية: محاكمة «الريتز» الاستنسابية وغير القضائية، وفرض مبالغ هائلة على مستثمرين كبار، بمئات مليارات الدولارات وسط تضييق ورقابة شديدين. عملية واسعة لوضع اليد، بالإكراه، على مؤسسات سياسية واقتصادية وإعلامية. استدراج الرئيس سعد الحريري (4/11/2017) وفرض استقالته من رئاسة الوزارة اللبنانية بسبب عدم تبنيه للمطالب السعودية في لبنان. استدراج المعارض السعودي الأميركي جمال الخاشقجي وقتله في القنصلية السعودية في إسطنبول (2/10/2018).

أمّا الرأي الثاني، فيحيل سبب هذه التحولات إلى متغيرات خارجية، إقليمية ودولية، فرضت تلك الانعطافة في السياسات والعلاقات السعودية، وسنتناولها لاحقاً.

الواقع أن التحولات السعودية هي ثمرة عوامل داخلية وخارجية متفاعلة ومتداخلة على نحو جدلي في الأسباب والنتائج على حد سواء. دور محمد بن سلمان كان كبيراً ومبادراً منذ البدايات وحتى الآن. بهذا المعنى، فإن ما أوردناه وأورده سوانا من كل تلك السياسات والإجراءات، إنما كان يندرج ضمن نهج واحد، مباشر ومتكامل حيال السلطة في الداخل، للإمساك وللاستئثار بها، وفي الخارج، وبواسطته، لتحقيق انتصارات أو نجاحات سريعة، بما يؤمن للقيادة الجديدة مشروعية ونفوذاً ضروريين.

لم تجرِ الرياح كما كان يشتهي محمد بن سلمان. انتكس مشروعه في اليمن وبات شديد التكلفة بشرياً وعسكرياً واقتصادياً. فشلت ضغوطه على سعد الحريري لاستخدام موقعه الرسمي والشعبي ضد «حزب الله». تدخّل الجيش الروسي في سوريا بسرعة وفاعلية وحزم لمصلحة النظام السوري مكّنه، مع حلفائه، من إفشال محاولات خصومه وداعميهم لإسقاطه. ثارت عاصفة ضده بسبب اغتيال الخاشقجي في القنصلية السعودية في إسطنبول. قاطعته وابتزته الإدارة الأميركية الجديدة سياسياً ومالياً وعسكرياً. وأخيراً، نجح النظام الإيراني في تخطي موجة الاحتجاجات التي اندلعت واسعة وصاخبة وعنيفة إثر وفاة الشابة مهسى أميني في السجن في 16 أيلول 2022.

في ظل الخيبات المتلاحقة، في الإقليم خصوصاً، كانت القيادة السعودية تؤسس لخطة بديلة. مجموعة توجهات تبلورت تباعاً ورسمياً إلى انعطافة شاملة، ابتداءً من إعلان الاتفاق السعودي الإيراني في 10 آذار 2023. مقدّمات هذه الخطة بدأت بتنامي الخيبة إزاء حجم الخسائر السعودية في اليمن والموقف الأميركي إزاء ذلك. واشنطن تركّز اهتمامها على استغلال النزاع هناك لابتزاز القيادة السعودية سياسياً ومالياً، ومحاولة إضعاف ومعاقبة ولي العهد. الحّت القيادة السعودية على ضرورة التوصل إلى حل فلم تلقَ آذاناً صاغية أو دعماً ملموساً. حين زار الرئيس بايدن الرياض كان ذلك، فقط، من أجل مصلحة أميركية: لزيادة إنتاج النفط، ولتخريب علاقة الرياض مع شريكها الروسي. في مجرى ذلك كانت تتوطد العلاقات الروسية - السعودية في مجال النفط («أوبك+»). وعبر عقد صفقات أسلحة متطورة بين موسكو والرياض. كانت تترسخ أكثر فأكثر، أيضاً، العلاقات السعودية - الصينية (التي تُوجت بزيارة احتفالية وصاخبة للرئيس الصيني إلى الرياض في أواخر السنة الماضية)، ما مكّن من أن تكون بكين هي عرّاب الاتفاق السعودي - الإيراني.

لا شكّ أن أسباباً أخرى تركت بصمة جدية على مجمل المشهد الدولي، أهمها انكفاء واشنطن في الشرق الأوسط، وانسحابها الذليل من أفغانستان. هذا إلى عجزها عن منع أو مواجهة التدخل الروسي في سوريا في أيلول عام 2016. كذلك في تراجع دورها الدولي على المستوى الاستراتيجي، في الحقول الأمنية والعسكرية والاقتصادية. بالمقابل، كانت تتبلور ملامح نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب على حساب تفرد أميركي بدأ منذ انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991، واستمر في الانفراد بالهيمنة حوالي عقدين من الزمن. يضاف إلى ذلك ما يعانيه الوضع الداخلي الأميركي من انقسامات على مستوى تداول السلطة، واقتصادي عبر تلاحق الأزمات الكبيرة منذ عام 2008 إلى الانهيارات المصرفية، إلى معضلة الاستدانة المتعاظمة والمستعصية بسبب الانقسامات. تُضاف، أيضاً، التوترات في الكيان الصهيوني بعد استلام السلطة من قبل تحالف عنصري متطرف، سارع إلى استثمار أكثريته في انتهاك وإطاحة مظاهر ديموقراطية شكلية، على مستوى القضاء، وبغرض السيطرة والتفرد والإفلات من المحاسبة.

ثمّة مسألة في الداخل السعودي ذات أهمية كبيرة في تحفيز التغيير ببعده الاجتماعي خصوصاً. كانت تفجيرات 11 أيلول 2001 قد سلطت الضوء على دور المؤسسة الدينية السعودية في دعم الإرهاب. شكّل ذلك نقطة ابتزاز للرياض، ما فرض اضطرارها لتقليص صلاحيات وحجم تلك المؤسسة، وأضعف، بالتالي، القاعدة التي شكلت تاريخياً، الدعامة الاجتماعية للنظام السعودي. البديل لها كان التوجه نحو طبقة التجار والبورجوازية عموماً، وخصوصاً الطبقة الوسطى منها، لتكون القاعدة الجديدة. تطلب ذلك إجراءات وتدابير ذات طابع ليبرالي وانفتاحي: حيال حقوق النساء، وفي مجالات «الترفيه» والنشاطات والخدمات الجاذبة في نطاق «الرؤية 2030».

للعوامل الموضوعية، إذاً، فعلها وأحكامها، وللعوامل الذاتية كذلك. بذلك تكون الانعطافة السعودية ثمرة متغيرات وتجارب ومرارات داخلية وخارجية متفاعلة. وقد لعب محمد بن سلمان دوراً بارزاً في بلورة تمرحلها الواقعي إلى الصيغ والأشكال التي انتهت إليها.

الانعطافة السعودية مهمة وإيجابية. وهي تصبح أهم بقدر ما يجري تلقفها بالتشجيع والتعاون والمراجعة، وتطويرها بالمبادرات في ما يتصل بالخلافات بين الدول العربية، وبينها وبين دول الإقليم: لمصلحة إنهاء النزاعات البينية والحروب والاضطرابات الداخلية في عدة بلدان عربية. هذا الأمر يتطلب تطوير دور جامعة الدول العربية والسعي لبناء منظومات تكامل اقتصادي في ما بينها ومنظومات دفاعية أمنياً تشمل، بالضرورة دولاً إقليمية. يستدعي كل ذلك حتماً تقليص نفوذ القوى الأجنبية وخصوصاً تلك التي تسعى للهيمنة وتوفر للعدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني كل الدعم والحماية.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

المعارضة متمسّكة بالأمل
إردوغان رئيساً غداً... إلّا إذا

تنعقد، غداً الأحد، الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية التركية من أجل حسم السباق بين كلّ من رجب طيب إردوغان وكمال كيليتشدار أوغلو. وسط توقّعات بارتفاع نسبة المشاركة. وبينما استطاع إردوغان، في الفترة الفاصلة بين الجولتين، مراكمة نقاط قوّة تضاف إلى الميزات التي خرج بها أصلاً من الدورة الأولى، لم يفقد كيليتشدار أوغلو، على رغم خيبة الرابع عشر من أيار الأمل تماماً. بل سعى بجهده لتعزيز أوراقه. وإنْ من خلال إعادة تبنّي الخطاب القومي المتشدّد، الذي نأى بنفسه عنه في الجولة السابقة. وإذ يبدو بحسب المنطق والمعطيات، أن إردوغان سيُتوِّج بعد ساعات رئيساً تركيا بحوالى 52٪ من الأصوات، فإن ذلك لا يغلق الباب على إمكانية حصول معجزة يتحقّق من خلالها حلم كيليتشدار أوغلو، ومن خلفه أطياف المعارضة

محمد نور الدين

للمرّة الثانية على التوالي، يتوجّه، غداً، 65 مليون ناخب تركي، بينهم 47 ألف ناخب جديد، لاختيار رئيس للجمهورية، بعدما فشل كلا المرشّحَين، رجب طيب إردوغان وكمال كيليتشدار أوغلو، في تجاوز عتبة الخمسين في المئة في دورة الاقتراع الأولى التي جرت في 14 أيار الفائت. وستكون الأنظار مركّزةً، هذه المرّة، على نسبة الاقتراع، وما إذا كانت ستزيد عن سابقتها أم ستتراجع أم ستبقى عند حدود الـ87 في المئة، علماً أن نسبة التصويت لدى أتراك الخارج، والتي لم تعلَن رسمياً بعد، عرفت ارتفاعاً كبيراً عن الدورة الأولى، في ما قد يكون مؤشّراً إلى ارتفاع نسبة التصويت العامّة أيضاً.

أمّا في ما يتّصل بالمتنافسَين، فإن إردوغان يخوض السباق بميزتَين اثنتَين مقارنة بكيليتشدار أوغلو، وهما: الأولى، أنه تَقدّم في الجولة السابقة على منافسه بخمس نقاط كاملة (49,52 مقابل 44,88 في المئة)؛ والثانية سيطرة «تحالف الجمهور» الذي يؤيّد زعيم «العدالة والتنمية» على البرلمان في انتخابات 14 أيار، بـ322 مقعداً مقابل 278 مقعداً للمعارضة. أيضاً، يتمتّع إردوغان، راهناً، بمعنويات عالية تحدوها بعض المؤشّرات، وأبرزها أنه على الرغم من الأزمة الاقتصادية الخانقة، ومن الخسائر البشرية والمادّية الهائلة التي أحدثها زلزال السادس من شباط، إلّا أن الرئيس المنتهية ولايته نال في المناطق المتضرّرة حوالى 60 في المئة من الأصوات، مقابل ما متوسّطه ثلاثون في المئة فقط لغريمه. ولربّما أمكن تفسير ذلك بعامل الانتماء المحافظ والقومي المتشدّد لغالبية الأتراك، ورفضهم العودة إلى نظام حكم يسيطر عليه العلمانيون، خصوصاً ذكريات سيّئة عن الأنظمة العلمانية وإجراءاتها القاسية بحقّهم. ومع أن كيليتشدار أوغلو يعكس صورة علمانية متسامحة ومنفتحة، إلّا أنها على ما يبدو لم تكن كافية لتمحو في سنوات عقوداً من القمع على أساس أيديولوجي. كذلك، فإن الوعود الكثيرة التي أغدقها إردوغان بإعادة إعمار مناطق الزلزال، والحملة التي رافقتها للترويج لكون زعيم «العدالة والتنمية» وحده القادر على إنفاذ تلك الوعود، فضلاً عن التعويضات التي صُرفت للمتضرّرين، مثّلت عاملاً أساسياً في تفوّق مرشّح «تحالف الجمهور». يُضاف إلى ما تقدّم، أسبقية الحملة الانتخابية لإردوغان، والتي سوّقته بوصفه «الرجل القوي» الذي يقود «تركيا القوية»، إضافة إلى انتزاعه ما لا يقلّ عن 90% من الحضور في الإعلام الموالي، وهو ما لعب حتماً لمصلحته.

أمّا الآن، فقد نجح إردوغان في مراكمة عوامل نجاح إضافية، أوّلها التأييد النظري له من قِبَل المرشّح سنان أوغان، على الرغم من أن الأخير لا «يمون» سوى على جزء من الأصوات التي حصدها في الدورة الأولى ومقدارها خمسة في المئة تقريباً؛ وثانيها مناخ الإحباط الذي أحاط بحملة كيليتشدار أوغلو بعد ظهور نتائج الدورة الأولى. وعلى رغم هذه الميزات التفاضلية، لم يجد إردوغان بدّاً من تكرار تحذيراته من «التراخي» في الذهاب إلى صناديق الاقتراع، وأن ثُغري نشوة النصر المحتمَل الناخبين بالتقاعس عن الإدلاء بأصواتهم.

أمّا بالنسبة إلى مرشّح المعارضة، فلا شكّ في أن نتائج الجولة السابقة، سواءً الرئاسية أو النيابية، أصابته بخيبة أمل كبرى، لكن ذلك لا يمنع الرجل من المراهنة على بعض العوامل، ومنها:

أوّلاً: ارتفاع نسبة التصويت العامّة، والذي قد يعني ازدياد نسبة التصويت الخاصة له.

ثانياً: إعلان زعيم «حزب النصر القومي»، أوميت أوزداغ، وقوفه إلى جانب كيليتشدار أوغلو، علماً أن الأوّل نال 2,25 في المئة من الأصوات في الانتخابات النيابية، وكذلك إعلان رئيس «حزب العدالة»، وجدت أوز، الذي حصد 0,22 في المئة في البرلمانيات، تأييده لمرشّح تحالف «الأمة». وإذ يشكّل الرجلان معاً تحالف «أتا» (الأجداد)، الذي كان مرشّحه للرئاسيات سنان أوغان، فإنه في حال التزمت قواعدهما بالتصويت لكيليتشدار أوغلو، فسترتفع حصّة الأخير بمقدار 2,50 في المئة على الأقلّ، لتبلغ 47,5 في المئة، هذا إن بقيت نسبة التصويت لصالحه على حالها، ولم تكن أكبر في الدورة الثانية. وكان كيليتشدار أوغلو وأوزداغ أعلنا، الأربعاء الماضي، اتّفاقاً من سبع نقاط يثبّت الطابع القومي التركي للدولة، ويشدّد على محاربة «حزب العمال الكردستاني»، واستمرار سياسة اعتقال رؤساء البلدية (الأكراد) «المتعاونين مع الإرهاب»، وإعادة اللاجئين السوريين إلى بلادهم خلال سنة واحدة. وبينما يبدو واضحاً أن مرشّح المعارضة أظهر من خلال الاتفاق المُشار إليه، تشدّداً مستجدّاً ضدّ الأكراد من أجل كسب بعض الأصوات من التيّار القومي، فهو استجلب بالتالي انزعاجاً كردياً ولا سيما ربطاً بمسألة الاعتقالات، وغامر بخسارة جزء من الأصوات الكردية التي نالها.

تفوّقت الحملة الانتخابية لإردوغان، والتي سوّقته بوصفه «الرجل القوي» الذي يقود «تركيا القوية» (أ ف ب)

وعلى رغم ما تَقدّم، إلّا أن حزبَي «الشعوب الديموقراطي» و«اليسار الأخضر» الكرديَين أعلنا، كما كان متوقّعاً، في بيان أوّل من أمس، أنهما سيواصلان العمل بكلّ قوّة لإسقاط إردوغان، داعيَين الناخبين إلى أوسع مشاركة في انتخابات الدورة الثانية. وجاء في البيان المشترك الصادر عنهما أن «خيارنا الأوّل والأخير هو خلع إردوغان». وفي الاتّجاه نفسه، دعا فايسي صاري سوزين، في صحيفة «يني أوزغور بوليتيكا»، المؤيّدة لـ«حزب العمال الكردستاني»، إلى «العمل بكلّ قوّة لإسقاط إردوغان في الدورة الثانية»، لافتاً إلى أن «80 في المئة من الأكراد أعطوا أصواتهم لكيليتشدار أوغلو، وقدّموا مساعدة كردياً ولا سيما ربطاً بمسألة الاعتقالات، وغامر بخسارة جزء من الأصوات الكردية التي نالها.

> نجح إردوغان في مراكمة عوامل نجاح إضافية، أوّلها التأييد النظري له من قِبَل المرشّح سنان أوغان

في المقابل، نشرت العديد من الصحف صوراً لمَن قالت إنهم عمّال البلديات التابعة لحزب «العدالة والتنمية» وهم يقومون بلصق الإعلانات على اللوحات الكبيرة، رأى الكاتب محمد أوجاقتان، في صحيفة «قرار» المعارضة، أن تعليق ما سمّاها «إعلانات مفترية» على كيليتشدار أوغلو، هدفه «تسميم الأذهان النظيفة للناس»، وتخويف المجتمع من عواقب رحيل إردوغان، في مقابل «إهمال أزمات البلاد الاقتصادية والفقر المنتشر». واعتبر أوجاقتان أن «مثل هذه الإعلانات لا تليق بتحالف الجمهور، واستخدامها في انتخابات الرئاسة أمر مخزٍ».

وفي حين اتّهم كيليتشدار أوغلو، إردوغان، بتلفيق الفيديوهات، داعياً إيّاه إلى مناظرة تلفزيونية مفتوحة، حمّل الأخير «جبال قنديل» (أي قيادة حزب العمال الكردستاني) مسؤولية صنعها، علماً أن التأييد الكردي لمرشّح المعارضة لا يستقيم مع هكذا اتّهام. كذلك، اعترف الناطق باسم الرئاسة، إبراهيم قالين، بأن الفيديوهات ممنتَجة ومزيّفة، متبرّئاً في الوقت نفسه من المسؤولية عنها، فيما لم يُفتح أيّ تحقيق فيها. ويرى البعض أنه في حال وقوف السلطة وراء هذه الظاهرة، فإن الهدف منها القول للرأي العام إن من يؤيّد إردوغان من الأكراد هو المعتدل، الذي يمكن أن يكافأ. ولعلّ ما يعزّز تلك القراءة قول الكاتب محمد متينير، في صحيفة «يني شفق» الموالية، إن «حزب الشعوب الديموقراطي قد دخل البرلمان، وفي حال دعمه لإردوغان في الدورة الثانية يمكن ضمان إمكانية البدء بمرحلة جديدة».

على أيّ حال، «الانتخابات لم تحسَم بعد، وكلّ شيء ممكن: ربّما يربح إردوغان ويفارق، وربّما يربح كيليتشدار أوغلو ويفارق»، بحسب ما رأى الباحث المعروف في الإحصاء ورئيس مركز «كوندا»، بكر أغيردير. لكن الواقع يقول إن فوز إردوغان أقرب إلى المنطق، وبنسبة لا تقلّ عن 52 في المئة بحسب التوقّعات، ليكون رئيساً من جديد لتركيا لمدّة خمس سنوات إضافية. ومع ذلك، فمن غير المنطقي إغلاق باب المفاجآت وحدوث «معجزة» تجعل من كيليتشدار أوغلو رئيساً. وإلى أن يُحسَم الموقف، ليس أمام المراقبين سوى انتظار إعلان النتائج، والذي لن يتأخّر بعد وقت قصير من إغلاق الصناديق وبدء الفرز، على الرغم من الارتفاع المتوقّع في نسبة التصويت.

سوريا

تركيا تفتح باب «العودة»
صيف ساخن ينتظر إدلب

علاء حلبي

في تطوّر هو الأوّل من نوعه منذ ستّة أشهر، نفّذت طائرات حربية غارات على مواقع لفصائل متشدّدة في منطقة جبل الزاوية قرب طريق «M4» (حلب - اللاذقية)، في وقت شهدت فيه نقاط التماس في ريف اللاذقية قصفاً متبادلاً بالمدفعية. وجاءت الغارات الجوّية التي طاولت، وفق مصادر ميدانية، مخازن أسلحة وغرف إدارة عمليات، في وقت تنتظر فيه تركيا تحديد موعد نهائي لعقد اجتماع على مستوى «الرباعية» (سوري - تركي - روسي - إيراني) لبحث مسوّدة تقوم لجان أمنية وعسكرية بإعدادها، حتى تكون بمثابة خريطة طريق (في حال تمّ التوافق عليها) لحلحلة المشاكل المعقّدة بين البلدَين.

وبينما سجّل الميدان السياسي اشتباكاً كلامياً غير مباشر بين أنقرة ودمشق، على خلفية تمسّك الأولى بوجودها العسكري على الأراضي السورية، وإصرار الثانية على وضع جدول واضح لخروج هذه القوات، زار وزيرا دفاع وداخلية تركيا، خلوصي أكار وسليمان صويلو، مناطق في الشمال السوري، في سياق الحملة الانتخابية للرئيس التركي، رجب طيب إردوغان. ووضع صويلو الحجرَ الأساس لقرية سكنية في مدينة جرابلس، في ريف حلب الشمالي الشرقي، ضمن مشروع «مدن الطوب»، معلناً، في كلمة بالمناسبة، تأسيس 12 مكتباً في 12 محافظة تركية لتسهيل عودة السوريين إلى بلادهم، والسكن في تلك المدن.

وفي ما يمكن اعتباره سابقة، أشار الوزير التركي إلى أن هذه المشاريع تأتي بالتعاون مع قطر، التي تقوم عبر مؤسّسات تابعة لها بتمويلها، علماً أن أنقرة دأبت على الترويج لكون ما تقوم به في الشمال السوري ممولاً من المنظّمات الإنسانية الدولية ومنظّمات المجتمع المدني التركي. وتعيد مصادر سورية معارضة، الحديث الصريح عن الدور القطري، إلى سببَين: الأوّل، انتخابي، بهدف تقديم تطمينات للناخبين الأتراك بأن «مدن الطوب» ليست من جيوبهم؛ والثاني، رغبة قطرية واضحة في العودة إلى المشهد السوري، بعد مرحلة عملت خلالها الدوحة من خلف تركيا التي كانت تتصدّر المشهد.

> وضع صويلو الحجرَ الأساس لقرية سكنية في مدينة جرابلس

وتكشف المصادر، في حديث إلى «الأخبار»، أن اجتماعاً عُقد أخيراً، ضمّ مجموعة من قادة الفصائل المنتشرة في ريف حلب، وناقش تشكيل غرفة عمليات للتصدّي لـ«هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة سابقاً)، بعد تعثّر تشكيل هذه الغرفة أكثر من مرّة في أوقات سابقة، موضحة أن هذه التحرّكات تأتي استجابة لإيعازات تركية سابقة بتشكيل هيكلية مؤسّساتية للفصائل لوقف الفوضى القائمة، وتمهيد الأرض لإعادة اللاجئين، بالإضافة إلى تشكيل هيكلية اقتصادية تقلّل، قدر الإمكان، من الاعتماد على التمويل التركي الذي بدأ ينضب. وكان الأتراك أبلغوا الفصائل، بشكل واضح، بأن عليهم أن يقتدوا بما فعله زعيم «تحرير الشام»، أبو محمد الجولاني، تحت طائلة تسليم الأخير قيادة ريف حلب، خصوصاً أنه بات يتمتّع بعلاقات وطيدة مع أطراف دولية عدّة، من بينها الولايات المتحدة التي يتبادل معها معلومات استخباراتية بشكل مستمرّ حول «جهاديين» تعمل واشنطن على التخلّص منهم، بالإضافة إلى علاقته مع قطر، ودول أخرى من مثل فرنسا التي يعمل أخيراً على تفكيك آخر ما تبقّى من «جهاديّيها» الناشطين ضمن جماعة «الغرباء».

أعلنت تركيا تأسيس 12 مكتباً في 12 محافظة تركية لتسهيل عودة السوريين (أ ف ب)

وبالعودة إلى التسخين الميداني على نقاط التماس في ريف إدلب وصولاً إلى ريف اللاذقية، والذي كان يرتبط بمحاولات الجولاني إثبات وجوده عبر عمليات خاطفة ينفّذها «أنغماسيون»، فهو يأتي هذه المرّة بالتزامن مع عكوف أنقرة على إعداد مسوّدة لخريطة طريق مشتركة مع دمشق. وتتركّز تلك المسوّدة، وفق تسريبات عديدة، على الجانبَين الاقتصادي والإنساني في مرحلتها الأولى، حيث تسعى إلى فتح طرق الترانزيت، بما فيها معبر باب الهوى في إدلب، والذي يُعتبر البوّابة الكبرى لمرور الشاحنات، بالإضافة إلى تثبيت معابر دائمة لعودة السوريين إلى مناطق سيطرة الحكومة السورية، سواءً منهم اللاجئون في تركيا، أو النازحون في المخيمات العشوائية قرب الشريط الحدودي. ويندر هذا التزامن بتحوّلات ميدانية عديدة، سواء في إدلب التي تشكّل نقطة ارتكاز الخطّة التركية، أو في ريف حلب الذي حوّله الجولاني خلال الشهور الماضية إلى حديقة خلفية قد يلجأ إليها في حال التوافق التركي - السوري على إخراجه من إدلب بشكل كامل. أمّا في حال تقرّر نفيه منها بشكل جزئي، فقد يدفعه ذلك إلى تقوية حضوره الميداني عبر قضم ريف حلب، وصولاً إلى معبر باب السلامة قرب أعزاز، والذي يمكن أن يشكّل بديلاً من باب الهوى.

تقرير

دراما سقف الدَّين
أميركا حبيسة المناكفات الحزبية

ملاك حمود

تتزايد المؤشرات إلى اتّفاق وشيك بين الإدارة الأميركية والكونغرس ممثَّلاً بمجلس النواب ذي الغالبية الجمهورية، حول رفع محتمل لسقف الدَّين الأميركي، والبالغ 31,4 تريليون دولار، لتجنُّب تخلُّف الولايات المتحدة عن سداد ديونها، وما يمكن أن يستتبع هكذا احتمال من تداعيات على الأسواق العالمية، التي تابعت باهتمام، على مدى الأسابيع الماضية، مفاوضات حلّ الأزمة. وفي ظلّ التحدّيات التي يشهدها الاقتصاد العالمي، تقترب المهلة من نهايتها، مطلع الشهر المقبل، حين تُفرغ اعتباراً منه خزينة الحكومة الأميركية من الأموال لدفع مستحقّاتها، وفق تقديرات الإدارة. على أن هذه الفوضى والمشاحنات الحزبية التي أرّقت الأسواق العالمية، لا تعدو كونها جزءاً من المناكفات السياسية التي تسبق دخول البلاد في دوامة الرئاسيات المرتقبة العام المقبل.

وفي حين أن السيناريو التالي يبقى مستبعداً في الوقت الراهن، إلّا أن بلوغ الدَّين العام الأميركي مستوًى قياسيًا، يضع الولايات المتحدة في مواجهة حالة تخلُّف عن السداد غير مسبوقة تنطوي على تداعيات قد تكون كارثية على الاقتصادَين الأميركي والعالمي؛ أو انخفاض حادّ في الإنفاق الحكومي، وهما احتمالان يهدّدان الاقتصاد العالمي، على اعتبار أن الأول يقوّض الثقة في أهمّ نظام مالي في العالم، فيما يؤدّي الثاني إلى دخول الاقتصاد في دوّامة ركود عميق لا يُتوقّع أن يَخرج أحد منها سالماً، وفق تقدير مجلّة «إيكونومست» البريطانية. واستباقاً، حذّرت وزارة الخزانة الأميركية من عواقب وخيمة إذا نفد النقد من خزينة الدولة لسداد مستحقّاتها، ودفع رواتب الموظفين الفيدراليين، والنفقات الحكومية الأخرى، ممّا يؤدّي تالياً إلى ارتفاع محتمل في أسعار الفائدة مع آثار غير مباشرة على الشركات والرهون العقارية والأسواق العالمية. وفي الاتجاه نفسه أيضاً، شدّد الرئيس الأميركي، جو بايدن، على أن الكونغرس يحتاج إلى رفع حدّ الدَّين من دون شروط لسداد النفقات التي تمّت الموافقة عليها مسبقاً لدى مناقشة الموازنة، فيما يريد الجمهوريون، بزعامة رئيس مجلس النواب كيفن مكارثي، أن يوافق الرئيس على تخفيضات كبيرة في الموازنة لضمان موافقتهم. وتتأمّل السوق العالمية، في هذا الوقت، في أن تجد السلطات الأميركية مَخرجاً، علماً أن اللجوء إلى رفع سقف الدَّين العام مرّة بعد أخرى ليس الخيار الأمثل، لأنه يجعل أساس النظام المالي الأميركي أقلّ استقراراً في كل مرّة. فقد تمّ رفع سقف الدين 78 مرّة منذ عام 1960 - 49 مرّة في ظلّ رئيس جمهوري، و29 مرّة في عهد رئيس ديموقراطي -، فيما تجاوز حجم الدَّين في أميركا، حجمَ الناتج المحلّي للبلاد، للمرّة الأولى، في عام 2013، ليبلغ 16,7 تريليون دولار، وصولاً إلى 31,4 تريليون دولار، مرتفعاً بنسبة 88% خلال السنوات العشر الأخيرة. وفي حال تعطُّل الحلّ، سيتعيّن على وزارة الخزانة اتخاذ «تدابير استثنائية» لتجنُّب كارثة مالية، في حال وصول الحكومة الأميركية إلى سقف الدين العام، وهو ما أكده أندرو هانتر، نائب كبير الاقتصاديين الأميركيين في «كابيتال إيكونوميكس»، عندما قال: «إنّنا» في وضع كارثي محتمل من شأنه أن يؤثّر على السوق المالية»، ذلك أن الكثير من الاقتصادات حول العالم يرتبط بالدولار الأميركي من خلال التجارة والاستثمار. وفي هذا الإطار، قال رئيس «البنك الدولي»، ديفيد مالباس، إن احتمال تخلُّف الولايات المتحدة عن سداد ديونها «يزيد من المشكلات التي يواجهها الاقتصاد العالمي المتباطئ»، في وقت تتراجع الاستثمارات اللازمة لزيادة الإنتاج نتيجة ارتفاع أسعار الفائدة ومستويات الديون.

أزمة سقف الدَّين الأميركي قضيّة مالية حسّاسة، تتمحور باختصار حول أن معدّلات إنفاق الحكومة الأميركية أعلى بكثير من إيراداتها. ولمأ، هذه الفجوة بين النفقات والإيرادات، تُصدر الحكومة سندات تُعدّ واحدة من أهمّ أدواتها للاقتراض، وهي مع هذا، وبخلاف معظم الدول، تضع سقفاً للمبالغ التي يمكنها اقتراضها، ما يمنعها تالياً من الاقتراض بلا حدود. وهكذا، عندما يصل الدَّين العام الأميركي إلى الحدّ الأقصى المسموح به، تتوقّف وزارة الخزانة عن إصدار المزيد من السندات، وتجد نفسها أمام مأزق مالي يمنعها من تلبية التزاماتها، فيتدخّل الكونغرس، الجهة المخوّلة رفع سقف الدين، والذي لا يمكن الحكومة تخطّيه. وعلى مدى العقود الماضية، تجنّب الكونغرس خرق حدود الدين العام، لكن الجمهوريين، وهم الغالبية في مجلس النواب الحالي، قالوا إنهم «لن يدعموا زيادة سقف الديون هذه المرّة، ما لم يتمّ تخفيض الإنفاق الحكومي أو الحصول على تنازلات أخرى»، علماً أن رفع سقف الديون لا يعدّ مشكلة كبيرة عندما يكون هناك جمهوري في البيت الأبيض، إذ رفع الجمهوريون في الكونغرس سقف الدين ثلاث مرّات في عهد الرئيس دونالد ترامب. لكن مكارثي تعهّد «بعدم الانصياع» لطلب بايدن رفع السقف، وذلك خلال مفاوضات انتخابه رئيساً لمجلس النواب في كانون الثاني الماضي، وهو ما يدلّل على البعد السياسي للأزمة.

يقول بايدن إن التخلّف عن سداد الالتزامات المالية للحكومة ليس بديلاً، في حين يؤكد مكارثي أنه لن يتنازل عن تخفيض كبير في الإنفاق العام بمقدار يقترب من 1,5 تريليون دولار في موازنة 2024. وثمّة مَن يرى أنه يمكن التوصّل إلى حلّ وسط يمكن من خلاله تبنّي تخفيض محدود في الإنفاق الحكومي بمعدّل نصف ما يطالب به الجمهوريون، أي عند حدود 700 مليار دولار في موازنة العام المالي المقبل.

اللجوء إلى رفع سقف الدين العام مرّة بعد أخرى، يجعل أساس النظام المالي الأميركي أقلّ استقراراً في كل مرّة (أ ف ب)

قضية

قمّة الصين - آسيا الوسطى لنا عالمنا... وللغرب عالمه

خضر خروبي

قمّتان منفصلتان في توقيت واحد: «قمّة الأعنياء» التي جمعت السبع الكبار في هيروشيما اليابانية، وعلى المقلب الآخر، وتحديداً في الصين، رائدة بلدان «العالم النامي» الفقير بغالبيته، قمّة رئاسية (19 أيار) بين زعيم ثاني أكبر اقتصاد على المستوى الدولي، وقادة بلدان آسيا الوسطى، التي تُعدّ بعض أقطارها إحدى أكثر دول العالم فقراً. هي صورة مصغّرة عن انفصام كوني متفاقم، تفسّره النخبة الغربية بمساعي الرئيس الصيني، شي جين بينغ، لتأسيس عالم «متعدّد الأقطاب»، لم تَعُد فيه الولايات قوة عظمى وحيدة. وعلى هذا الطريق، تخوض بكين إحدى أعظم معاركها بغير سلاح، عارضة نموذجها السياسي والاقتصادي والتنموي في وجه السياسات الغربية، الهادفة إلى حصارها أمنياً واقتصادياً وتكنولوجياً.

آسيا الوسطى: «القرن الصيني» يمرّ من هنا

تُعدّ قمّة الدول الخمس (إلى جانب الصين)، التي تحدّها روسيا من الشمال، وإيران وأفغانستان من الجنوب، والصين من الشرق، أحدث مشاركة لشي في قمّة دولية رفيعة المستوى متعدّدة الأطراف. وقد حمل انعقادها في مدينة شيان، مدلولات رمزية بالغة، كون المدينة الصينية تشكّل إحدى محطّات «الحزام والطريق» الواصلة بين الصين وأوروبا عبر بلدان آسيا الوسطى، ونقطة انطلاق «طريق الحرير» بنسخته القديمة العائدة إلى خمسة آلاف عام، على نحو يؤهّلها من منطلقات التاريخ والجغرافيا، ووفق حسابات الاقتصاد والسياسة، لتكون طريق الصين للعبور إلى العالم.

وعلى مدى الأعوام الأخيرة، تتالت المؤشّرات في شأن الأهمية التي بات يعلّقها الرئيس الصيني على بلدان آسيا الوسطى، التي تتشارك ثلاث منها حدوداً مع بلاده، هي قرغيزستان، طاجيكستان، وكازاخستان. فالصين استثمرت مليارات الدولارات في إنشاء مشاريع البنى التحتية هناك، ومن بينها تأسيس محطة للطاقة الكهربائية في قرغيزستان، إضافة إلى بناء خطوط أنابيب الطاقة، ولا سيما في كلّ من كازاخستان وتركمانستان الغنيّتَين بالثروات الهيدروكربونية، والتي يمرّ عبرها 30 في المئة من واردات بكين من الغاز الطبيعي، فيما تبلغ قيمة التبادل التجاري للصين مع تلك الدول مجتمعةً 70 مليار دولار.

كذلك، وقبل عقد من تدشين «قمّة شيان» كأول قمّة بين الصين وبلدان آسيا الوسطى، أطلق شي، ومن دولة كازاخستان تحديداً، المقرّر أن تستضيف القمّة القادمة للمجموعة عام 2025، مشروع «الحزام والطريق»، المقدّرة تكلفته بنحو تريليون دولار، كنواة سياسية واقتصادية لمشروعه الدولي الطموح لقيادة العالم نحو «القرن الصيني»، وفق ما يسمّيه الإعلام الغربي. كما كانت العاصمة الكازاخية المحطّة الخارجية الأولى لشي خارج بلاده بعد ثلاث سنوات من سياسة «صفر كوفيد».

> **قمة شيان: العالم من منظور شي**
>
> خلال القمّة الأخيرة، تحدّث شي عن تغيّرات لم يشهدها العالم منذ قرن، مشيداً بموقع آسيا الوسطى على تقاطع الطرق الذي يربط أصقاع الأرض شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. وإذ أعلن بدء «عصر جديد» في العلاقات مع هذه المنطقة على مختلف الصعد، فقد دعا إلى تسريع بناء «الخطّ D»، وهو رابع مشروعات التطوير في خطّ أنابيب الغاز الواصل بين إقليم شينجيانغ وآسيا الوسطى. وفي إطار عرض رؤيته الأوسع للديناميات الجديدة التي يجب أن يُبنى عليها النظام العالمي الجديد، شدّد شي، وبنفس «كونفوشيوسي»، على أهمية «الالتزام بالمبادئ الأربعة» القائمة على المساعدة المتبادلة والتنمية المشتركة والأمن العالمي والصداقة الأبدية على مستوى العلاقات بين بلدان المجموعة، منبّهاً إلى ضرورة محاربة ما وصفها بـ«الشرور الثلاثة»، في إشارة إلى النزعات الانفصالية، والإرهاب، والتطرّف.

ولعلّ البند الأهمّ على جدول أعمال القمّة، تَمثّل في الخطّة الأمنية والدفاعية واسعة النطاق التي طرحها شي على قادة البلدان المشاركة. وفي مؤشّر بالغ الدلالة إلى التقارب في الرؤى بين القادة المجتمعين حول مستقبل النظام المالي والنقدي الدولي، أبدت قيرغيزستان اهتمامها بالتجارة مع الصين باستخدام اليوان، وذلك بالتزامن مع تعمّق العلاقات الاقتصادية بين الأخيرة وعدد من الدول الأخرى، الطامحة إلى استخدام العملة الصينية في مبادلاتها التجارية مع بكين، كالبرازيل، وبنغلاديش، فضلاً عن روسيا، الحليف الأمني والتجاري

> **استراتيجية شي تقوم على استمالة البلدان غير الغربية، التي تميل بصورة عامة نحو مبدأ عدم الانحياز**

الوازن الآخر لدول آسيا الوسطى. ومن هنا، قرأ مراقبون في «شيان» ومخرجاتها جزءاً من «هدف الصين الأشمل على المدى البعيد، والرامي إلى تعزيز الشراكات الاقتصادية والسياسية مع الدول التي تتشارك معها طريقة التفكير نفسها، لناحية إعداد سبل مواجهة ما تعتبره نظاماً دولياً تهيمن عليه الولايات المتحدة». وفي هذا الإطار، يرى الباحث في «مدرسة راجاراتنام للعلاقات الدولية» في سنغافورة، رافايلو بانتوتشي، أن القيادة الصينية «تحاول تسليط المزيد من الأضواء على هذا النوع من القمم والمنابر الدبلوماسية الدولية، التي تُبرز اضطلاعها بدور محوري (سياسياً واقتصادياً وأمنياً)، على حساب الغرب»، مضيفاً أن ذلك إنّما هو «جزء يسير من الرواية الصينية الأوسع، والتي تقول إن هناك نظاماً عالمياً جديداً قيد التشكّل». وفي الاتّجاه نفسه، نشرت مجلّة «دي إيكونوميست»، أخيراً، مقالاً تحت عنوان: «العالم من وجهة نظر شي»، لافتةً إلى أن الأخير يروّج لمقولة «التعايش السلمي» بين الدول، فيما هدفه الفعلي هو العمل على إعادة تشكيل النظام الدولي القائم منذ عام 1945. وتستعرض المجلّة البريطانية المبادرات الثلاث الرئيسة التي طرحها الزعيم الصيني، معتبرة أن «مبادرة الأمن العالمي» تتمحور حول مقاومة جهود احتواء بكين عسكرياً، فيما تتركّز «مبادرة التنمية الدولية» على الترويج للنموذج التنموي والاقتصادي لبلاده بعيداً من الشروط والإملاءات الغربية. أمّا جوهر «المبادرة الحضارية العالمية»، فالردّ على «الدعاوى» الغربية في شأن قضايا حقوق الإنسان على المستوى الدولي، سواءً في إقليم شينجيانغ أو مناطق أخرى، واعتبارها نوعاً جديداً من السياسات الاستعمارية.

والواقع أن تلك الرؤى تجد ما يؤيّدها في أوساط دبلوماسية أوروبية تعتبر أن الصراع الدولي الدائر راهناً، ليس بين محاور «ديموقراطية» وأخرى «سلطوية»، بقدر كونه صراعاً على الشكل المنشود للنظام الدولي المستقبلي. وفي هذا الاتّجاه، يرى مدير «المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية»، مارك ليونارد، أن «استراتيجية شي تقوم على استمالة البلدان غير الغربية، التي تميل بصورة عامة نحو مبدأ عدم الانحياز، والتعامل بصورة انتقائية وفق ما تمليه مصالحها»، مضيفاً أن «الزعيم الشيوعي» يحرص على تقديم نفسه بصورة «البطل المدافع عن المبدأ المذكور»، توازياً مع الترويج لمفهومه الخاص عن «الديموقراطية»، والذي يراه محصوراً بقدرة الدول على التحرّر من «الهيمنة الغربية». وربطاً بمخرجات قمّة شيان، يلفت المحلّل الصيني، تشين تشيوي، من جهته، إلى أن «بلدان آسيا الوسطى، على غرار العديد من بلدان الجنوب العالمي، ترفض الدخول في محاور تحت ضغوطات (الغرب)»، متحدّثاً عن وجود «إجماع قوي بين الصين وبلدان آسيا الوسطى على الوقوف في وجه محاولات القوى الخارجية تهيئة الأرضية لقيام ثورات ملوّنة فيها».

هاجس شينجيانغ

كذلك، لا يمكن إغفال ما تضمّنه بيان قمّة شيان، في ما يخصّ عدداً من القضايا التي تشكّل حساسية بالغة في الحسابات الصينية. فمن جملة مكاسب بكين الدبلوماسية خلال القمّة، تعهُّد القادة المشاركين بعدم التدخّل في أزمتَي تايوان وهونغ كونغ، أو انتقاد سياسات الحكومة الصينية في إقليم شينجيانغ. وبحسب محلّلين غربيين، تقيّم الصين عالياً تلك التعهّدات، بخاصة في شقّها المتعلّق بالإقليم الواقع على حدودها الغربية، سواءً على خلفية الروابط العرقية والثقافية والإثنية بين المجتمعات الإسلامية في الدول المذكورة من جهة، وبين أقلّية الإيغور التي تشكّل قرابة نصف سكّان شينجيانغ من جهة أخرى، أو على خلفية ما تثيره المساعي الغربية لاستخدام «ورقة الإيغور» من مخاوف أمنية طويلة الأمد لدى الصينيين. من هنا، تجزم الباحثة المتخصّصة في الشؤون الصينية في «المجلس الأطلسي للبحوث»، نيفا لياو، بأن «الهدف الأسمى للصين في منطقة آسيا الوسطى، التي تزوّد اقتصادها بموارد الطاقة والمواد الخام، هو حثّ بلدان المنطقة على دعم جهودها التي تصبّ في خانة تعزيز شرعيتها (السياسية) على شينجيانغ»، في ظلّ تنامي نشاط الجماعات المتطرّفة هناك، وبخاصة «حركة تركستان الشرقية»، بعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان المجاورة. وتُذكّر لياو بأن هواجس بكين المتعلّقة بشينجيانغ، بخاصة الأمنية منها، لطالما شكّلت «الدافع الأساس» خلف مبادراتها تجاه بلدان آسيا الوسطى، وسعيها الدائم إلى التواجد فيها، مضيفةً أن بكين تهدف، من خلال استضافتها للقمّة، إلى طمأنة المشاركين إلى أنها «قادرة على توفير الدعم للمنطقة». في المقابل، «تفتقر الولايات المتحدة إلى المستوى نفسه من الحافزيّة والحماسة للانخراط الفاعل في البلدان المذكورة، وهو ما يتجلّى من خلال قيامها بمشروعات لا تُقارَن بتلك التي تنفّذها الصين فيها»، وفق لياو.

قمة شيان في مرآة الصراع الصيني - الاميركي

انطلاقاً من واقع المنافسة الأميركية - الصينية في آسيا الوسطى، اعتبرت مجلّة «نيوزويك» أن ما تمخّضت عنه القمّة الأخيرة يعطي دلائل واضحة في شأن «نجاح الصين في تأسيس موطئ قدم في منطقة، تُعدّ نطاق نفوذ إقليمياً لروسيا، وتفوّقها على الولايات المتحدة»، مشيرة إلى أن القمّة أظهرت وجود «إجماع إقليمي» على حتميّة العلاقة مع كلّ من الصين وروسيا، ولا سيما وأن البلدان الغربية أخفقت بعد خروجها من المنطقة عام 2014، في العودة إليها لعدّة عوامل، في طليعتها تنامي الحضور الروسي العسكري والأمني هناك، عبر «منظّمة الأمن الجماعي»، وفق ما بيّنته أحداث الأزمة الكازاخية عام 2022، فضلاً عن تعزّز الروابط الاقتصادية بين دول تلك المنطقة وبين الصين. وبحسب صحيفة «نيويورك تايمز»، فقد لعبت مخاوف بلدان آسيا الوسطى من إمكانية وقوعها تحت وطأة عزلة اقتصادية غربية جرّاء تدهور علاقات واشنطن بكلّ من بكين وموسكو، دوراً كبيراً في توجّهها نحو تعميق علاقاتها مع أكبر جارتَين لها.

أمّا على المقلب الغربي، فقد دأبت كلّ من واشنطن وبروكسل، في الأشهر الأخيرة، وتحديداً منذ بدء الحرب في أوكرانيا، على إيفاد كبار مسؤوليها إلى البلدان الخمسة، ومن ضمن ذلك زيارة قام بها وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، في شباط الماضي، تخلّلها عقد اجتماعات مع قادة تلك البلدان، لم تفلح في إقناعهم بالانضمام إلى الإجراءات العقابية ضدّ روسيا. وفي هذا الصدد، توضح الباحثة في «المعهد الدنماركي للدراسات الدولية»، بانغ جيانغ، مدى الإخفاق الكبير الذي لاقاه بلينكن لدى محاولته تقديم ضمانات أمنية واقتصادية لهؤلاء الزعماء، مرجعةً ذلك إلى عدم إيفاء الولايات المتحدة بوعودها التنموية للمنطقة منذ سنوات، على خلفية تخصيص الجزء الأكبر من مواردها العسكرية والاقتصادية لمناطق أخرى، بخاصة «الباسيفيك»، فضلاً عن إعطاء واشنطن الأولوية للجانب الأمني، وإنْ ضمن سقف محدود، في تفاعلاتها مع آسيا الوسطى. كما تلحظ جيانغ اختلاف النظرة بين بلدان هذه المنطقة والولايات المتحدة تجاه الصين، مبيّنةً أن «واشنطن تحاول أن تروّج لبكين بوصفها تهديداً»، وهو ما لا توافقها عليه حكومات آسيا الوسطى.

على مدى الأعوام الأخيرة، تتالت المؤشّرات في شأن الأهمية التي بات يعلّقها الرئيس الصيني على بلدان آسيا الوسطى (أ ف ب)

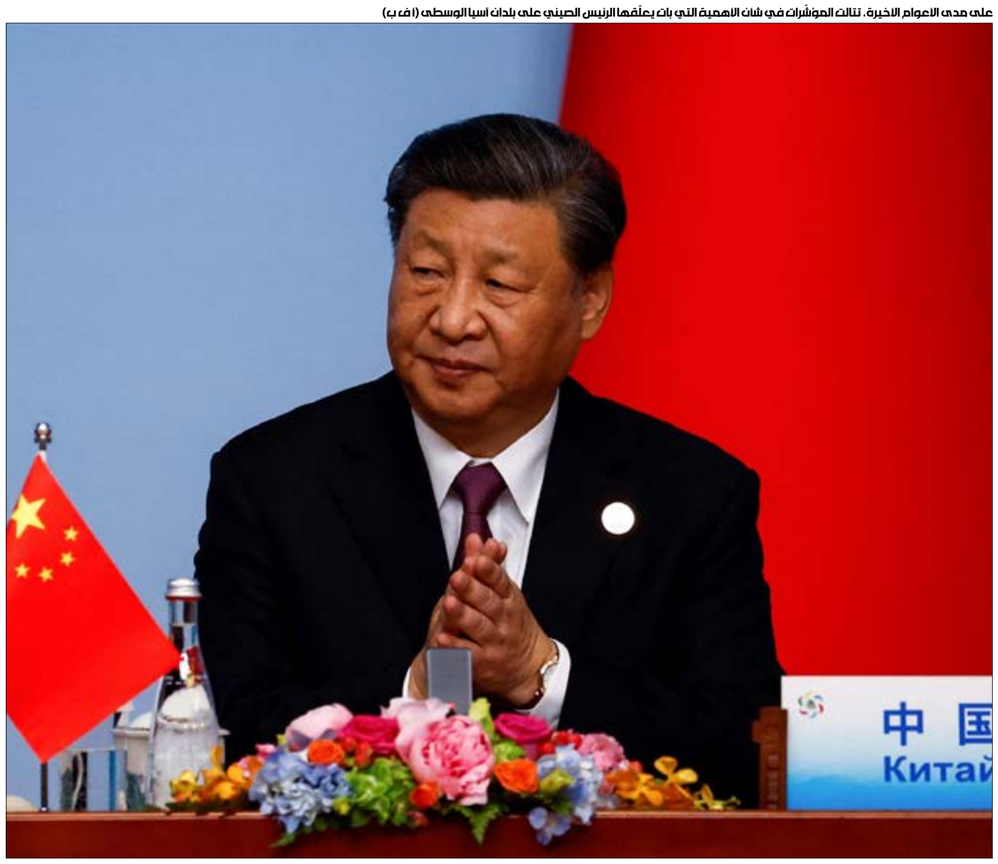

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
دولة نائب رئيس الوزراء النائب السابق
الدكتور الياس سابا
المنتقل إلى رحمة الله تعالى
الإثنين الواقع فيه 22 أيار 2023

انتقل إلى رحمة الله تعالى
رئيس المؤتمر الشعبي اللبناني
الأخ كمال شاتيلا
يصلى على جثمانه الطاهر بعد صلاة ظهر غد الأحد 28 أيار 2023 في مسجد الخاشقجي ويوارى في الثرى في جبانة الشهداء، قصقص، بيروت.
تقبل التعازي للنساء والرجال بعد الدفن مباشرة في مسجد الخاشقجي، ويومي الثاني والثالث في مسجد محمد الأمين، قاعة الرئيس الشهيد رفيق الحريري، ساحة الشهداء، وسط بيروت من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السابعة والنصف مساءً.

ذكرى

بمناسبة مرور أسبوع
على وفاة المرحوم القاضي الدكتور
عبد اللطيف مصطفى الحسيني
تُقبل التعازي يوم الإثنين الواقع فيه 29/5/2023 في منزله الكائن في - فردان - خلف جامع السلام الطابق الرابع - بناية Verdun gate من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساءً.
إنّا لله وإنّا إليه راجعون
الراضون بقضاء الله وقدره آل الحسيني

إعلانات رسمية

بطلان زواج
روبير جرجي باز _ مادلان يوسف البعيني
أبرشية جبيل المارونية
دعوى رقم 2021/717
إعلان قضائي
إن المحكمة الابتدائية الموحدة المارونية تدعو الزوجة المستدعى بوجهها مدلان يوسف البعيني لتبلغ طلب إضافة سبب جديد للبطلان وللممثول يوم الخميس 2023/6/15 عند الساعة العاشرة صباحاً بغية جلسة إعادة حصر موضوع النزاع كما لتبلغها للجلسة الأولى التي عقدت في 2023/5/4 وأسماء الهيئة الحاكمة.
زوق مصبح في 2023/5/24
المسجل
الخوري مارون فرح
الخوري
الرئيس القاضي هنري كرم

بطلان زواج
شربل الياس شقير - نور سهيل بيلوني
الأبرشية البطريركية - جونيه
إعلان قضائي II
إنّ المحكمة الابتدائية المُوحدة المارونية تدعو الزوجة نور سهيل بيلوني مجهولة محل الإقامة، لتبلغ فحوى جلسة حصر موضوع النزاع وأسماء الهيئة الحاكمة، كما ومنحها مُهلة خمسة عشر يوماً من تاريخ النشر لتقديم دعوى إذا رغبت.
والمُثول يوم الخميس 6 تموز 2023 عند الساعة العاشرة صباحاً بغية استجوابها؟
الرئيس
الخوري هنري كرم

إشتراكات
وفيات
إعلانات رسمية وصوبوة
01-759500
71-513571
www.al-akhbar.com

استراحة

كلمات متقاطعة 4318

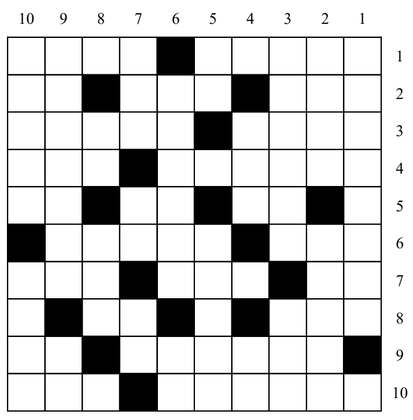

أفقيا

1- ملامح فكرية – رتبة عسكرية – 2- مدينة فرنسية – قرّ – لحم غير مطبوخ – 3- بطرح سؤالاً – مدينة مصرية – 4- دولة افريقية – وكالة أنباء عربية – 5- عملة آسيوية – أغلظ أوتار العود – أمر خفيّ – 6- يغطي جلد الأرنب – عُرف قديماً ببحر الأرخبيل – 7- رجع وعطف – شحذ السكين وصقله – من الحيوانات – 8- باطل وكذب – طعم الحنظل – 9- مدينة إيطالية – بواسطتي – 10- أقوى قطع أسطول المانيا النازية – مئة سنة

عمودياً

1- شاعر لبناني زجلي راحل – 2- أديب وشاعر تركي راحل له «سيرة النبي» – أحد قتلة يوليوس قيصر – 3- عائلة شيخ وأديب لبناني راحل درس في الأزهر – غزال أبيض – 4- صفة الجسم من السواد والبياض والحمرة – نوتة موسيقية – 5- إله – مدينة هندية – 6- من رجال التوراة – خاصتك – 7- من الحبوب – رمى الشراب من فمه – نوتة موسيقية – 8- متشابهان – يسحب – 9- يسابقهم – إحسان – 10- عملة عربية – فضة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- السيسي – شغف – 2- البرتغال – 3- سيرك – سالتو – 4- تايمز – له – 5- رَب – هانيمان – 6- لام – مهر – دس – 7- ين – جبران – 8- تين – نسر – 9- معان – يمن – 10- صور – الملح

عمودياً
1- اوسترليتز – 2- بابانى – 3- ساري – نمو – 4- بلكمه – عر – 5- سب – زامبيا – 6- برس – نهر – نا – 7- تاليران – 8- شغلهم – نسيم – 9- غات – اد – رمل – 10- فلورنسا – نح

sudoku 4318

8		6		3		9		
		1		2				4
2			5		6	8	1	3
		9			2	5		
7	1			8			4	9
		3	9			1		
		2	1		5			
5				4			2	
	4	7		6				

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4317

8	7	6	4	9	1	5	3	2
3	1	4	2	8	5	6	7	9
9	2	5	3	6	7	4	8	1
5	6	2	9	4	8	7	1	3
4	8	7	1	3	2	9	6	5
1	9	3	5	7	6	8	2	4
2	5	8	7	1	4	3	9	6
7	4	9	6	2	3	1	5	8
6	3	1	8	5	9	2	4	7

مشاهير 4318

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديب ومؤرخ وراهب يسوعي وُلد في حلب (1887-1977). عاش فترة طويلة في لبنان
7+6+8+9 = حلف شمال الأطلسي ■ 2+1+5+3 = حب الرمان ■ 10+11+4 = تأتي بعد

حل الشبكة الماضية: هنري دو تورين

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

مقابلة | أجرتها جوليا قاسم

نكوسي ماندیلا

لدعم فلسطين «بالأفعال»

نكوسي زويليفليك ماندیلا، المدافع عن القضية الفلسطينية، وهو حفيد الثائر الجنوب أفريقي نيلسون ماندیلا، أجريت معه هذه المقابلة قبيل جولته التي نظمتها شبكة الجالية الفلسطينية في الولايات المتّحدة (USPCN) وشملت المدن الأميركية الكبرى، في الفترة الممتدة من 15 إلى 20 أيار، بمناسبة الذكرى الـ75 للنكبة

■ بالنظر إلى التضامن طويل الأمد ضد الاستعمار الداخلي، كيف تشاركت جنوب أفريقيا وفلسطين النضال ضد الاستعمار الاستيطاني؟

حسناً، لقد تمتعنا بعلاقات وثيقة - أي جنوب أفريقيا وإخواننا وأخواتنا الفلسطينيين - خلال أحلك أيام النضال، وقفوا جنباً إلى جنب معنا، وكما اعتاد جدي أن يقول، فخلال أحلك أيامنا في النضال، دعمونا ووقفوا إلى جانبنا، وأتذكر أن جدي قال أيضاً إنه خلال أصعب الأيام التي شهدناها في التاريخ، كانوا مصدر إلهام، إذ كانوا يشهدون الشجاعة البطولية للفلسطينيين الذين يقاتلون دولة الفصل العنصري.

هنا في جنوب أفريقيا، ظهر الفصل العنصري في عام 1948 مع صعود الحزب الوطني. في الوقت نفسه، نمارس الضغط على المؤسسات الدولية لاتخاذ موقف والتحدث علانية ضد هذا التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي تركب بحق الفلسطينيين.

■ أين ترون مسار الاحتلال في فلسطين اليوم؟ ومن خلال رحلاتك إلى فلسطين، إلى أي حالة وصل الاحتلال اليوم؟

لقد زرت فلسطين مرة واحدة فقط في عام 2017، ويمكنني أن أؤكد لكم أنه لن يُسمح لي بالعودة مرة أخرى، نحن كجنوب أفريقيين نتنقل عبر أراضي بلدنا وقارتنا للترويج لدعم القضية الفلسطينية. نحن نضغط على برلمان عموم أفريقيا لضمان أن القضية الفلسطينية تحتل مكانة عالية على جدول الأعمال. كما عقدنا مؤتمرات في داكار وكذلك في كينيا للتعبئة.

نحن نجد أنفسنا متصلين بسهولة بالكفاح الفلسطيني، لأن الكثير منا اضطر إلى تحمل 350 عاماً من الاستعمار في جنوب أفريقيا، إلى جانب 50 عاماً من نظام الفصل العنصري الوحشي. ولكن في ما يتعلق بالانخراط في القارة الأفريقية، فاللوبي الإسرائيلي كان قوياً جداً في التسلل إلى دولنا، حيث أتوا ببرامجهم الأمنية لرؤساء دولنا، كما جلبوا تقنيات تحلية المياه إلى بعض البلدان. كان علينا أن نقوم بحملة معارضة لضمان حصولنا على دعم من القارة الأفريقية. بيد أنه، ومن خلال ما يجري في جامعة الدول العربية، وفي العالم العربي أيضاً، فقد رأينا الأمور تتحول لمصلحة الفلسطينيين، إذ وبالرغم من تطبيع عدد من البلدان، بدأنا نرى عقب الهجمات والممارسات الوحشية الأخيرة، أن العديد من الدول داخل جامعة الدوَل العربية بدأت بالنظر في هذه المسألة واستمداد الدعم من بعضها البعض.

نحن، كناشطين على الأرض، نتحمس جداً لرؤية السعودية وإيران تبدأن في إجراء محادثات، مثالاً واضحاً على انتهاكات القانون الدولي. كما شهدنا، خلال العبور من أريحا إلى رام الله إلى الخليل إلى القدس نقاط التفتيش التي تظهر بوضوح أن النظام الصهيوني لديه مجموعة من القواعد لمن يعيشون في ظل نظامه وقواعد وتشريعات مختلفة لمن يعيشون في فلسطين المحتلة. يواجه الفلسطينيون فظائع ترتكب ضدهم بشكل يومي، حتى أن معظمهم يتعرضون للقتل. اليوم، قُتل ما يقرب من 100 فلسطيني، معظمهم من الأطفال، فيما الجماعات المعنية بحقوق الطفل، صامتة جميعها. وكل تلك المجموعات النسوية والتي تعنى بشؤون النساء تغض النظر عندما يتعلق الأمر بالنساءَ الفلسطينيات. ونحن كجنوب أفريقيين لم نعد نتسامح مع ذلك، ولهذا السبب نمارس الضغط على المؤسسات الدولية لاتخاذ موقف والتحدث علانية ضد هذا التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي تركب بحق الفلسطينيين.

■ هل ترى مستقبلاً في جنوب أفريقيا لمقاومة الصهيونيةً بجميع أشكالها؟ وكيف تصف الجهود التي تبذلونها كناشطين ضد النفوذ الصهيوني في بلد له تاريخ غني في مقاومة الفصل العنصري؟

حزبنا والحكومة يتعاملان معنا بآذان صاغية. هما يستمعان إلى الناس، ويحاولان أن يعكسا بأفضل طريقة ممكنة القضايا التي تعبر عنها جماهير شعبنا. لدينا وزيرة استثنائية للعلاقات الدولية، وهي لم توفر للحظة (ملاحقة) الفصل العنصري الذي تمارسه إسرائيل، ولا تخشى أبداً أن تسميه على حقيقته. لقد وجّهت دعوة عالمية مفادها أنه إذا أرادت المحكمة الجنائية الدولية أن يأخذها القادة الأفريقيون على محمل الجد، فعليها إصدار مذكرة اعتقال بحق قادة الفصل العنصري الإسرائيليين جميعهم. نأمل في أن يبدأ القادة الشجعان مثلها في الظهور إلى الواجهة داخل منظمتنا وحكومتنا. لكننا نحتاج، في جميع أنحاء قارة أفريقيا، إلى التزامات ثابتة، وأن لا نعبّر عن دعمنا لفلسطين بالأقوال، إنما بالأفعال أيضاً. في مقابلة في الولايات المتحدة، قال جدي إن ياسر عرفات وفيدل كاسترو ومُعمر القذافي قادة لا يدعمونها بالكلمات فحسب، بل يضعون الموارد بين أيدينا. وهذا ما يبحث عنه الفلسطينيون، وهذا ما يطلبه الفلسطينيون منا: منحهم الدعم اللازم لتحقيق الحرية خلال فترة حياتنا.

أفريقيا اليوم؟

كانت هناك بعض المحاولات لتكثيف تغلغل بعض حركاتنا - حتى في «المؤتمر الوطني الأفريقي» [الحزب السياسي الحاكم الرئيسي في جنوب أفريقيا] الذي قدّم دعمه الكامل لفلسطين. نحن ندعو قطر، وندعو «حماس»، ولكن في الوقت نفسه يكون مجلس النواب اليهودي لجنوب أفريقيا حاضراً في اجتماعاتنا. ونحن مندهشون تماماً من هذا. لم يعد بإمكاننا التسامح مع حكومة تتعهد من ناحية بتقديم الدعم الكامل للشعب الفلسطيني، بينما تمنح من ناحية أخرى تأشيرات مجانية لجميع الصهاينة القادمين من إسرائيل القائمة على الفصل العنصري، فيما إخواننا ورفاقنا في السلاح في فلسطين يحتاجون إلى تأشيرة للمجيء إلى جنوب أفريقيا. وهذه هي المعايير المزدوجة التي ندعو حكومتنا إلى التخلي عنها. إذا كنا مخلصين لرفاقنا وإخواننا وأخواتنا في السلاح في فلسطين، فعلينا قطع جميع العلاقات مع «إسرائيل الفصل العنصري». هذا هو نداؤنا كناشطين على الأرض. يمكننا أن نكون أعضاء فخورين في حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، لكن يجب أن ندلهم على الخطأ عندما نراه. ولهذا السبب، في ما يتعلق بمسألة النضال الفلسطيني، لن نوفر أحداً وسنقول الحقيقة للسلطة، وبالتالي نحن في منطق صادق ندعو إلى «عقد مؤتمر صادق للتضامن أجل فلسطين». ونحن نعقد أيضاً مؤتمراً دولياً لفلسطين. هذه هي المبادرات التي نقوم بها. لا يمكننا أن ندع كيان الفصل العنصري هذا ينعم بالحرية في القارة، بعدما كنا عرضة لماض من الاستعمار الوحشي والأنظمة الوحشية، التي أجبرتنا على النضال من أجل التحرر، والوصول إلى الحريات التي نملكها اليوم.

■ كما ذكرت، جماعات الضغط الصهيونية موجودة في جميع أنحاء أفريقيا وتغلغلت بعمق كما هي الحال في دول أميركا الجنوبية مثل تشيلي. برأيك، ما وضع النفوذ الصهيوني في العنصري الوحشي. ولكن في ما يتعلق بالانخراط في القارة الأفريقية، فاللوبي الإسرائيلي كان قوياً جداً في التسلل إلى دولنا، حيث أتوا ببرامجهم الأمنية لرؤساء دولنا، كما جلبوا تقنيات تحلية المياه إلى بعض البلدان. كان علينا أن نقوم بحملة معارضة لضمان حصولنا على دعم من القارة الأفريقية. بيد أنه، ومن خلال ما يجري في جامعة الدول العربية، وفي العالم العربي أيضاً، فقد رأينا الأمور تتحول لمصلحة الفلسطينيين، إذ وبالرغم من تطبيع عدد من البلدان، بدأنا نرى عقب الهجمات والممارسات الوحشية الأخيرة، أن العديد من الدول داخل جامعة الدوَل العربية بدأت بالنظر في هذه المسألة واستمداد الدعم من بعضها البعض.

نحن، كناشطين على الأرض، نتحمس جداً لرؤية السعودية وإيران تبدأن في إجراء محادثات، والقتال بين المملكة العربية السعودية واليمن يقترب من نهايته، ونستمد الأمل من الحوار عن دعم الفلسطينيين. الرسالة وصلت إلى المجتمع الدولي، سواء في أوروبا أو في كندا أو الولايات المتحدة الأميركية، إلى جانب الدعم الساحق الذي ظهر من خلال الاحتجاجات في الشوارع، والذي يذكّر بالأعداد التي كانت موجودة في الشوارع لدينا خلال فترات حركة التضامن، وحملات مناهضة الفصل العنصري، وحملات «الحرية لمانديلا» (Free Mandela). نحن نعتقد أن نظام الفصل العنصري في إسرائيل هو حالياً في أسوأ حالاته، لأن الإسرائيليين باتوا يائسين وسيفعلون أي شيء لقتل المدنيين الأبرياء والنساء والأطفال الفلسطينيين. ولذا علينا أن نكثف كفاحنا. ندعو جميع الفلسطينيين، أولئك الذين يقاتلون في الداخل وأولئك الذين يقاتلون عبر المجتمع المدني والخطوط الحزبية إلى أن يتوحدوا، وأن يضعوا برنامجاً للاحتجاج، ولتفتيت نظام الحكم الإسرائيلي من الداخل، لأن هذا هو السبيل لضمان وصولنا إلى الحرية في حياتنا. إلا أن تحرر الفلسطينيين لا يأتي فقط من المقاومة الداخلية، بل إننا ندعو أيضاً الفلسطينيين في الشتات للمشاركة. هناك ما يقرب من 7 ملايين فلسطيني في جميع أنحاء العالم، ويجب أن يصبحوا سفراء فعالين في نضالهم من أجل التحرير، وأن يكونوا أصوات الفلسطينيين الذين يقاومون في الداخل. ومن خلال ذلك، سنكون قادرين على تعبئة الأعداد التي نحتاجها بشكل فعال.

«ثأر الأحرار»
في حسابات المعركة ونتائجها

قاسم س. قاسم

انتهت معركة «ثأر الأحرار»، إلا أن البعض شعر بأن إسرائيل خرجت منتصرة منها، باغتيال 6 قيادات عسكرية بارزة في «سرايا القدس»، الذراع العسكرية لحركة «الجهاد الإسلامي»، وأن المقاومة لم تحقق ما أرادته بإلزام إسرائيل بوقف سياسة الاغتيالات وإعادة جثمان الشهيد خضر عدنان. بالنسبة إلى البعض، فإن الأوضاع الحالية عادت إلى ما كانت عليه قبل ليلة الاغتيال في التاسع من الشهر الجاري، وما جرى هو تكرار للسيناريو نفسه للجولتين السابقتين. الأولى، بعد اغتيال قائد لواء الشمال في «السرايا» الشهيد بهاء أبو العطا في العام 2019، والثانية بعد اغتيال خليفة أبو العطا، الشهيد تيسير الجعبري، وقائد لواء الجنوب الشهيد خالد منصور، في آب الماضي.

قد يبدو للوهلة الأولى أن جزءاً من هذا الكلام صحيح. السيناريو نفسه تكرر ثلاث مرات، والغدر الإسرائيلي تكرّر لثلاث مرات ضد «الجهاد»، فلماذا لم تتخذ قيادات المقاومة أي إجراء لحماية نفسها، وهل كانت هناك تطمينات محلية أو إقليمية للحركة بأنه لا يوجد أي تصعيد إسرائيلي قريب؟ أسئلة كثيرة يمكن طرحها على هذا الصعيد، وذلك من باب الحرص على قيادات المقاومة كي لا تكون هدفاً سهلاً للعدو. إلا أنه من المعلوم بأن العدو الإسرائيلي يملك أقوى أجهزة استخبارات في العالم، أجهزة فعالة لدرجة أن تطلب منها دول مثل الولايات المتحدة الأميركية تنفيذ عمليات اغتيال في أماكن لا تستطيع أميركا نفسها الوصول إليها. إذاً، من يملك هذه القدرة الاستخباراتية فإن ساحة مثل قطاع غزة، ملاصقة له، مصنفة بأرض عدائية، هي أولوية، ومن الطبيعي أن تسعى استخبارات العدو، تحديداً جهاز الأمن العام (الشاباك)، إلى معرفة كل تفاصيله وإغراقه بالعملاء، وبالرصد البشري والتقني، وإلى ابتزاز الغزيين بمعيشتهم بهدف الحصول على معلومات حول هدف تريده.

قبل عملية اغتيال قادة «السرايا» الثلاثة، جهاد غنام وخليل البهتيني وطارق عز الدين، مطلع الشهر الجاري، راقب «الشاباك» هؤلاء القادة على مدى ثمانية أشهر، وذلك بحسب ما كشفته القناة 12 العبرية، إذ قالت القناة إن «عمليات الاغتيال مثل هذه هي عمليات مخطط لها، وليست عملاً ينفذ بقرار لحظي. المؤسسة الأمنية درست تصرفاتهم وأسلوب حياتهم بشكل جيد، على سبيل المثال من هم الأشخاص القريبون منهم وكيفية تحركهم من مكان إلى آخر».

إسرائيل معروفة بأنها لا تخرج إلى عمل عسكري أو أمني من دون أن تكون قد تيقّنت من اكتمال الصورة الاستخبارية لديها عن الهدف. لذلك لا تمانع إسرائيل من انتظار مدة طويلة لجمع المعلومات التي تريدها. وبحسب القناة العبرية فإنه «في اللحظة التي تمت فيها معرفة أماكن الشقق الآمنة (السرية) للقادة، جُمعت معلومات دقيقة، مثل الطابق والمكان الدقيق الذي يمكثون فيه. المعلومات الاستخبارية تشمل أيضاً تفاصيل عن المبنى نفسه، عدد الطوابق، عدد الشبابيك، هل يحتوي على بدروم». وشرحت القناة أن «المعلومات يتم جمعها من مصادر استخبارية عدة: عملاء في الميدان، استخبارات تقنية مثل الإشارات الصادرة عن الأجهزة الإلكترونية التي تحملها الأهداف، استخبارات بصرية عبر الطائرات المسيرة التي تحلق في أجواء القطاع، وهكذا يتم التعرف إلى مسارات تحرك الهدف. بعد استكمال الصورة الاستخبارية، تنقل المعلومات لسلاح الجو، ووفقاً للمعلومات الاستخبارية يتم تحديد نوع الذخيرة التي تستخدم في الهجوم». إذاً، نحن نقاتل هذا العدو، الذي يملك كل هذه المقدرات الأمنية المسخرة له لمواجهة تنظيمات صغيرة.

أمّا على الصعيد العسكري، فقد صُنّف جيش العدو الإسرائيلي، بحسب موقع «غلوبال فايربور» المتخصص في الشؤون العسكرية، في المرتبة الرابعة من بين أقوى الجيوش في الشرق الأوسط لعام 2023، وذلك بعد تركيا، ومصر وإيران. يبلغ عدد أفراد الجيش الإسرائيلي 635 ألف جندي بينهم 170 ألف جندي فاعل و465 ألف جندي في قوات الاحتياط. يمتلك 595 طائرة حربية متنوعة، منها 241 مقاتلة و23 طائرة هجومية، و15 طائرة شحن عسكري، إضافة إلى 154 طائرة تدريب، و23 طائرة لتنفيذ مهام خاصة و128 مروحية عسكرية منها 48 مروحية هجومية. ويوجد 42 مطاراً صالحاً للاستخدام لدى إسرائيل. كما يمتلك الأسطول الإسرائيلي 65 قطعة بحرية منها 5 غواصات و48 سفينة دورية، بالإضافة إلى 4 طرادات. أمّا في سلاح البر، فيمتلك جيش العدو 1650 دبابة و7500 مدرعة و650 مدفعاً ذاتي الحركة و300 مدفع ميداني، إضافة إلى 100 راجمة صواريخ. كانت ميزانية الدفاع الإسرائيلية في العام الماضي 16,6 مليار دولار.

على صعيد منظومات الدفاع الجوي، تنتج إسرائيل عبر شركة «رفائيل» أنظمة مثل «القبة الحديدية» و«مقلاع داود»، و«منظومة السهم» بالتعاون مع الولايات المتحدة. كما تطوّر أيضاً أشعة ليزر لتعزيز دفاعها الجوي متعدد الطبقات. إذ كشفت في العام الماضي عن تمكن وزارة الدفاع الإسرائيلية، بالتعاون مع شركة «Elbit Systems»، من تطوير سلاح بتقنية الليزر المحمول جواً، قادر على اصطياد الطائرات المسيّرة من السماء، بالإضافة إلى أهداف طيران أخرى، وسيعمل نظام أشعة الليزر على استهداف الصواريخ التي يقل مداها عن سبعة كيلومترات، بتسخينها ومن ثم تدميرها. وتمتلك إسرائيل، بحسب مجلة «the military balance» الصادرة في العام الماضي، 10 منظومات قبة حديدية للتصدي للصواريخ ذات مدى 5 و70 كيلومتراً، وكل منظومة لديها منصات إطلاق عدة، وكل منصة إطلاق تطلق 20 صاروخاً، ومقابل كل صاروخ يطلق من غزة فإن القبة تطلق ما يقارب صاروخين أو ثلاثة للتصدي لصاروخ واحد. كما تمتلك إسرائيل 3 بطاريات من منظومة السهم و4 بطاريات «باتريوت» وبطاريتين «مقلاع داود».

مجرد وقوف شخص أعزل معترض أمام آلة الحرب هذه هو انتصار بحد ذاته، فكيف إذا استمرت المقاومة في إطلاق الصواريخ حتى اللحظة الأخيرة

أمّا نظام «مقلاع داود» الذي تنتجه «رفائيل» بالتعاون مع شركة «رايثيون» الأميركية، فهو لإسقاط الصواريخ ذات مدى 70 إلى 300 كيلومتر، والمنتظر أن يحل محل منظومة «باتريوت» الموجودة في إسرائيل حالياً حين يكتمل إنتاجه واختباره بشكل شامل. كما تمتلك منظومة «السهم الدفاعية»، والتي أنتجت منها «السهم-1» و«السهم-2» خلال التسعينيات وتم تفعيلهما عام 2000 ضد الصواريخ بعيدة المدى، والأهم منظومة «السهم-3» التي أنتجت أخيراً من شركة الصناعات الجوية والفضائية الإسرائيلية بالاشتراك مع شركة «بوينغ» الأميركية عام 2008، وتستطيع اعتراض الصواريخ خارج الغلاف الجوي.

واجهت المقاومة الفلسطينية آلة الحرب هذه، أو جزءاً منها. واستطاع أصغر تنظيم في محور المقاومة، وذلك كما يعتبره العدو الإسرائيلي، من المناورة على منظومات الدفاع الجوي الإسرائيلي. على مدى خمسة أيام قصفت «سرايا القدس» وفصائل الغرفة المشتركة، العمق الإسرائيلي، وفي الساعة الأخيرة قبل دخول الهدنة حيز التنفيذ أطلق ما يقارب الـ100 صاروخ تجاه مناطق ريشون ليتسيون وتل أبيب.

هل انتصرت إسرائيل في هذه المعركة؟ بالتأكيد لا، مجرد وقوف شخص أعزل معترض أمام آلة الحرب هذه هو انتصار بحد ذاته، فكيف إذا استمرت المقاومة في إطلاق الصواريخ حتى اللحظة الأخيرة.

هل هزمت المقاومة؟ بالتأكيد لا، لكنها تلقت ضربة قوية إلا أنها أثبتت قدرتها على الإدارة والسيطرة في الميدان على رغم فقدان قادتها الميدانيين.

هل ارتدعت إسرائيل؟ بالتأكيد لا، وهي ستنفذ بعد فترة عملية اغتيال أخرى بحجج قديمة، إلا أنها قبل تنفيذها عملية الاغتيال ستكون قد فكرت مئة مرة قبل الخروج إلى تنفيذ عملية.

هل انتصرت المقاومة؟ بالتأكيد نعم، لأن الفعل المقاوم هو عمل تراكمي مستمر وغير محصور بجولة أو معركة، ولأن إسرائيل تدرك أن سياسة الاغتيال لن تردع المقاومين، وأن تل أبيب ستبقى تحت مرمى نيران المقاومة، وأن جولة التصعيد المقبلة لن تكون بعيدة، وهو ما عبّر عنه رئيس «الشاباك» السابق يوفال ديسكين في مقال على موقع «n12» بالقول: «أقترح علينا جميعاً أن نتجهز لموجة "الإرهاب" المقبلة و/أو جولة إطلاق القذائف المقبلة لأنها ستأتي، في يوم النكبة، أو مسيرة الأعلام القريبة، وإن لم تحدث، فبعد وقت قصير. وحينها، سيكون هناك مؤتمر صحافي أيضاً، حيث سيقف رئيس الحكومة ويشرح لنا عن أهمية الاغتيالات الناجحة الأخيرة، وعن قدرتنا على إلحاق الضرر بأعدائنا في كل مكان والكثير من الشعارات المستنفَدة والكاذبة والمتّبعة. وسيكون من الجيد أن تتذكروا، حينها، أنه لم يتغير شيء، ومن الجيد أن نتجهز مرة أخرى للجولة المقبلة بأسرع ما يمكن».

(أ ف ب)

البلاد

القدس التي نرى

موسى جرادات

نستفيق كل يوم على وقع أحداث دراماتيكية، تصبّ جميعها في خانة ما يحدث في القدس. الأحداث تتوالى في قلب المدينة؛ الاحتلال الذي يسعى دوماً، وفي كل مناسبة، لتذكيرنا أنه هو «السيد المنتصر»، وسكان المدينة وأهلها يحافظون على زمنهم، كأن هذا الاحتلال لم يكن. تتبدّل الأيام، وتأخذ السنون مجراها، فلا الاحتلال قادر على طي صفحة الماضي، بكل مزاميره وأساطيره، ومجموعات مستوطنيه، الذين يتنفسون الحقد صباح مساء، حقيقة ثابتة، ولكنها موجعة أيضاً، فالألم والحزن وسطوة الغزاة، هي الخبز اليومي الذي يحياه المقدسيون، مع سؤال «إلى متى؟».

تقول التقارير والدراسات الصادرة بعد أكثر من خمسين عاماً على احتلال بقية المدينة، إنّ سكان القدس الفلسطينيين ما زالوا يشكّلون 40% من سكانها، على الرغم من عشرات المخططات التهويدية التي لم تفلح في السطو على المدينة طوال تلك العقود، فلم تقدر بالتالي على إعلان الانتصار. والعاقل من يسأل، كيف يسعى هذا «المنتصر» في كل عام على إعلان «انتصاره» بمسيرة الأعلام التي تجوب أزقّة المدينة؛ هذه المسيرة رشوة للوعي الجمعي الصهيوني، الانتصار لحظة، لحظة واحدة، فيها مهزوم ومنتصر، وفي القدس تبدو في كل أيامها معركة متواصلة لم تنتهِ بعد.

60% من أهلها الفلسطينيين يعيشون عند حد الفقر، ومع هذا لا ينفكون عن الوجود في مدينتهم والذود عنها، ملتصقين بمساجدها وكنائسها، بمدارسها وكل معالمها، يرثون الأرض ومن عليها، ينتظرون لحظة الحرية، يقتنصونها من عيون المحتل، من أسواره وحواجزه، ومخططاته الاستيطانية، من عمليات مصادرة الأرض، وهدم البيوت. فهم يعلمون أن حقيقة وجودهم تقوم على سواعدهم التي شقت طريقها، وعرفت نقاط ضعف عدوها، على الرغم من تردي الواقع الفلسطيني، وارتماء النظام الرسمي العربي في أحضان عدوها، إلا أن أهلها، أحفاد كنعان، يدركون، وعبر ذاكرتهم الجماعية، أنّ غزاة قد مرّوا، وظنوا أنهم انتصروا، ثم عادوا واندثروا. يجيبون كل يوم عن سر صمودهم، كما أجاب شاعر فلسطين محمود درويش «هو أنت ثانية، ألم أقتلك، قلت: قتلتني ونسيت مثلك أن أموت».

منذ احتلال شطر المدينة الشرقي عام 1967، والشعب الفلسطيني يدفع فاتورة الدفاع عن القدس، باعتبارها العنوان الأبرز لقضيتهم. كل الانتفاضات والثورات التي خاضوها، والدم الذي سال من أجلها، والمقاومة المسلحة التي خاضوها، كانت دوماً تحول دون تغول الاحتلال، وتدفعه دوماً إلى الانكفاء، بعد أن تخرس مكبوته التلمودي وأساطيره المجنونة. في الانتفاضة الأولى، انتفاضة الحجارة، كانت القدس تتجهز لتكون عروس المدن، وكان شعبها يشمخ بها، وكانت القيادة الفلسطينية، وعلى لسان قائدها ياسر عرفات، يطلق الشعار الذي يقول «إن شبلاً من أشبالنا سيرفع علم فلسطين فوق مآذن وكنائس القدس». كان يدرك أن لحظة الانتصار لا تمر من غير حرية القدس، وفي الانتفاضة الثانية، التي تمت تسميتها بانتفاضة الأقصى، وقف الكل الفلسطيني مدافعاً عن المدينة، بعد أن دنّس شارون حرمة الأقصى، زيارة واحدة كانت كافية لتشعل ثورة وتنهي أوهام التسوية، ويعود الفلسطيني إلى مربعه الأول، مربع المقاومة.

فالقدس «كاشفة العورات»، كما رأها الشهيد الشقاقي، تكشف الجميع، من عليها ومن معها، وتمتحنهم جميعاً، وستبقى هكذا في فعلها وحضورها اليومي، المدينة المقدسة، العاصمة السياسية للفلسطينيين، تحضر في الوجدان الفلسطيني بهذه الصورة، وتخترل فلسطين الجريحة والمكبلة بالأصفاد، وغدر إخوتها الذين انضموا عبر الاتفاقات الإبراهيمية، محاولين القفز على حقائق التاريخ، وصبر وصمود أهلها. إدانتهم الخجولة التي تصدر عبر مؤسساتهم السياسية غير قادرة على طي هذه الحقيقة الماثلة للعيان، فإمّا أن تكون مع فلسطين وإمّا أن تكون مع عدوها، وهم اختاروا الصف الآخر، بإعلان وبوضوح، فباتوا يحتفلون مع عدونا في ذكرى نكبتنا، ويفتحون له أبواب عواصمهم، يستقبلونهم على السجاد الأحمر، كأن فلسطين لم تكن، يبشرون بنهاية القضية، ويساومون على شعبها كما يساومونه على الفتات الذي يقدمونه، وعدونا مزهو بكرم الضيافة التي يحظى بها من أربابه في عواصم التطبيع.

(الأناضول)

لكن، هل هذه حقيقة ثابتة؟ هل تجري الأمور هكذا، وهل تستمر هذه الحال وفق هذا الإيقاع؟ وحدهم أهل الأرض الأقدر على كسر هذا المسار، وحدهم الذين يقفون عائقاً أمام هذا الإعصار، لهذا تحاصر غزة، وتضرب بالنار والحديد، كي تخرج من دائرة الصراع، ومع هذا تسقط صواريخها على القدس، لتصل الرسالة واضحة، أن القدس هي العنوان، ولهذا يتم اجتياح نابلس وجنين وطوباس وطولكرم وبقية مدن الضفة في كل يوم، لهذا يخرج الأهل في الجليل والمثلث والنقب في هبة الكرامة، فالحرب سجال.

هناك قدس يصنعها الغزاة في مخيلتهم، والقدس التي نراها هي ليست فقط قطعاً من الجدران، هي صوت أهلها الذي يخترق الآفاق، في باب العمود وباب حطة، حول المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، والشيخ جراح، وباب المغاربة، في أزقتها وحواريها وأحيائها وأسواقها القديمة، هي شبابها الذين يعيشون لها وفيها ولأجلها، صحيح أنهم يعيشون اليوم حصاراً مشدداً، وهجمة غير مسبوقة، لكنهم يمتلكون الحلم والرؤيا والبصيرة، بأن آخر المعارك قد باتت على الأبواب، فطالما العدو لم يحقق انتصاره، بعد كل هذه السنين العجاف، فلهم أن يأملوا ويحلموا بنهار خال من الأعداء.

أمجد الفايد وعز الدين القسام

أحمد مفيد

«إن الحديث عن ثورة 36-1939، يستلزم وقفة خاصة عند الشيخ عز الدين القسام. فبالرغم من الكثير الذي كتب عنه إلا أنه بوسعنا أن نقول بأن هذه الشخصية الفريدة لا تزال، وربما ستظل، شخصية مجهولة في الحقيقة [...] ولعل شخصية القسام تشكل في حد ذاتها نقطة التقاء رمزية لمجموعة هائلة من العوامل المتداخلة التي تشكل في مجموعها ما صار يسمى تبسيطاً بالقضية الفلسطينية، فسوريته» (هو من مواليد جبلة، قضاء اللاذقية، 1871) تمثيل للعامل القومي العربي في المعركة. وأزهريته (فقد درس في الأزهر) تمثيل للعامل الديني الوطني الذي كان يمثله الأزهر في بداية القرن. ونضاليته» (فقد اشترك في ثورة جبل حوران السورية ضد الفرنسيين من 1919 1920 وحكم بالإعدام) هي تمثيل لوحدة النضال العربي» (غسان كنفاني، الدراسات السياسية: المجلد الخامس. قبرص: دار منشورات الرمال، 2015، 390).

في مساء يوم الثلاثاء التاسع من نيسان، أثناء معركة مخيم جنين 2002، تجمع ما تبقى من مقاومين في بيوت لا تتجاوز الخمسة، وبسبب الدمار الكبير وانقطاع الاتصال بينهم بشكل شبه كامل كانت كل مجموعة تعتقد أن لم يبق غيرها في المخيم. وفي مكان قريب من بيت خليل المصباح في الحارة الشرقية من المخيم، تجمّع نضال النوباني، ومحمد مشارقة، وأمجد الفايد، ومحمد الفايد، ورجا القريني، وشادي صويص، وخليل مصباح، ووئام الحريري، وإياد بشرات، وعصام أبو السباع، وأشرف السعدي، وعناصر من قوات الأمن الوطني. تحركت مجموعة راجلة من قوات العدو إلى ساحة صغيرة شرق بيت خليل المصباح غرب بيت أبو خرج وتحت دكان أبو شادي، وما إن وصلوا الساحة حتى أمطروا برصاص المقاومين من الشبابيك العلوية وطاقات المنازل، ولشدة ارتباكهم فر الجنود إلى البيت المتحصن فيه المقاومين، استقبل أمجد الفايد أحد الجنود الصهاينة برصاصه؛ الرصاصة الأولى كانت هدية من الشهيد زياد العامر، والثانية من الشهيد محمود طوالبة، والثالثة من الشهيد محمود الحلوة، والرابعة من الشهيد أشرف أبو الهيجا. ولكن في هذه الأثناء استطاع قناص منه، فسقط الفايد شهيداً وبعد دقائق لحقه أخوه محمد وصديقه نضال النوباني. هذا الحدث الذي سيعرف في ما بعد باسم «الكمين المبارك» الذي قُتل فيه 13 جندياً صهيونياً وأصيب 20 آخرون. (جمال حويل، معركة مخيم جنين الكبرى 2002: التاريخ الحي، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2022، 123-138).

إنّ الحديث عن الحالة الفلسطينية بعد «سيف القدس» يستلزم وقفة خاصة عند شخصية الطفل/ الشاب الشهيد، فعلى الرغم من الكثير الذي كتب عنه، لكن بوسعنا أن نقول بأن هذه الشخصية الفريدة لا تزال، وربما ستظل، شخصية مجهولة في الحقيقة، فهي المحرك الفعلي للحالة، والمسؤولة الأساسية عن إلحاق الخسارة بالعدو، وهي وضعت الشعب العربي الفلسطيني أمام مسار جديد. ولد أمجد الفايد عام 2005 بعد انتهاء الانتفاضة الثانية ودمار المخيم، سمي على اسم عمه الشهيد، تربى في أزقة المخيم، في حين كان والده ولديد الفايد في السجن لمدة ثماني سنوات، بعد إصابته إصابة بالغة، كادت أن تودي بحياته. حصل أمجد على لقب «فرعون وحارس المخيم» بعد صنعه وضربه للأكواع بكل احترافية وإخلاص وشجاعة. تعلق كثيراً بعبدالله الحصري، وعند استشهاد الحصري تأكد الفايد من صوابية مساره، وأحب الشهادة بقدر حبه لعبدالله، أو كطريق له. وفي فجر 21 أيار 2022، اقتحمت قوة صهيونية مدينة جنين، وقامت باغتياله في شارع حيفا.

ولد عام 2005 بعد انتهاء الانتفاضة الثانية ودمار المخيم، سمي على اسم عمه الشهيد، تربى في أزقة المخيم، في حين كان والده في السجن

«إن الإخفاق في إدراك العلاقة الجدلية بين الدين والنوازع الوطنية في العالم المتخلف، هو المسؤول عن التقليل من أهمية الحركة القسامية، ولكن مهما كان الرأي في أفكار القسام، فمما لا ريب فيه أن حركته (1935/11/12) – (1935/11/19)، كانت نقطة انعطاف لعبت دوراً مهماً في تقرير شكل متقدم من أشكال النضال، إذ وضعت زعامات الحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية، التي كانت قد انشقت على نفسها وتشتتت وتشرذمت. أمام امتحان لا يمكن الفرار منه... وقد شعر البريطانيون بدورهم بالتحدي الذي مثله استشهاد القسام، وحاولوا بدورهم شد عقارب الساعة إلى الوراء. لكن إعادة عقارب الزمن إلى الوراء كانت مستحيلة. فحركة القسام كانت تعبيراً في الواقع عن الشكل الطبيعي القادر على معالجة ازدياد التناقض وحسمه». (غسان كنفاني، الدراسات السياسية: المجلد الخامس. قبرص: دار منشورات الرمال، 2015، 394).

وجهة نظر

على هامش «مؤتمر نقابة الصحافيين»:

سلطة أوسلو وخراب الاتحادات والنقابات

خالد بركات

في زمن مضى، كان للاتحادات الشعبية والنقابية الفلسطينية، رغم نظام «الكوتا» الفصائلي السيّئ الصيت، دور هام في وحدة الشعب الفلسطيني والدفاع عن حقوقه الوطنية والسياسية. ويمكن القول إن هذه النقابات كانت «حصة» الطبقات الشعبية في «الثورة» و«منظمة التحرير» كالاتحاد العام (للطلبة، العمال، الكتّاب والصحافيين، الأطباء، المهندسين...) قبل أن تهيمن حركة «فتح» على كل المؤسّسات الفلسطينية، واندثار هذه القوى الشعبية وتشييعها إلى مثواها الأخير مُذ دخلت قيادة منظمة التحرير نفق مؤتمر مدريد التصفوي (1991) ومرحلة أوسلو بتأسيس السلطة العميلة عام 1994.

لقد جرى تدمير منهجيّ مَدروس لهذه الاتحادات النقابية في الشتات أولاً، ومن بينها «اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين» الذي عاد الحديث عنه أخيراً من باب «نقابة الصحافيين في الضفة وغزة»، ومرة أخرى، وفق ثقافة القطيع ونظام الكوتا ذاته، مع مواصلة تهميش دور الفلسطينيين في الشتات وفي الداخل المحتل 1948.

وبأسم «الخصوصية» و«الأولويات» «الواقع الجديد»، جرى تفريغ هذه الاتحادات النقابية من مضمونها الوطني والشعبي والنقابي، بل أصبحت عنواناً للتشظي والخلافات والفُرقة بدل أن تكون مصدراً للوحدة والرقابة الشعبية المستقلة.

باندثار هذه الاتحادات النقابية، قبل 30 عاماً، خسرت الطبقات الشعبية الفلسطينية كل شيء، لم يعُد للفئات العمالية سلاح منظم في قبضتها للدفاع عن حقّها في المشاركة، وهذا عنى في الواقع تدمير مؤسسة «المجلس الوطني الفلسطيني» الذي شكّلت الاتحادات النقابية قاعدته الرئيسية، وتحولت النقابات الفلسطينية في الضفة والقطاع إلى «مكاتب» و«مقار» خاوية، وأداة مخترقة سياسياً وأمنياً، يجري توظيفها من قبل البرجوازية الفلسطينية للدفاع عن السياسة الرسمية الفلسطينية وتبريرها. لا غرابة إذاً أن يتربع «الأمين العام للاتحاد العام لنقابات فلسطين» السيد شاهر سعد في موقعه ويبقى فيه منذ نحو 40 عاماً، كما لا غرابة في أن يلعب «الاتحاد» دوراً في التطبيع مع العدو الصهيوني وبخاصة العلاقات المشبوهة مع «الهستدروت» (نقابات العدو) وأنصار «السلام» و«حل الدولتين»! لقد تحولت

فقدت الحركة الوطنية الفلسطينية وحدتها ومناعتها وعناصر قوتها، لأن الـ«أن جي أوز» ومؤسسات السلطة بلعت النقابات وجلست مكانها

العديد من «النقابات» إلى جسور للتطبيع والتدجين وصناعة «الانقسام».

أسّست «طبقة أوسلو» لكيان فلسطيني هجين، لا شكل له ولا روح، فانتشر الفساد السياسي والمالي والأخلاقي والإداري في كل أجهزة السلطة بما في ذلك داخل النقابات العمالية والاتحادات الشعبية. في الوقت ذاته، تُركت الطبقات والفئات الشعبية الفلسطينية في العراء تواجه مصيرها، وتعتمد على سوق العمل العبري، واليوم بعد ثلاثة عقود من الزمن وصلت معدلات البطالة إلى نحو 45% في الضفة و55% في قطاع غزة المحاصر. ولو سألت عمّال فلسطين، أو صحافيي فلسطين، عن دور نقابتهم»، لسمعت الجواب ذاته: أيّ نقابة؟

هذا الواقع أنسَن له اتفاق أوسلو الكارثي حين شرّع الباب واسعاً أمام انتشار ظاهرة «المنظمات غير الحكومية» التي أصبحت الضلع الثالث في بنية وهيكل الاقتصاد الفلسطيني المحلي.

فهذه الظاهرة المدمرة تسللت إلى الجسد الفلسطيني كالسرطان الخبيث في مرحلة الانهيار حين جرى إجهاض الانتفاضة الشعبية الكبرى (1987) التي لعبت فيها نقابات وعمّال فلسطين دوراً مركزياً وقيادياً هاماً. وفقدت الحركة الوطنية الفلسطينية وحدتها ومناعتها وعناصر قوتها، لأن الـ«أن جي أوز» ومؤسسات السلطة بلعت النقابات وجلست مكانها، وهضمت آلاف الكادرات الوطنية في مؤسساتها الجديدة، وسلبت قواعد اليسار تحديداً كادراته وطاقاته التنظيمية، وهمّشت أطر العمل الأهلي والنقابي والنسوي، ودجّنت آلاف المناضلين/ات في تشكيلاتها «المدنية» الذين حولتهم إلى جيش من الموظفين وقوى ليبرالية مغربنة تدعو للتكيف مع الواقع وشروطه.

أمام هذه الصورة، وما أفرزته مرحلة أوسلو من نتائج وتداعيات خطيرة، وجدت الطبقات الشعبية الفلسطينية نفسها على قارعة الطريق، في الوطن والشتات، بل أصبحت «خارج المشهد الوطني» كله. فلم تعد ممثلة في مؤسسات منظمة التحرير التي ماتت، وهكذا خسرت موقعها لصالح البرجوازية والسلطة العميلة، كما جرى سحق الاتحادات والمؤسسات الشعبية والنقابية وتهديمها لصالح المنظمات الجديدة المموّلة من الاتحاد الأوروبي وما يُسمى «الدول المانحة».

إنّ المطلوب من المناضلين والمناضلات (ما تبقّى منهم في الحركة النقابية الفلسطينية) وقوى المقاومة الفلسطينية، هو تأسيس اتحادات وطنية ونقابية جامعة وموحّدة في الوطن والشتات، تكون بمثابة الدرع للحقوق النقابية من جهة، والصمغ الوطني والنقابي الذي يجمع طاقات الشعب الفلسطيني ويساهم في تحقيق وحدة طليعتها الوطنية من جهة أخرى، وبهدف صهرها في مجرى حركة التغيير الثوري الديموقراطي واستعادة مشروع العودة والتحرير، وليس التورط في إعادة إنتاج تشكيلات هلامية وفارغة، فاقدة للشرعية وللدور الوطني والنقابي على حد سواء.

انتخابات الجامعات: مقصلة الأداء السياسي

أحمد العبد

تبلورت أسباب عدة دفعت «الكتلة الإسلامية» إلى الفوز في انتخابات مجلس اتحاد طلبة جامعة «بيرزيت» للعام الثاني على التوالي، بعد أيام من فوزها في انتخابات جامعة «النجاح»، كبرى جامعات الضفة الغربية. وإذا كان هذا الفوز يجسد مكانة الحركة الأم لـ«الكتلة الإسلامية» في الضفة ويظهر مكانتها، فإنه يشي بفشل كل محاولات الملاحقة التي يتعرض لها عناصرها، سواء من قبل إسرائيل أو من قبل السلطة، والتي تستخدم من قبل «الكتلة» في دعايتها الانتخابية. وبينما تروج «الكتلة الإسلامية» أن فوزها في انتخابات جامعات الضفة مؤشر إلى ثقة الشعب الفلسطيني بخيار المقاومة، التي تقول إن «حماس» رأس حربته وتتبناه في خطابها، ورفض التنسيق الأمني الذي يُعد أحد أعمدة سياسة السلطة التي تمثلها حركة «فتح»، إلا أن العديد من الأوساط داخل «فتح» تعتقد أن فوز «حماس» لا يتعلق بزيادة شعبيتها، بقدر ما هو انتقام وعقاب لها لأسباب بعضها يتعلق بانقساماتها الداخلية، أو جراء ممارسة السلطة وقياداتها، ومواقفهم السياسية.

يُفترض أن تكون الانتخابات الطالبية نقابية وخدماتية بالدرجة الأولى، لكنها في فلسطين تُعدّ انتخابات سياسية بحتاً، ولعل ذلك يعود إلى غياب أشكال الانتخابات الأخرى، مثل الرئاسية والتشريعية، والتي تتنافس فيها الفصائل والأحزاب، ويتجلى ذلك الانعكاس في الدعاية والمناظرة الانتخابيتين اللتين تقدمهما الكتل، فيطغى عليهما الخطاب السياسي. وفي نظرة سريعة على فوز «الكتلة الإسلامية» في جامعة «النجاح»، نجد أن للأحداث التي شهدتها المدينة خلال السنوات الست الماضية، بالتزامن مع توقف الانتخابات في الجامعة، دوراً في النتائج، وتحديداً أحداث العامين الماضيين التي عاشتها المدينة على توقيت «عرين الأسود» كظاهرة تجسد المقاومة المسلحة، فاعادت الاشتباك المسلح والمواجهة مع الاحتلال إلى الواجهة.

ورغم أن العديد من مقاومي «العرين» محسوبون على «فتح»، فإنهم اشتكوا من ملاحقة الأجهزة الأمنية لهم واعتقالهم وتعذيبهم في سجونها، وهذا يتضح، سواء في وصاياهم أو في منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، بل إن البعض وفي تسجيلات مصوّرة بايعوا قائد «القسام» محمد الضيف على المقاومة، كما ارتبط تشكيل وتمويل «العرين» بـ«حماس»، وعلى ضوء ذلك اعتقلت الأجهزة الأمنية القسامي مصعب اشتية واتهمته بالمسؤولية عن تمويل المجموعة، وهو ما أثار غضب المقاومين والأهالي، وأدى إلى اشتباكات عنيفة في المدينة تركت انطباعات سلبية تجاه السلطة، كما نفّذ العديد من عناصر «حماس» في نابلس عمليات فدائية، حظيت بتأييد شعبي واسع، كونها جاءت رداً على مجازر الاحتلال، كعملية الشهيد خروشة التي قُتل فيها مستوطنان، وعملية «شافي شمرون» التي قُتل فيها جندي، وعملية الأغوار التي قُتلت فيها 3 مجندات، وكل ذلك شكّل مادة دسمة في خطاب «الكتلة الإسلامية».

وبينما تنقّلت «الكتلة الإسلامية» في خطابها بين تبني خيار المقاومة في الضفة، وبين الإشادة بتجربة المقاومة في غزة، مستلهمة من معركة «سيف القدس» التي بدأت بإعلان من قائدها العام محمد الضيف، الذي بات يحظى بشعبية جارفة في الضفة، فسجلت نقاط قوة لها. وهاجمت السلطة وممارساتها، سواء داخل الجامعات أو خارجها، واتهمت الأجهزة الأمنية بالسيطرة عليها، وتساوق «الشبيبة» معها ومع إدارة الجامعة ضد الطلبة، وصولاً إلى استمرار التنسيق الأمني،

لقد شكّل سلوك القيادة السياسية للسلطة أو الفصائل، وبشكل الحاسم في التصويت، وخاصة تلك الأحداث والتصريحات التي سبقت عملية التصويت

وعقد اللقاءات مع الإسرائيليين في شرم الشيخ والعقبة.

وقوبلت خطابات العديد من المسؤولين في السلطة، سواء الرئيس محمود عباس في الأمم المتحدة، أم المحافظون، باستياء شعبي كبير، إضافة إلى بعض الأحداث التي ستبقى تلاحق السلطة، مثل قتل نزار بنات، وموقفها من إضراب المعلمين، وتأجيل الانتخابات العامة، والفساد العام، فحظيت كل تلك الأمور بالتركيز في خطاب «الكتلة الإسلامية»، وبالتالي لم يكن غريباً ترديد مُناظِر الكتلة في أكثر من مناسبة كلمة «احمونا» من باب التندر، والتي دأب الرئيس عباس على إطلاقها في أي مناسبة.

وفي نابلس تحديداً، لم يغب ما تعرّض له الطلبة من اعتداء داخل أسوار الجامعة، وسحلهم من أمن الجامعة المحسوب على «فتح» والمقرّب من «الشبيبة» عن صندوق الاقتراع، ولعل ما عزّز ذلك، هو ظهور مدير الأمن السابق في الجامعة الذي جرى توقيفه عن العمل على رأس الحملة الدعائية لـ«الشبيبة» في نابلس. وبدت الانتقادات التي وُجّهت إلى «الكتلة الإسلامية» في خطاب «الشبيبة» غير كافية للتأثير الكلي في توجهات الطلبة، وإن كانت قد حققت بعض الأثر، وهذا ربما يفسر تراجع «الكتلة الإسلامية» في جامعة «بيرزيت» 3 مقاعد عن العام الماضي، مقابل تقدّم «الشبيبة» مقعدين، على عكس جامعة «النجاح».

ولعل عدم مشاركة «حماس» في المواجهة الأخيرة على قطاع غزة، والتي خاضتها «الجهاد الإسلامي» مع بعض الفصائل الأخرى لمدة 5 أيام، شكّل أبرز النقاط التي استندت إليها «الشبيبة» في مناظرتها مع «الكتلة الإسلامية»، إضافة إلى علاقات «حماس» الإقليمية، وتحديداً مع قطر، والمنحة القطرية التي تدخل إلى غزة، وهجرة قادة «حماس» من القطاع إلى الخارج، وتحديداً إلى قطر، وهروبهم من الواقع الحياتي في القطاع، إضافة إلى انتقاد أداء مجلس الطلبة في «بيرزيت»، والانتقاص من عمله خلال ترؤسه المجلس على مدار عام.

وبينما تضمن الكتل الطالبية عادة أصوات عناصرها في الانتخابات، إلا أن كل ما ذُكر أعلاه هو محاولة لاستقطاب أصوات الطلبة غير المؤطرين، وهذا يجري من خلال استغلال بعض الأحداث العامة التي تشكّل حولها رأي عام، فنجد أن «الكتلة الإسلامية» ركّزت على خطاب الرئيس عباس في الأمم المتحدة، وتحديداً مطالبته المتكررة بـ«احمونا»، وتحولها إلى «ترند» على وسائل التواصل الاجتماعي على سبيل المثال، إضافة مثلاً إلى صورة الشاحنة التي أُغلق بها شارع رئيسي قرب الخليل لعرقلة وصول المعلمين إلى اعتصام مركزي في رام الله، لكنّ هذه الشريحة تبقى متارجحة وهي غير ثابتة ومتقلبة في التصويت، ولعل هذا ما يفسر صعود بعض الكتل أو هبوطها بعدد من المقاعد.

لقد شكّل سلوك القيادة السياسية للسلطة أو الفصائل، وبشكل تراكمي، العامل الحاسم في التصويت، وخاصة تلك الأحداث والتصريحات التي سبقت عملية التصويت، وأثرت على مزاج الطالب، ويبدو أن هذا العامل الحاسم بدأ يؤسس لمرحلة تغيير، يمكن القول إنه في بدايته، لكنه يحمل إشارات مهمة، لارتباطه بجيل الشباب، على غرار ما جرى في قاعة «كمال ناصر».

تُعدّ هذه القاعة في «بيرزيت» الأكبر من حيث أصوات الطلبة، كونها مخصصة لطلبة السنة الأولى الذين يناهز عددهم 3 آلاف طالب، وهم لم يختبروا التجربة الديموقراطية سابقاً، وتاريخياً كانت تُحسب لحركة «الشبيبة» التي تفوز بها بفارق كبير عن «الكتلة الإسلامية» وتقلب بها نتائج الانتخابات، إلا أن «الكتلة» (خلال العام الجاري والعام السابق) استطاعت الفوز بها، وهو ما يشير إلى قدرة التأثير على هذه الشريحة ذات التأثير العالي، فغالباً ما تكون غير مؤطرة سياسياً.

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 أيار 2023 العدد 4923

المفكرة

«لحن ثائر» يعلو في الضاحية

■ بدعوة من «مدرسة سيمفوني للموسيقى»، تشهد ضاحية بيروت الجنوبية، اليوم السبت احتفالاً موسيقياً، في أجواء عيد المقاومة والتحرير الذي صادف في 25 أيار (مايو) الحالي. خلال اللقاء، تقدّم «فرقة أوركسترا سيمفوني»، بقيادة المايسترا سارة همدر (الصورة)، عملها «لحن ثائر»، في فضاء مفتوح في محلّة دوّار الكفاءات.
«لحن ثائر»: اليوم السبت ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ أوتوستراد هادي نصرالله (دوّار الكفاءات ـ ضاحية بيروت الجنوبية). للاستعلام: 71/550358

جائزة غسّان كنفاني: القائمة الطويلة

■ أعلنت أخيراً «جائزة غسّان كنفاني للرواية العربية» التي تنظمها وزارة الثقافة الفلسطينية عن الروايات المرشحة للقائمة الطويلة بدورتها الثانية لعام 2023، والتي تتضمّن القائمة 14 عملاً من 9 دول عربية. وقالت لجنة التحكيم التي يرأسها الأديب والأكاديمي إبراهيم السّعافين (الصورة) إنّ الروايات تناولت «قضايا اجتماعيّة سياسية وفلسفيّة ووجوديّة وإنسانية متنوعة، ووقف بعضها عند الهمّ الوطني والقومي والإنساني، وراوحت بين أساليب سرديّة وتقنيات مختلفة». كما أنّها «عالجت شؤون الحياة والواقع، ولا سيّما نضال الإنسان من أجل حريّته وكرامته، وتجلّت فيها ملامح الاتّجاهات السردية الحديثة، وأفادت من تطوّرات الرّواية المعاصرة في تقاطعها مع التجريب على مستويات متعددة». وأضافت أنّ بعض الروايات «لجأت إلى توظيف التاريخ وإعادة تشكيله فنياً، فيما برز في أغلبها تجسيد شخصياتها من خلال الاهتمام بالبعد الإنساني موصولاً بأسباب الحياة

ومرتبطاً بالواقع. وأفاد بعض الروايات من التناص خلال التفاعل والحوار مع نصوص تنتمي إلى اتجاهات وثقافات مختلفة، كما تمثلت الأصالة في أغلب هذه الروايات خلال العناية بتفاصيل المكان الشّعبي الأصيل، بكل مكوّناته». والإصدارات التي وقع عليها الاختيار هي: «لعبة البيت» (إيمان جبل ـ مصر)، «بورتريه قديم» (بسام عبد ربه أبو شاويش ـ فلسطين)، «أعوام الضّباب» (خالد فهمي ـ مصر)، «الديناصور» (عمرو حسين ـ مصر)، «فاصلة بين نهرين» (غفران طحّان ـ سوريا)، «نيلة زرقاء» (فجر يعقوب ـ فلسطين)، «بَلاص ديسكا» (محمد عيسى المؤدب ـ تونس)، «طرقات بمزاج سيّئ» (مصطفى النفيسي ـ المغرب)، «سلالة منقرضة» (ملاك رزق ـ مصر)، «جامع أعقاب السجائر» (منير الحايك ـ لبنان)، «الوقوف على قدم واحدة» (مونيكا نبيل عزيز ـ مصر)، «عائدون من الغرق» (موسى الثنيان ـ السعودية)، «زهرة الملكة أنديز» (ميساء بن عبد الواحد ـ الجزائر) و«عائدون من الغرق» (هشام علي ـ ليبيا). ومن المقرر الإعلان عن القائمة القصيرة بعد منتصف حزيران (يونيو) المقبل.

الحركة الثقافية تحيي ذكرى الانتصار

■ بالتعاون مع «اتحاد الكتّاب اللبنانيين»، تحيي «الحركة الثقافيّة في لبنان» ذكرى التحرير والانتصار باحتفال تنظمه، اليوم السبت على مسرح «جامعة المدينة» في صور. تتخلّل النشاط المرتقب كلمات للاتحاد والجامعة والحركة وللباحث السوري عبد القادر الحكيم، بالإضافة إلى قصائد لكل من الشعراء سجّاد السلمي وهاني أبو مصطفى وحسن سامي العبدالله من العراق، ومحمد باقر جابر وآيات جرادي وداوود

مهنا (الصورة) وأسيل سقلاوي وكميل حمادة وفاروق شويخ من لبنان. أما مهمّة التقديم، فتتولّاها غنى جرجوعي.
احتفال التحرير والانتصار: اليوم السبت ـ الساعة السادسة مساءً ـ مسرح «جامعة المدينة» (صور ـ جنوب لبنان).

صيدا تحتفي بالتحرير

■ اليوم السبت، يحيي «الحزب الديمقراطي الشعبي» العيد الـ 23 لتحرير الجنوب اللبناني

من الاحتلال الإسرائيلي باحتفال سياسي في صيدا (جنوب لبنان)، يتخلله عرض وثائقي قصير بعنوان «إصابة مباشرة» عن تجربة ثلاثة رفاق في العمل العسكري في «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية». كما يظهّر الحدث التكامل بين المقاومات الفلسطينية والوطنية والإسلامية من خلال كلمات سيلقيها كلّ من: ماهر الطاهر (الصورة ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) ومحمود قماطي (حزب الله) ومحمد حشيشو.
احتفال في الذكرى 23 للتحرير: اليوم السبت ـ الساعة السادسة مساءً ـ ساحة مركز «الحزب الديمقراطي الشعبي» في صيدا (ساحة الشهداء ـ جنوب لبنان).

محادثة حول الليل

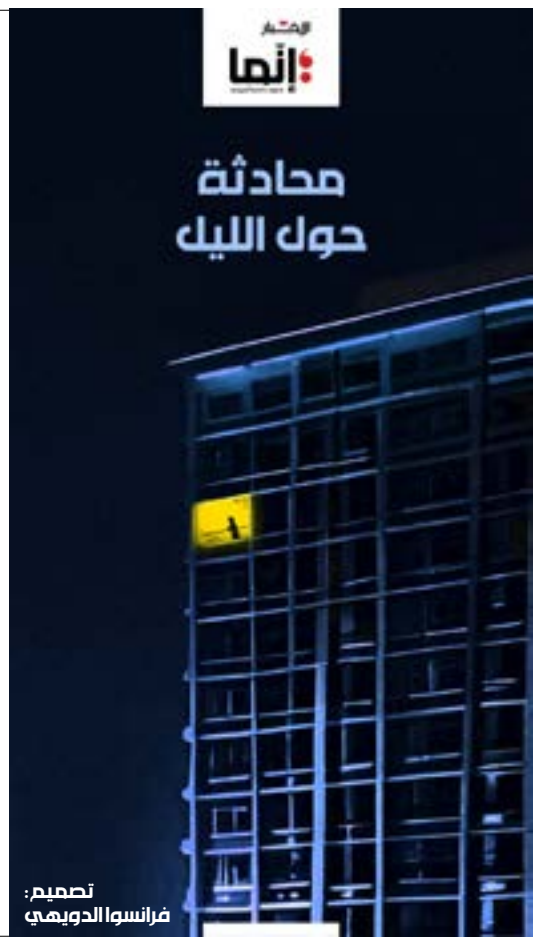

تحرير «إنّما»

في فيلم «عشاء مع أندري» للمخرج الفرنسي لويس مال، يوافق والاس على تلبية دعوة صديقه أندريه للحضور إلى العشاء، بعد أن أُصيب للوهلة الأولى بتردد وخشيةٍ سببهما شائعات سبق وسمعها تمسّ صديقه. يختار الصديقان المقربان اللقاء ليلاً ومناقشة أحوال حاضرهما في مطعم سيكون، بدوره، الكادر الوحيد الذي ستجري في داخله أحداث الفيلم برمتها. على طاولة العشاء، ستبدأ الأحداث بالتدفق سريعاً. اللقطة جامدة تشَكل مشهدها من خلال تركيز الكاميرا على الوجهين فحسب. الحركة مقتصرة على تغيّر شكل الملامح حين يدافع «أندري» بحماسة عن مثاليته الحالمة، على شفاه «والاس» المسترسلة بالحديث عن «الرؤية الواقعية للعالم»، وعلى إشارات اليد التي تفضح أعصاب صاحبها المتورط في محادثة لا تنضب. اللقطة جامدة لا تتزحزح، ولكنها بجمودها، تؤهل الطريق أمام انسيابية الأحداث المندفعة، المنصبّة بقوّة، ذلك أن أحداث «العشاء مع أندري»، تجري في اللغة وعبرها؛ في البوح الحميم، والإفصاح المثير، والمناقشة الهادئة. يحطّ الليل، بكامل خفته، على طاولة الصديقين وعلى مناخهما كلّ على حدّة. ينحصر الليل داخل المطعم. كلما مر الوقت كلما أشرقت اللحظات وتكثّف حضور الصديقين. وكأن لا وجود للّيل في الخارج، كأن الليل شاء أن يكون راعي تلك اللغة: بكامل تخبّطها وتلعثمها وانسيابها.

مثلما التقى الصديقان على العشاء ليلاً لمناقشة أحوالهما والمجادلة حول الأدب والمسرح ومعنى الحلم ومعنى الحياة، نقوم في عددنا هذا، «محادثة حول الليل»، بمحادثةٍ حول الليل وعنه، بأسلوبٍ يتماهى مع اختلاف الصديقين: هناك من يرى الليل سخاماً، وهناك من يراه راعي الوجود وعلّته.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 27 أيار 2023
العدد 4923 السنة السابعة عشرة
Samedi 27 Mai 2023 nº 4923 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

تحيّات تأخرت لـ «السيد الرئيس»

سعيد محمد

لا يعلم كثيرون خارج أميركا اللاتينية بأن الغواتيمالي ميغل أنخل أستورياس (1899 – 1974) كان أوّل من كتب الأدب الذي صار يطلق عليه اسم «الواقعية السحريّة». لكن، لسبب غامض، فإن «السيد الرئيس»، روايته العظيمة، ظلّت أقل شهرة في العالم من الأعمال التي ألهمتها وأكسبت أصحابها سمعة فائقة وأموالاً وفيرة.

عندما شرع أستورياس بكتابة «السيد الرئيس» في كانون الأول (ديسمبر) 1922، لم يكن أيّ من نجوم الواقعية السحريّة المعروفين غابرييل غارسيا ماركيز، أو ماريو فارغاس يوسا أو حتى كارلوس فوينتيس، قد ولدوا بعد. استغرقته كتابتها نحو عقد بينما كان يُقيم في منفاه الاختياري في باريس. وعندما عاد إلى بلاده بعد الكساد الكبير، كان عمله غير قابل للنشر عملياً، لأن الديكتاتور الذي تصف الرواية عهده، كان قد أسقط لمصلحة ديكتاتور جديد، أشد قسوةً وقمعاً من سلفه. هكذا بقيت باكورة أعماله بدون نشر حتى تمت طباعتها في نسخة رديئة مليئة بالأخطاء المطبعيّة في المكسيك عام 1946، ولم تظهر منها طبعة مصححة نهائيّة حتى عام 1952. وتأخر صدورها بالإنكليزية - في ترجمة باهتة - حتى عام 1963، قبل أن يعاد نشرها أخيراً بترجمة محترفة، وتقديم ماريو فارغاس يوسا.

تدور أحداث «السيد الرئيس» في بلد غير محدد يحكمه ديكتاتور لا نعرف اسمه، لكن الإشارات إلى المكان والزمان وشخص الرئيس مدفونة في التفاصيل العابرة: هناك ذكر لـ «الكيتزال»، الطائر الوطني لغواتيمالا، وكذلك معركة فردان (في الحرب العالمية الأولى). أمّا أوصاف «الرئيس الدستوري للجمهورية»، و«المحسن لبلدنا»، و«زعيم الحزب الليبرالي الأعظم»، و«حامي الحريّة لشبابنا» فيمكن مقارنتها بسهولة بما كان يسبغ في الصحف المحليّة على الرئيس مانويل إسترادا كابريرا، الذي هيمن على السلطة في غواتيمالا من عام 1898 إلى عام 1920 بمزيج من الترهيب والاغتيالات والفساد والانتخابات المزورة.

عند قراءة «السيد الرئيس»، يظهر سريعاً سبب تأثيرها الهائل على أجيال من كتّاب أميركا اللاتينية اللاحقين. يمكن بسهولة تمييز أصول ظاهرتين أصبحتا في نظر العالم علامةً على رواية تلك البلاد الممتدة من المكسيك إلى نهاية العالم في جنوب تشيلي خلال القرن العشرين: النوع الأدبيّ المعروف باسم رواية الديكتاتور، وأسلوب الكتابة المسمى الواقعية السحرية.

تجري معظم أحداث «السيد الرئيس» على مدار أسبوع واحد ضمن حبكة بسيطة بشكل مخادع، حيث يقتل متسوّل شبه مجنون عقيداً في الجيش بالخطأ خلال نوبة من الغضب، ويقرر الرئيس إلقاء اللوم على جنرال كان بدأ يشك في ولائه السياسي له. وهذا يقود بدوره إلى الكشف عن سلسلة من المخططات والمكائد المترابطة التي تؤدي بالعديد من كبار المسؤولين الحكوميين إلى السجن، أو التعذيب أو الموت أو فقدان الحظوة، ما يجعل مجمل الطبقة المحيطة بالرئيس مرعوبةً من الآتي، بينما لا يشك المواطنون العاديون بشيء، ويمضون للكدح في حياتهم البائسة الأقرب إلى التسوّل والدعارة. لكن بساطة الأحداث في الرواية، لا تخفي مهارة ثوريّة في السرد الذي يجمع بين حكايات أقدار البلاد الملعونة والقصص الفردية وقصص الحب الفاشلة بينما تتلاشى الحدود مراراً بين الواقع والخيال، والحقيقة والزيف، والماضي والحاضر، والأحلام واليقظة، على نحو يغرق القارئ في قلب التصورات والمخاوف والتأملات المشوشة لشعب حوّله مزيج الاستبداد والطبقيّة السافرة إلى تجمّع من التعساء والأوغاد.

بدا جلياً أن العقد الذي قضاه في فرنسا، بعد توقف قصير في لندن، أثر بشكل جذري في موهبة أستورياس الأدبيّة وعجنها في تراب بلاده. بداية، كرّس أطروحته في كلية الحقوق لـ «المشكل الاجتماعي للهنود (سكان غواتيمالا الأصليّون)»، وهو ما قاده إلى دراسة علم الأعراق (الإثنولوجيا) في جامعة السوربون تحت إشراف البروفيسور جورج رينو، الذي شجّع اهتمامه بثقافة حضارة المايا وأساطيرها. وقد نشر نتاج دراسته (بالفرنسيّة) في «أساطير غواتيمالا» (1931) الذي حقّق فيه بالمرويات الشعبية قبل رحلة كولمبوس المشؤومة، مع تقديم احتفاليّ من الشاعر والفيلسوف الفرنسي بول فاليري. لقد أصبحت هذه الخلفيّة سرّ ما صار يعرف بـ «الواقعيّة السحريّة» التي تحكي أوجاع واقع السكان الأصليين بعقليتهم وترى العالم بعيون أسلافهم ومعتقداتهم العتيقة.

يقول أستورياس إنّه مدين في حرفته الأدبيّة إلى شخص الرئيس (الديكتاتور) كابريرا الذي دفعه إلى التأمل العميق كغواتيماليّ خرج من الصندوق في ما يمكن لفئة قليلة أن تفعله في تشويه أمّة كاملة خلال وقت وجيز. ومن الطريف أنّه بحكم دراسته الحقوق، شغل أستورياس منصب سكرتير المحكمة التي تولت قضية كابريرا بعد إسقاطه في انتفاضة شعبيّة عام 1924، وقيل إنّه التقاه على انفراد في زنزانته في السجن واستمع إليه طويلاً. «السيّد الرئيس» رواية أم تستحق أن يكرّسها العالم سيّدة أولى لأدب الواقعية السحريّة.

حوار

«خزامى» تجربة جديدة تواصل تتبّع حيوات العراقيين وذاكرة المكان

سنان أنطون: أهو ذنبك أنّك يوماً ولدت بتلك البلاد؟

إنه العراق بكل آلامه وأحزانه وانهار دموعه الشبيهة بدجلة وفرات حين يلتقيان عند شط العرب ومآسيه المستمرة منذ كربلاء نجده حاضراً بكل قوة في روايات سنان أنطون (1967): لم يترك صاحب «يا مريم» و«وحدها شجرة الرمان» مرضاً من أمراض المجتمع العراقي، إلا وتناوله بمبضع النقد والتشريح، من الديكتاتورية التي استحكمت بأرض السواد من الأزمنة الغابرة، مروراً بالطائفية البغيضة التي حوّلت أرض أبهى حضارة في وادي الرافدين إلى مقتلة عظيمة، من العنف إلى العنف المضاد وإعلان داعش إمارتها في الموصل ونحرها لمجنّدي الشرطة في مذبحة سبايكر وسبيها للايزيديات في سنجار، وليس انتهاء بالحروب الكثيرة... من حرب الاستنزاف التي دامت ثماني سنوات مع إيران إلى مغامرات اليانكي في حربَي الخليج الأولى والثانية وغزو العراق ووضع اليد على نفطه وتدمير آثاره وتغذية بذور الشقاق بين أهله ونخبه التي فشلت في بناء مشروع وطني جامع يكون فيه الولاء للوطن أولاً قبل المذهب والديانة والعرقية: «أنا أتابع سجالات العراقيين وجدالاتهم، أخذت أفكّر بواحدة من تبعات الحروب وتركات وتراكمات الطغيان، باختلاف نسخه. وهي السجال والخلاف، بل الصراع على تراتبية المعاناة والضحايا والمفاضلة بينها، والنزوع إلى، أو الرغبة في احتكار المظلومية. وهو جدال عن الماضي والذاكرة وسردياتهما المختلفة بالطبع. ولا يقتصر على العراق، بل نجده في سياقات أخرى في بلدان كثيرة». برصد دقيق لا تفوته التفاصيل اليومية في أتون الجحيم العراقي، يتقن سنان أنطون حبك رواياته من خلال بناء سردي محكم يمتزج فيه مصير الشخصيات وعالمها وتطور الحوادث الدرامية بمصير البلاد، التي تلاحقهم لعناتها حتى في منافيهم لتعيدهم إلى المربّع الأول من الآلام والرعب والخيبة. أنطون الحائز الدكتوراه من «جامعة هارفرد» (2006) الذي ترجمت رواياته إلى أكثر من لغة ومنها الإنكليزية والنرويجية والألمانية والبرتغالية والإيطالية، يواصل في روايته الجديدة «خزامى» (منشورات الجمل/ الشارقة) الحفر في معنى الأوطان في ظل العيش العربي بين مطرقة الطائفية وسندان الاستبداد: «وطن؟ أي وطن وأنت لا تملك شبراً أو شيئاً فيه؟ حتّى جسدك الذي تكوّن في رحم أمّك، لا تملكه أنت. الحكومة هي التي تملك جسدك. وتسمح لك، لفرط كرمها، أن تعيش فيه. وكأي مالك جشع، فهي تفعل بجسدك ما تشاء متى ما شاءت. تلقي به، مع مئات الآلاف من الأجساد في أتون الحرب الخاسرة. تحرمه الطعام وتُجيعه كي تسمن هي وأولادها. إذا اعترضتَ أو خالفت سننها الجائرة، سيعضّك كلب من كلابها المسعورة ويقتطع عضواً من أعضائك. وستترك الحكومة دمغتها وشماً على جبينك إذا تجرّأت وخالفت قوانينها الباطلة والعشوائية. هذا إذا حالفك الحظّ ولم تدفنك في الصحراء وتتركك بلا شاهد كي لا يزورك أهلك». عن الرواية الجديدة ومشروعه الروائي وغيرها من قضايا الكتابة، والثقافة كان هذا الحوار مع سنان أنطون في «كلمات»

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

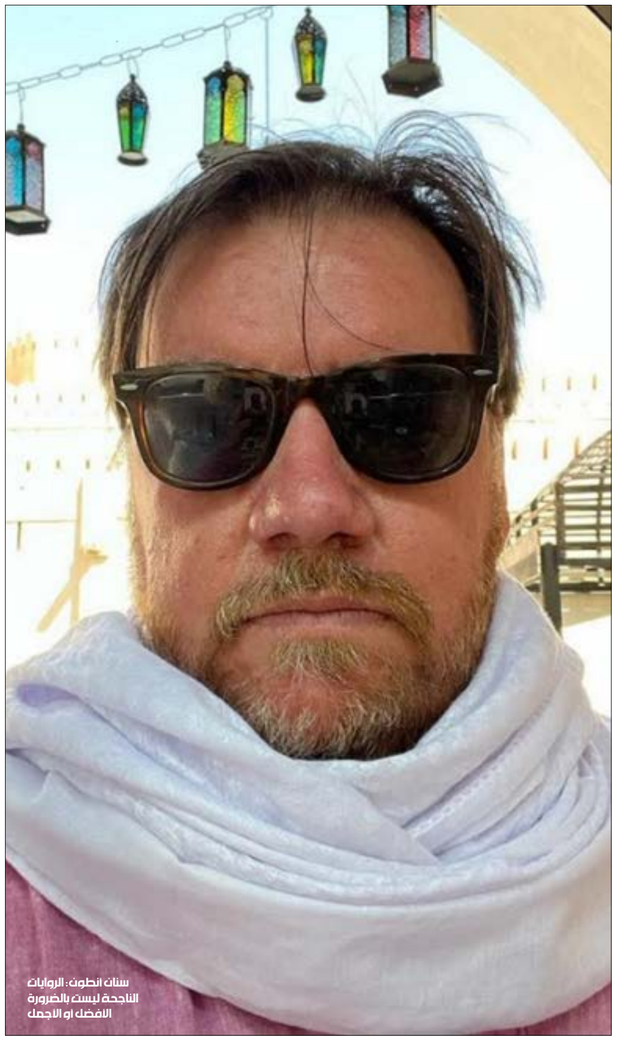

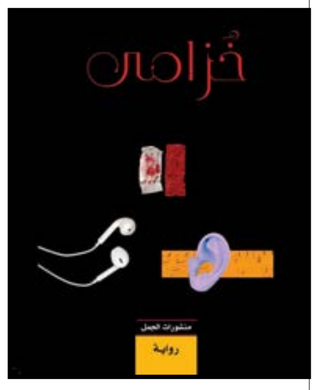

■ تبدأ من عنوان الرواية «خزامى». لماذا اخترت هذا العنوان الرقيق في سرد لا يخلو من القسوة؟

ـ الخزامى خيط مهمّ في نسيج الرواية السردي والرمزي. فهي تربط الشخصيّتين الرئيسيّتين، عمر وسامي، ببعضهما البعض. كما أنّها تبلور التناقض في مقاربة الشخصيّتين للماضي والوحيد، الذي يربطه بأجمل ما في ماضيه الذي يختفي ويبتعد بسبب الخرف. وهناك المزيد الذي لن أقوله لكي لا أفسد متعة القراءة! أما عن القسوة والسرد، فالعالم الذي نعيش فيه، لا يخلو أبداً من القسوة والعنف، وآثارهما واضحة على أجساد البشر وفي نفسيّاتهم وذاكراتهم وهذا أحد محاور الرواية أيضاً.

> جسد اللاجئ نفسه أرشيف للألم. أنظمة الحكم بممارساتها وعنفها الوحشي تنزع عن الوطن صفاته الإيجابية وتجعله جحيماً (س.ا)

> ولذكرياتها عن البلد الذي هربا منه في حقبتين مختلفتين. حين ينتقل عمر إلى عمل جديد أفضل من عمله السابق، يتمحور العمل حول مواسم الخزامى والاعتناء بها. تصبح حياته أكثر استقراراً، وتحتل فيها الخزامى، التي يحتفي بجمالها ويطرب لها، موقعاً مهماً. وتصبح رمزاً لمستقبل يشعر أنه بدأ يقترب منه أخيراً بعد سنين من التخبّط. فالخزامى خطوة أخرى بعيداً عن ماضيه المؤلم. أما بالنسبة إلى يوسف، الذي يعاني من الخرف الذي يسلبه ذاكرته، فإن عطر الخزامى هو الخيط، الأخير

■ أين تقع «خزامى» في مشروعك الروائي، ما هو المشترك بينها وبين «فهرس» و«يا مريم» وغيرها؟ وما الذي أضافته إلى التجربة ككل؟

- «خزامى» تجربة أخرى في تتبّع حيوات ومصائر العراقيين وعلاقتهم بالمكان وطرح تساؤلات عن ذاكرة المكان كما يراها الفرد، بحسب تجربته وخلفيته الطبقية ونفسيّته. عمر وسامي لاجئان في الولايات المتحدة، لكنهما جاءا لأسباب مختلفة وفي مراحل مختلفة. أحدهما هرب من بطش الديكتاتورية التي كان أحد ضحاياها، والآخر هرب من بطش النظام الذي حل محلّ الديكتاتورية.. معظم أحداث «خزامى» تقع في الولايات المتحدة حيث تعيش الشخصيّات. كان هذا قد بدأ في «فهرس»، إذ يعيش نمير في نيويورك. هناك مشتركات بين «خزامى» و«يا مريم» من حيث التناقض في العلاقة بالماضي ومعانيه وآثاره. أمّا عمّا أضافته، فساترك ذلك للقراء!

■ استندت في لعبة السرد إلى تشويه فيزيولوجي طال أحد البطلين، وذاكرة معطوبة للبطل الآخر، ما أضفى على الحكاية جاذبيةً كبيرة. هل لك أن تفصل في هذا الأمر؟

. المنطلق لديّ دائماً هو الواقع. في التسعينيّات، رأيت شاباً في محل في مدينة في الولايات المتحدة. وعرفت حالاً أنّه عراقي، لأن أذنه كانت مصلومة. وتأكدت من ذلك بعدها. كان النظام العراقي السابق قد أصدر قانوناً يعاقب الهاربين من الخدمة العسكرية بقطع صوان الأذن. ظلّ وجه ذلك الشاب ومنظره في ذاكرتي. بعدها بعقد، وأنا أتابع سجالات العراقيين وجداليّاتهم، أخذت أفكّر بواحدة من تبعات الحروب وتركات وتراكمات الطغيان، باختلاف نسخه. وهي السجال والخلاف، بل الصراع على تراتبية المعاناة والضحايا والمفاضلة بينها، والنزوع إلى، أو الرغبة في احتكار المظلومية. وهو جدال عن الماضي والذاكرة وسردياتهما المختلفة بالطبع. ولا يقتصر على العراق، بل نجده في سياقات أخرى في بلدان كثيرة، لكنّني بالطبع معنيّ بالعراق. وهكذا عادت صورة الشاب لتكون بذرة لشخصية عمر، الهارب من الدكتاتورية التي عاقبته على الهروب من الجيش بقطع أذنه، والذي يصبح لاجئاً في الولايات. لا يتاقلم عمر مع محيطه الجديد، بالرغم من وجوده في مدينة فيها جالية عراقية كبيرة، ويمر بظروف تجعله يفكّر بالابتعاد. وبالصدفة وهو في طريقه إلى ولاية أخرى وعمل جديد بعيداً عن العراقيين والعرب، تخطر له فكرة قطع الصلة بالعراق ليقول إنه من بورتوريكو. يحاول أن يمحو ذاكرته وماضيه، ليبدأ بداية جديدة بلا أعباء، مثلما يفعل بعض اللاجئين والمهاجرين. في المقابل، هناك سامي، الذي كان ضحية العنف والتهجير الذي حدث بعد عام 2003 في العراق والذي يلجأ إلى الولايات المتحدة ويعيش مع عائلة ابنه المستقر في بروكلين. وعلى الرغم من الامتيازات الطبقية التي يتمتع بها سامي، فإنه لا يتاقلم هو الآخر. ويُصاب بالخرف ويحاول، على النقيض من عمر، أن يتشبّث بذاكرته.

■ اعتمدت أسلوباً سردياً يشبه كثيراً التقديم والترجيع أو الفلاش باك في السينما، مع قصتين تسيران جنباً إلى جنب وتشتبكان في النهاية بـ«ضربة معلّم». هل تكتب ضمن سيناريو مرسوم سلفاً، وأسلوب مقرر مسبقاً؟

- الإطار العام للرواية، وشخصياتها الرئيسية، وبعض الأحداث المفصليّة، تكون واضحة باكراً. والنهاية كذلك. لكن هناك مرونة وهذا ضروري. وهناك الكثير مما «يحدث» أو يقال لم أكن قد خططت له سلفاً أو فكّرت به. وأُفاجأ به أحياناً. وهذه من ملذّات الكتابة، وهي نادرة، أقصد الملذّات، لأن الكتابة عموماً منهكة ولا أستمتع بها، إلا بعد أن أنتهي من كل شيء. قال الروائي الأميركي دوكتور ذات مرة إن كتابة الرواية تشبه قيادة السيارة في الضباب ليلاً وأنت لا ترى إلا ما تظهره أضواء السيارة الأماميّة من الطريق، ولكن بإمكانك أن تكمل الطريق كلّه هكذا. قد يبدو الوصف مبالغة بعض الشيء، لكنه يعجبني لأنه يشير إلى أن مسار الرواية يذهب أحياناً إلى أماكن لم تكن على الخريطة. ويشير أيضاً إلى صعوبات الطريق الطويل قبل الوصول!

■ تبدو أوطاننا في «خزامى» لعنة تطاردنا حتى لو تبدّلت الجغرافيا واختلف الزمن؟

ذكّرني سؤالك بقصيدة لسعدي يوسف يقول فيها:

«أهو ذنبك أنك يوماً ولدت بتلك البلاد؟

ثلاثة أرباع قرن

وما زلت تدفع من دمك النَّزر تلك الضريبة:

أنك يوماً ولدت بتلك البلاد»

لا يفترض أن يكون الوطن لعنة بالطبع، وهو ليس دائماً كذلك بالضرورة. لكن المهاجر، أو اللاجئ، بالذات الهارب، من مكان ابتلي بنظام استبدادي وبحروب أهليّة (وغير أهليّة)، وباحتلال عسكري، وبحكم ميليشيات وعصابات، وتعرّض لصنوف العنف، يحمل معه حقيبة هائلة الأبعاد اسمها الذاكرة، وتكون مليئة بالأشجان والجراح والكوابيس. جسد اللاجئ نفسه أرشيف للألم. وهذا ما يجعل عمر يتساءل عن معنى الوطن. أنظمة الحكم بممارساتها وعنفها الوحشي تنزع عن الوطن صفاته الإيجابية وتجعله جحيماً. هذه تجربة الملايين.

■ تقول في أحد فصول الرواية: «المفردات والمصطلحات هي كمادات، توضع على الصمت، بعده أو قبله بقليل، لكي تخفي الجرح، وتطمس القبح». هل نكتب لنشفى من جروحنا؟

-تعرّض عمر، إحدى الشخصيّتين الرئيسيتين في الرواية، إلى تشويه بشع، جرحه نفسياً أيضاً وترك آثاره على شخصيّته وتعامله مع جسده. يشير المقطع إلى المفردات التي تستخدم في كل اللغات لتخفيف البشاعة والقبح ولإخفائهما، كأنّها أقنعة. لكن كل ذلك قد لا يغيّر شيئاً بالنسبة إلى من يحمل الجرح وآثاره. وقد تصبح الأقنعة اللغوية عبئاً يرغب المرء في تمزيقه لمواجهة الحقيقة كما هي. لا أعرف إذا كانت الكتابة تشفي الجروح. هناك نصوص تشير إلى الجروح التي قد نكون نسيناها، أو أخفيناها، أو تظاهرنا أو ظننّا بأنها شفيت. لعلّ القراءة هي التي تضمّد الجراح. هناك اقتباس في بداية الرواية من دوريان لاكس عن أننا «نكتب من داخل الجرح وأن الجرح يغنّي ونحن نغنّي لأولئك الذين جرحوا».

■ لماذا برأيك لا ينجح اندماج الكثير من المهاجرين مثل عمر في الغرب، هل الأمر يتعلّق بندوبهم الذاتية، أم أن الغرب لا يتقبلهم إلا بعد مسح تاريخهم بشكل كامل؟

ـ أظهرت السنين الأخيرة بوضوح أن خطاب «الاندماج» إشكاليّ وأن السياسات المتّبعة في الكثير من البلدان فاشلة ومبنية أساساً على افتراضات وممارسات عنصرية، تدفع في كثير من الأحيان إلى التقوقع والتهميش، وتؤدي إلى ترسيخ الانفصال. إذا كان هناك تقبّل لآخر نظريّاً في كثير من الأحوال، فإنّ ما حدث في السنين الأخيرة من صعود الفاشيّة والنازيّة الجديدة والمجاهرة بالعنصريّة والعنف ضد المهاجرين يشير إلى أزمة كبرى وجوهرية في الديمقراطيات الليبرالية. لا أريد أن أستفيض هنا لأن المجال لا يتّسع لهذا الموضوع المعقد.

■ لا يمل القارئ في روايات سنان أنطون، ورغم القسوة والمرارة يخرج هذا القارئ بمتعة كبيرة عند إنهاء كل رواية. هل هناك من وصفة للرواية الناجحة، أو من نصيحة لروائيين شباب يكتبون روايتهم الأولى مثلاً؟

ـ تعجبني واحدة من مقولات فيليب روث حين سئل عن كتابة الروايات. قال هناك قوانين واضحة ومفصّلة لكتابة الرواية، لكن لا أحد يعرف ما هي! أتذكّر هذه المقولة دائماً حين أقرأ التنظيرات. نحن بالتأكيد نعيش في زمن الوصفات، والوصفات السريعة لكل شيء. الروايات الناجحة ليست بالضرورة الأفضل أو الأجمل. نصيحتي الوحيدة هي القراءة والتمهّل وعدم الاستسهال.

■ ما هي مشاريعك الروائية والشعرية المستقبلية؟ هل من إصدار شعري، خصوصاً أنك أصدرتَ سابقاً ديوان شعر بعنوان «موشور ميلل بالحروب» (دار ميريت ـ القاهرة ـ 2004)، وآخر عن «منشورات الجمل» بعنوان «ليل واحد في كل المدن» (2010)؟

-هناك ديوان شعر جديد أرجو أن يصدر في الخريف، وأجمع حالياً كل المقالات التي كتبتها في العقدين الأخيرين لتصدر في كتاب. وهناك مشروع رواية. لم أبدأ بكتابتها بعد، لكن تفاصيلها تتضح وأمل أن أبدأ بكتابتها في الخريف.

مقطع من «خزامى»

سمع صوت الباب يُفتح ويصفق بقوة ووقع أقدام. سمع زفرة طويلة وصوتاً يقول: «يخلّون الواحد يكفر بكل شي». شعر بيد على كتفه الأيمن وقال الصوت المتهدّج: «سامحني ابني. مو بيدي». ماذا سيقول له؟ ماذا يمكن أن يقول له؟ قبل أن يعثر على ما يمكن أن يقوله، رفع العصابة عن عينيه. ونظر إليه وكرّر «سامحني ابني»، ثمّ أعاد العصابة. وقال له «رح أنطيك مخدّر وما رح تحسّ بشي». شعّر بيديه تفكّان وثاقه. هل يهرب؟ لكن إلى أين؟ فهم يحاصرون المكان وأحدهم يقف عند باب الغرفة. سيضاعفون عقوبته. شعر بالطبيب يرفع كمّه الأيمن برفق وشعّر بأصابعه تبحث عن الوريد في ذراعه. ثمّ أحسّ بوخز الإبرة. آخر ما يتذكّره هو عطر الرجُل القويّ.

حين أفاق من المخدّر بعد ساعات، كان ممدّداً على سرير وبلا وثاق. وشعّر بألم شديد في الجانب الأيمن من رأسه. كانوا قد غطّوا أذنه، أو ما تبقّى منها، وشدّوا موضع العملية. مدّ يده ليتحسّس الموضع فازداد الألم. عيناه ما تزالان معصوبتين. وتناهت إلى أسماعه أصوات الغرفة من شخير وأنين، مصدرهما أجساد الذين نُفّذ بهم العقاب القانوني بحسب قرار 115 الذي صدر قبل عام: «إزالة صيوان الأذن ووشم الجبهة لكلّ من تخلّف أو هرّب من الخدمة العسكرية.» أزاح العصابة عن عينيه قليلاً فرأى رجالاً مستلقين على أسرّة. عيونهم معصوبة ورؤوسهم مشدودة مثله. بالإضافة إلى الألم والضغط اللذين كانا يخنقان رأسه، كانت تلك الساعات التي قضاها في تلك الغرفة عذاباً نفسياً يضاهي بعض فصول العذاب الذي سيعانيه في السنتين اللتين سيمضيهما في السجن الذي نقلوه إليه فيما بعد. كان من الذين أفاقوا مبكّراً من تأثير المخدّر لأنه كان من أوائل الذين صُلمَت أذنهم. وهكذا كان عليه أن يسمع صوت الألم حين يستفيق في كلّ جسد إذ يصحو صاحبه، ليقول له: أنا في جسدك الآن. ولن أرحل. سأتنقّل وأتجوّل وأستقرّ في ذهنك. وكلّما استفاق أحدهم ازداد طنين الألم. فجأة وجد نفسه يصرخ بصوت عال وأخَذَ جسده يرتجف، بدون توقّف. قام أحد الجنود الذي كان جالساً في الزاوية والذي لم يره هو بالطبع من كرسيّه واقترب منه. «هاي شبيك؟ كافي» لكنّه ظلّ يصرخ. هزّه الجندي ليوقظه ظانّاً أنه ما زال نائماً. لكنّه كان في كابوس اليقظة مستمرّاً بالصراخ وحاول أن يزيل العصابة عن عينيه ويقوم عن السرير. أمسك به الجنديّ وأعاده إلى السرير بعنف. ووضع يده على فمه ليسكته. وهتف يطلب المساعدة. زرقوه بإبرة ألجمت الصراخ وحبسته في سجن الجسد.

ملفّ

السوشال ميديا يُعلن زمن القصة القصيرة جداً في البرتغال

تعتبر القصة القصيرة جداً من أكثر الأجناس الأدبية حيويةً وانتشاراً في الوقت الراهن. يرجع ذلك إلى أسباب عدة يلخّصها المهتمون في قدرته على التعبير عن أفكار الكاتب في فقرات معدودة أو سطور قليلة. وفي هذا الأمر تشبه القصة القصيرة جداً الشذرة الأدبية. وإن كانت الحبكة شرطاً من أهم شروطها بالإضافة إلى التكثيف والقدرة على التعبير بشكل موجز. لا يختلف المشهد الأدبي في البرتغال عما تشهده باقي الآداب الغربية من حضور قوي لجنس القصة القصيرة جداً خصوصاً بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي سهّلت عملية النشر لكثير من الكتاب الجدد، على الأقل في بداية المشوار، وشجّعت على اعتماد التكثيف والإيجاز اللذين يمثّلان شرطين من شروط النشر في بعض المنصات الإلكترونية الحديثة. لا أحد يستطيع أن يحدّد بالضبط متى بدأت القصة القصيرة جداً في البرتغال، وهو الأمر نفسه الذي نلاحظه في آفاق أدبية أخرى. لكن الأكيد أنّ مَن كتبوها في البداية، لم يفعلوا ذلك انطلاقاً من وعي كامل بهذا الجنس السردي وخاصياته. لذلك، كتاب «الفراشةُ والمرآة: أنطولوجيا القصة القصيرة جداً في البرتغال» (اختارها وترجمها عن البرتغالية سعيد بنعبد الواحد ــ دار خطوط وظلال) يضمّ نصوصاً تغطي ما يناهز مدة قرن من التاريخ الأدبي البرتغالي الحديث. ترجع النصوص الأولى إلى بداية القرن العشرين، بينما تعود أحدثها إلى العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. ومع اختلاف الظروف والخلفيات الفكرية للكتّاب الذي يظهرون في هذه الأنطولوجيا، تختلف النصوص أسلوباً وموضوعاً. نلاحظ أنّ هناك كتّاباً من ذوي النزعة الكلاسيكية أمثال فرناندو بيسوا (1888 ــ 1935) وماريو دي كارفاليو (1944) اللذين يستعملان أسلوب الحكاية الخرافية على طريقة الكاتب اليوناني إيسوب. وتغلب على هذين الكاتبَيْن مواضيع السياسة والاختلاف، بالمعنى الأنطولوجي للكلمة. أما الكتّاب الجدد، فيلجؤون إلى تقنيات التهكّم والمحاكاة الساخرة للنصوص الكبرى، سعياً إلى خلق حوار يحرك وجدان القارئ ويدفع إلى استحضار ما تكدّس في ذاكرته أو لا وعيه من نصوص وأقوال. مع ظهور أساليب التعبير الجديدة في وسائل التواصل الاجتماعي من بريد إلكتروني ومنصات تواصل حديثة، استعمل الكتّاب الشباب تقنيات من هذا المجال ونقلوها بذكاء إلى اللغة الأدبية، ما منحها حياةً جديدةً وزوّدها بمواضيع تناسب هذه التقنيات: تواصل افتراضي، عزلة، انطواء، تصرفات غريبة وشاذة... تضم هذه الأنطولوجيا 30 كاتبة وكاتباً من أهم الأدباء البرتغاليين الذي اشتغلوا على جنس القصة القصيرة جداً وأبدعوا فيه عن وعي أو من دونه. وهي بذلك تقدم نظرة شاملة على مختلف أساليب كتابتها في البرتغال. كما تُظهر ذلك التحول الذي طرأ عليها بفعل تأثير وسائل التواصل الاجتماعي وما طرحته من مواضيع قديمة وجديدة في الآن نفسه. نقدّم هنا مقتطفات من كتاب «الفراشةُ والمرآة: أنطولوجيا القصة القصيرة جداً في البرتغال»

فرناندو بيسوا: سرٌّ روما

عندما وصل القيصرُ متأخراً إلى ساحة المعركة، رفعوا بسرعة أمام عينيه رأس بوفْيو. أجهش القيصر بالبكاء، فاندهش الحاضرون. من كان يحمل الرأس، أنْزَلها بعض الشيء؛ كان مذهولاً، والرأس ثقيلة لأنه يرفعها بطرف ذراعه.

طيب، هل يستحق هذا الأمر نصراً؟ سأل القيصر.

هذا صحيح، قال من يتبعه، لأنه لم يجد ما يقول.

ثم أردف القيصر

- كان صديقي، ورفيقي، كان رومانياً، وجندياً...

ثم قال: «وصلتُ متأخراً...»

أوما مرافقُه بحركة جوفاء، فأدار القيصر ظهره المقوّس ألماً.

«وصلتُ متأخراً ...»، ردّد. «كنتُ أود أن أقتله بيدي هاتين»

مغزى الحكاية: احذروا الدموع، عندما تسيل من عيون رجال السياسة.

فرناندو بيسوا: الحمارُ والضّفتان

جرت العادة أن تُحكى للأطفال، عندما يبلغون سناً يصبحون فيها بلهاء، حكايةُ حمار يصلُ إلى ضفة أحد الأنهار لكنه لا يستطيع العبُور إلى الضفة الأخرى.

النهر بدون قنطرة، والحمارُ لا يعرف السباحة، وما من زورق كي يحمله. فماذا يفعل الحمار؟ بعد طول تفكير، يقول الطفل إن الحمار سيتخلى عن قصده. عندئذ، يقول الشخص الراشد، الذي وضع اللغز: هذا ما فعله الحمار. لكن كان أولى به أن يقول: إنك مثل الحمار، لأنه بهذا الشكل تكون النادرة ظريفة، إن كانت فعلاً كذلك.

لكن القصة لم تكن بهذا الشكل، لأن الحمار نفسه هو من حكاها لي. وصل الحمارُ إلى ضفة النهر، وكان يريد العبور إلى الضفة الأخرى. وبالفعل . وبهذا الخصوص، فإنّ الحكاية حقيقية كما تُروى . تأكد الحمار من أنّ

أ) ليس ثمة قنطرة

ب) ليس ثمة زورق

ج) هو، أي الحمار، لم يكن يعرف السباحة.

حينئذ فكّر الحمار: ما عساه يفعل إنسان لو كان في مكاني؟ وبعد طول تفكير، خمّن: سيتخلى عن قصده. طيب، قال: إنني مثل الإنسان.

لأنه في هذا اللغز، لم يفكر أحد في شيء واحد: الإنسان بدوره يتخلى عن قصده.

مغزى الحكاية: السياسية الحزبية هي فن قول الشيء نفسه بطرق مختلفة. لذا، من الأحسن أن يدلي المرء بقوله بعد الآخرين، لأنه ما دام الإنسان هو من يقول اللغز، فإن الحمار يتفوّق عليه.

ماريو أنريكي ليرنا: وصولية

بعدما اختلس المُربّى ثلاث مرات من بيت الأطعمة، حذّرَهُ أبوه.

بعدما سطا على صندوق السيد إشطيفيش، صاحب البقالة في زاوية الزقاق، طردَهُ أبوه من البيت.

عاد بعد اثنتين وعشرين سنة رفقة سائق يرتدي بدلة رسمية.

أصبح مديراً عاماً للأمن. أصيب والده بسداد قلبي.

■■■

ماريو إنْريكي ليرنا: مفاجآت الصيد

لم أصطد شيئاً.

كنت أتأهب لأعود إلى البيت، لكني قرّرتُ أن أرمي الصنّارة للمرة الأخيرة.

شعرتُ بجذب قوي، مسكتُ بقوة وبدأت أطوي الخيط بحذر وتؤدة. وإذا بي أرى نازياً يأتي مع الصنارة! نعم، نازي حقيقي، من كبار النازيين! كانت دهشتي كبيرة، لأنهم أخبروني أنه لم يعد لهم وجود. حاولت أن أسحبه مستعيناً بالشباك وذهبت للتو لأتأكد من الأمر. كان نازياً، بالفعل. هل تتصورون؟ جنرال وعضو في المخابرات السرية النازية. بقلنسوته، وميدالياته، وصليبه المعقوف، وما إلى ذلك. كيف يمكن للمرء أن يصدق ما يقال له! وضعته طرياً في علبة صفيحية، وبعثت به إلى معامل السمك الوطنية. هناك، قد يعرفون ما يصنعون به. أما أنا، صراحة، فلا ينفعني في شيء.

ماثيو اليغري: التشكيلة

لا أعرفُ بالضبط أيّ حربٍ أخوضُها. كل يوم في مثل هذه الساعة، السادسة مساء، أبدأ جُنود لا أراهم بمحاصرتي. أشعر أنهم بالقرب مني، أعرف أنهم يحيطون بي، لكني لا أرى أحداً منهم. لا شيء سوى طلقات نارية، طلقات متواترة وطلقات رُوكيت. من حين إلى آخر، يصيحون في مكبر الصوت ويأمرونني أن أستسلم. إنك لوحدك . يقولون . إنك جندي وحيد في حرب خسرتها منذ زمان.

المشكلة أنني لا أعرف حتى أي حربٍ هي. لا أعرف من أليَسني هذه البدلة العسكرية، ولا من بعث بي إلى هنا ووضع سلاحاً في يدي. لا ينقصني العتاد الحربي، ولا حصص الطعام، ولا الماء. يزودونني بالمؤن كل يوم. لكنني لا أعرف من يقوم بذلك. لا أعرف أيضاً من هم معي ولا البلد أو القضية التي أحارب من أجلها، إذا كنتُ فعلاً أحارب من أجل شيءٍ ما. أدافع عن هذا المحرز. إنها تشكيلتي العسكرية. ربما لا معنى أن أكون هنا للدفاع عنها، لكني لو فقدتها سأفقد نفسي أيضاً. المعنى الوحيد، الذي ربما لن يكون له معنى ذا قيمة، هو أن أدافع عن هذه التشكيلة. حتى آخر نقطة دم، كما قالوا لنا، منذ مدة، في التعاليم الموجهة للمجندين الجدد. لهذا لا أستسلم. مهما أنذروني وأرهبوني، سأستمر في المقاومة. ليس لأسباب عسكرية أو أخلاقية محضة، لنقل لأسباب جمالية. الرجل لا يستسلم. ربما لذلك أنا هنا، لا أعرف بالضبط أين ولا منذ متى، ربما منذ الأزل، وسط التشكيلة، محاصر ووحيد، لكنني لست بالمنهزم.

في مكان ما، هناك من يزوّدني. في مكان ما، هناك من يعرف أنني لا أستسلم.

كل يوم، عند الساعة السادسة مساء، يشتد الحصار. كل يوم، في الساعة نفسها، أتخذ لنفسي موضعاً. أستغرب كيف أنهم لا يصيبونني، والحقيقة أنني لا أعرف إن كنت قد أصبت مرة العدو، إنْ كنتُ أستطيع أن أسميه كذلك. يصل بي الأمر أن أتساءل إن لم يكن هذا حلماً، إن لم يكن كل شيء مجرد كابوس وأنني سأستيقظ فجأة.

مهما يكن، فالحرب مستمرة. في الحلم أو خارج الحلم، إنها مستمرة. إنها الساعة السادسة تقريباً واشعر أنهم يقتربون. كل يوم على هذه الحال، كل يوم أدافع عن تشكيلتي.

إنك رجل وحيد ولقد خسرت الحرب. يصيحون.

أعرف جيداً أنني وحيد. لكن، ما دمتُ أقاتل فإنني لم أخسر الحرب، وإن سالني أحد أي حرب هي، فلن اعرف كيف أجيبه بالضبط. قد أقول إنها حرب رجل وسط تشكيلته. رجل يحارب، ربما في الحلم، لأن كل شيء، ربما، حلم. حُلمُ حُلم. أذكر أنني قرأت هذا في مكان ما. ماذا يهم؟ حلماً كان أم لا، إنهم هنا، عليّ أن أدافع عن تشكيلتي؛ لا وجود لمعنى آخر غير هذا، أن أحارب حتى النهاية، الرجل لا يستسلم، ليس شيئاً جميلاً أن يستسلم، سيكون ذلك، إذا سمحتم، من قلة الأدب، سيكون قلة أدب كبيرة.

ماريو دي كارْفايو: قصة

سافر رجلٌ يملك أربع أياد من أرض إلى أرض أخرى بحثاً عن بلده.

وجد هنا وهناك أناساً بأربع أياد، بعضهم يُعرضون في السيرك والأسواق، وبعضهم يقومون بأشغال شاقة في الأبراج العالية، في خدمة أناس بيدَيْن.

ذات يوم جميل، وصل، أخيراً، إلى بلاد قوم بأربع أياد.

لكن، هناك، كان الناس يشدون يدين إلى جسمهم، تحت القمصان والملابس، ولا يستعملون إلا اليدين الأخريين.

... ما يهم هو التفكير حين لا ينتظر أحد ذلك.

... هكذا نفاجئكم.

غونسالو م. طافاريش: تدشينات

كان الزعيم متوتراً. يذهب من جهة إلى أخرى. لا شيء. ولو ثقب إبرة واحد!

لا شيء، ولو ثقب إبرة واحد!

ولو نَصف ثقب إبرة واحد.

لا شيء، لا شيء!

كفى! صاح الزعيم. لا أطيق سماعكما!

نحن سنصمت، أيها الزعيم.

خطرت ببالي فكرة، صاح فجأة المستشار الأول.

ممتاز!

فكرتي هي كالتالي: هل سبق للسيد الزعيم أن زار مرة هذه الأرض القبيحة، الباردة، الجرداء، بل من هذا الحجم! من هذا الحجم!

لا شيء!

كان المستشاران كأنهما قد انبهرا بذلك الخطاب الطويل والمملّ.

لم يصنعوا ولو ثقب إبرة واحد!

لا شيء. ولو ثقب إبرة واحد!

ولو نَصف ثقب إبرة واحد.

لا شيء، لا شيء!

كفى! صاح الزعيم. لا أطيق سماعكما!

نحن سنصمت، أيها الزعيم.

خطرت ببالي فكرة، صاح فجأة المستشار الأول.

ممتاز!

فكرتي هي كالتالي: هل سبق للسيد الزعيم أن زار مرة هذه الأرض القبيحة، الباردة، الجرداء، بل ما يهم هو التفكير حين لا ينتظر أحد ذلك.

... هكذا نفاجئكم.

غونسالو م. طافاريش: النظريّة

قال السيد هانري: اخترَعُ الهاتفُ ليتمكن الناس من الحديث فيما بينهم مبتعدين عن بعضهم البعض.

... اخترَع الهاتفُ ليُبعد الناس عن بعضهم البعض.

... تماماً مثل الطائرة.

... اخترَعت الطائرةُ ليعيش الناس بعيداً عن بعضهم البعض.

... لو لم تكن هناك هواتف ولا طائرات، لكان الناس يعيشون معاً جنباً إلى جنب.

... هذه مجرد نظرية، لكن، فكروا في النظرية.

غيلدا موتوس ــ «قائمة اليوم: فيديو تيك توك، صور انستاغرام، تويت، لايك فايسبوك، تحديث تامبلر» (زيت على كانفاس ــ 40 × 30 × 3 سنتم ـ 2022)

فرناندو بيسوا: الحماسُ والضّفتان

جرت العادة أن تُحكى للأطفال، عندما يبلغون سناً يصبحون فيها بلهاء، حكايةُ حمار يصلُ إلى ضفة أحد الأنهار لكنه لا يستطيع العبُور إلى الضفة الأخرى.

النهر بدون قنطرة، والحمارُ لا يعرف السباحة، وما من زورق كي يحمله. فماذا يفعل الحمار؟ بعد طول تفكير، يقول الطفل إن الحمار سيتخلى عن قصده. عندئذ، يقول الشخص الراشد، الذي وضع اللغز: هذا ما فعله الحمار. لكن كان أولى به أن يقول: إنك مثل الحمار، لأنه بهذا الشكل تكون النادرة ظريفة، إن كانت فعلاً كذلك.

لكن القصة لم تكن بهذا الشكل، لأن الحمار نفسه هو من حكاها لي. وصل الحمارُ إلى ضفة النهر، وكان يريد العبور إلى الضفة الأخرى. وبالفعل . وبهذا الخصوص، فإنّ الحكاية حقيقية كما تُروى . تأكد الحمار من أنّ

أ) ليس ثمة قنطرة

ب) ليس ثمة زورق

ج) هو، أي الحمار، لم يكن يعرف السباحة.

حينئذ فكّر الحمار: ما عساه يفعل إنسان لو كان في مكاني؟ وبعد طول تفكير، خمّن: سيتخلى عن قصده. طيب، قال: إنني مثل الإنسان.

لأنه في هذا اللغز، لم يفكر أحد في شيء واحد: الإنسان بدوره يتخلى عن قصده.

مغزى الحكاية: السياسية الحزبية هي فن قول الشيء نفسه بطرق مختلفة. لذا، من الأحسن أن يدلي المرء بقوله بعد الآخرين، لأنه ما دام الإنسان هو من يقول اللغز، فإن الحمار يتفوّق عليه.

ماريو أنريكي ليرنا: وصولية

بعدما اختلس المُربّى ثلاث مرات من بيت الأطعمة، حذّرَهُ أبوه.

بعدما سطا على صندوق السيد إشطيفيش، صاحب البقالة في زاوية الزقاق، طردَهُ أبوه من البيت.

عاد بعد اثنتين وعشرين سنة رفقة سائق يرتدي بدلة رسمية.

أصبح مديراً عاماً للأمن. أصيب والده بسداد قلبي.

■■■

ماريو إنْريكي ليرنا: مفاجآت الصيد

لم أصطد شيئاً.

كنت أتأهب لأعود إلى البيت، لكني قرّرتُ أن أرمي الصنّارة للمرة الأخيرة.

شعرتُ بجذب قوي، مسكتُ بقوة وبدأت أطوي الخيط بحذر وتؤدة. وإذا بي أرى نازياً يأتي مع الصنارة! نعم، نازي حقيقي، من كبار النازيين! كانت دهشتي كبيرة، لأنهم أخبروني أنه لم يعد لهم وجود. حاولت أن أسحبه مستعيناً بالشباك وذهبت للتو لأتأكد من الأمر. كان نازياً، بالفعل. هل تتصورون؟ جنرال وعضو في المخابرات السرية النازية. بقلنسوته، وميدالياته، وصليبه المعقوف، وما إلى ذلك. كيف يمكن للمرء أن يصدق ما يقال له! وضعته طرياً في علبة صفيحية، وبعثت به إلى معامل السمك الوطنية. هناك، قد يعرفون ما يصنعون به. أما أنا، صراحة، فلا ينفعني في شيء.

ماثيو اليغري: التشكيلة

لا أعرفُ بالضبط أيّ حربٍ أخوضُها. كل يوم في مثل هذه الساعة، السادسة مساء، أبدأ جُنود لا أراهم بمحاصرتي. أشعر أنهم بالقرب مني، أعرف أنهم يحيطون بي، لكني لا أرى أحداً منهم. لا شيء سوى طلقات نارية، طلقات متواترة وطلقات رُوكيت. من حين إلى آخر، يصيحون في مكبر الصوت ويأمرونني أن أستسلم. إنك لوحدك . يقولون . إنك جندي وحيد في حرب خسرتها منذ زمان.

المشكلة أنني لا أعرف حتى أي حربٍ هي. لا أعرف من أليَسني هذه البدلة العسكرية، ولا من بعث بي إلى هنا ووضع سلاحاً في يدي. لا ينقصني العتاد الحربي، ولا حصص الطعام، ولا الماء. يزودونني بالمؤن كل يوم. لكنني لا أعرف من يقوم بذلك. لا أعرف أيضاً من هم معي ولا البلد أو القضية التي أحارب من أجلها، إذا كنتُ فعلاً أحارب من أجل شيءٍ ما. أدافع عن هذا المحرز. إنها تشكيلتي العسكرية. ربما لا معنى أن أكون هنا للدفاع عنها، لكني لو فقدتها سأفقد نفسي أيضاً. المعنى الوحيد، الذي ربما لن يكون له معنى ذا قيمة، هو أن أدافع عن هذه التشكيلة. حتى آخر نقطة دم، كما قالوا لنا، منذ مدة، في التعاليم الموجهة للمجندين الجدد. لهذا لا أستسلم. مهما أنذروني وأرهبوني، سأستمر في المقاومة. ليس لأسباب عسكرية أو أخلاقية محضة، لنقل لأسباب جمالية. الرجل لا يستسلم. ربما لذلك أنا هنا، لا أعرف بالضبط أين ولا منذ متى، ربما منذ الأزل، وسط التشكيلة، محاصر ووحيد، لكنني لست بالمنهزم.

في مكان ما، هناك من يزوّدني. في مكان ما، هناك من يعرف أنني لا أستسلم.

كل يوم، عند الساعة السادسة مساء، يشتد الحصار. كل يوم، في الساعة نفسها، أتخذ لنفسي موضعاً. أستغرب كيف أنهم لا يصيبونني، والحقيقة أنني لا أعرف إن كنت قد أصبت مرة العدو، إنْ كنتُ أستطيع أن أسميه كذلك. يصل بي الأمر أن أتساءل إن لم يكن هذا حلماً، إن لم يكن كل شيء مجرد كابوس وأنني سأستيقظ فجأة.

مهما يكن، فالحرب مستمرة. في الحلم أو خارج الحلم، إنها مستمرة. إنها الساعة السادسة تقريباً واشعر أنهم يقتربون. كل يوم على هذه الحال، كل يوم أدافع عن تشكيلتي.

إنك رجل وحيد ولقد خسرت الحرب. يصيحون.

أعرف جيداً أنني وحيد. لكن، ما دمتُ أقاتل فإنني لم أخسر الحرب، وإن سالني أحد أي حرب هي، فلن اعرف كيف أجيبه بالضبط. قد أقول إنها حرب رجل وسط تشكيلته. رجل يحارب، ربما في الحلم، لأن كل شيء، ربما، حلم. حُلمُ حُلم. أذكر أنني قرأت هذا في مكان ما. ماذا يهم؟ حلماً كان أم لا، إنهم هنا، عليّ أن أدافع عن تشكيلتي؛ لا وجود لمعنى آخر غير هذا، أن أحارب حتى النهاية، الرجل لا يستسلم، ليس شيئاً جميلاً أن يستسلم، سيكون ذلك، إذا سمحتم، من قلة الأدب، سيكون قلة أدب كبيرة.

ماريو دي كارْفايو: قصة

سافر رجلٌ يملك أربع أياد من أرض إلى أرض أخرى بحثاً عن بلده.

وجد هنا وهناك أناساً بأربع أياد، بعضهم يُعرضون في السيرك والأسواق، وبعضهم يقومون بأشغال شاقة في الأبراج العالية، في خدمة أناس بيدَيْن.

ذات يوم جميل، وصل، أخيراً، إلى بلاد قوم بأربع أياد.

لكن، هناك، كان الناس يشدون يدين إلى جسمهم، تحت القمصان والملابس، ولا يستعملون إلا اليدين الأخريين.

بعملية اقتحام، شعر بالطلقات النارية تلامس أذنيه وبنَفَس كلاب حقيقية تلاحقه في غضب مجنون.

في كلتا المناسبتين، كانت رجلاه تستسلمان للإفراط المحتوم، للحماس الذي لا ينظر إلى الوراء ويعجّل بالانسحاب أو الكارثة.

روي مانويل امارال: غْريغورْ سامْسا

ذات يوم، قرر غريغور سامسا أن يزور غجرية ذاع صيتها لتقرأ له الطالع.

وضعت الغجرية أصابعها على كف يده، وبعد مقدمة قصيرة من «همم» و«هااام»، قالت: .سيدي العزيز، كن على استعداد. بعد قليل، ستنمو في جسمك خياشيم وزعانف.

قدّر غريغور سامسا دقة كلمات الغجرية وحكمتها، ثم أدى وانصرف.

بعد ذلك، حاول أن يستعيد ماله. لكن الغجرية أخبرتْهُ عن طريق كاتبتها أنها لا تتحدث مع الحشرات.

دافيد ماشّادو: قصة

إنْ اشتدّ الحرُّ فاحسُنْ ما ينبغي أن تقوم به هو أن تصطادَ غنيمةً وتأخذها إلى داخل البيت. ربما يفوح الجو بعطر الربيع وبشيء من الحظ ستحلق خطاطيف بين غرفتك والمطبخ. احرص على ألا تكون غنيمة سوداء جداً لأنه قد تندلع عاصفة فوق السرير وقت ذهابك للنوم.

فرْناندو دينيشْ: سنُّ الرُّشد

دخل إلى مكتبة وفكّر: القراءة شيء جيد. لكن ماذا سأقرأ؟ كيف يمكن اختيار الكتاب المناسب مع كل هذا العرض؟ قرر: سأحسن اختياري في كُتّاب قارتي. في كُتّاب بلدي. في كل الكُتّاب الأحياء. في الكتب التي نُشرت هذه السنة، هذا الشهر، في تلك التي نُشرت اليوم بالضبط. حينئذ، توجه نحو موظفة المكتبة وسألها: أريد كتاباً لكاتب من البلد، ما زال حياً يرزق، نُشر اليوم بالضبط. نظرت إليها الفتاة شزراً، وتظاهرت بالقيام ببحث في الحاسوب، ومن دون أي قناعة أجابته، أخيراً، بعبارة اشمئزاز: يؤسفني أن أخبرك أنه، اليوم بالضبط، لم يُنشر أي كتاب. خرج فارغ اليدين مزهواً بنفسه، ومستعداً ليؤلف كتابه الخاص. أحسّ أنّ عالماً من القرّاء ينتظرونه.

فرْناندو إستيفيشْ بينْتو: ضربة قاضية

1. سيأتي يوم يصبح فيه الجنس حافزاً ومنعشاً مثل زيارة الكنيسة، حيث الجنس الروحي هو صلاة الحواس. لكن من يمتنعون عن الجماع، بإمكانهم أن يمارسوا جنس الروح. بالنسبة إلى هؤلاء، ليس الجسد هو خبز الذبيحة، بل القداس.

2. يبدو للوهلة الأولى أنّ الحب هو فحص يقوم به طبيب العيون للقلب. لكني لا أريد أن أقول إن القلب بحاجة إلى نظارات طبية.

3. عندما تشرق الشمس يصبح الظل، فعلاً، من حق الجميع.

4. سألتني صديقة لم أرها منذ مدة:

.ما هو اسم آخر كتاب ألفته؟

.جنس وسط الأكاذيب.

.آه! أعرف كيف هو. لقد مررت بتلك التجربة.

5. لديّ عزاء واحد في زواجي:

.ما هو؟

.إنني لا أتفاهم مع زوجتي، وأتفاهم مع كل النساء الأخريات.

.وزوجتك؟

.زوجتي هي المتضررة.

.كيف ذلك؟

.تكره الرجال وهي مجبرة على العيش معي.

فرانسيسكو دي كيروث: الجثة

عندما كان ما زال ينعم بحياة كريمة، كان منظمو ملتقيات ألعاب القوى يدفعون له أموالاً مقابل أن يحث على المزيد من الجهد عَدّاءً معيناً، يكون قاب قوسين أو أدنى من تحقيق رقم قياسي جديد.

بعد عدة سنين وأحداث، عندما فرّ بعد القيام بتحقيق مصور، رغم أنه لا يتوفر على تلك الصلاحية. أخذ صوراً للجثة كما وجدها، معلقة في الهواء من الرجلين، ترتدي لباساً جميلاً من نوع مياكي. وقّع المحضر باسمه، وهو ما تسبب خلال تطور الملف في عراقيل شكلية كبيرة، نُظراً إلى عدم أهليته للقيام بتلك المهمة والمهارة العالية للمحامين الذين تعاقدت معهم المشتبه بها، من أصل تركي.

2.

أزواج، آباء، إخوة، عشاق أو قوّادون.

ألا يوجد سوى ذكر واحد في الجسد، يتضاعف داخله؟ طبعاً، لا. إنهم كثر ويتضاعفون داخل الجسم وخارجه، يمسكون بحبل جد موتور، وهم عراة بالكامل.

كان افتتاح المعرض يمر بشكل عادي، بحضور الوكيلة «ي»، التي ترتدي لباساً أصفر أنيقاً من تصميم «غوتييي»، من تشكيلة أزيائه الصيفية، وتنظر إلى كاميرات المراقبة. الفنانة الضريرة، صاحبة الأعمال المعروضة، التي ترتدي لباساً من تصميم «بالنثياغا»، من تشكيلة أزيائه الربيعية، كانت تجلسُ على كرسي آلي متحرك وتتحدث مع ضابط الشرطة القضائية، الذي يرتدي لباساً من تصميم «أرماني»، من تشكيلة أزيائه الشتوية، بلحية ثلاثة أيام، حول نوعية وحدة الإنتاج الفني المعاصر، وهو ما رد عليه المفتش: «اتعلمين؟ الجريمة العنيفة لم تتزايد، فقط ازدادت حدة العنف، يمكنك أن ترجعي إلى الإحصائيات...».

انطلق العرض عند منتصف الليل، كما كان متوقعاً. استبدل المفتش مكانه بمكان الفنانة، التي نهضت من كرسيها المتحرك، الذي أوسعته السيدة الوكيلة ضرباً.

مفتتناً، كان الجمهور يصفق، وسُمعت تعاليق من قبيل: «لم أحضر افتتاحاً بهذه الروعة، إننا نرى هنا أيضاً جدّة وألق الأعمال المعروضة»، أو، «لم أكن أعرف أن السيد المفتش يقوم بعروض»، أو أيضاً «نفهم لماذا ازدادت حدة الجريمة العنيفة، ولم تزدد نوعيتها».

3.

للاحظ أن الجثة، بدون عضو تناسلي الآن، وحسب مؤشرات الفحص التي تم جمعها في القاعة، ربما كان لها عضو لحظات قبل أن تحدث الوفاة.

فعلاً، المكان عبارة عن ماخور، والجثة من الجنس الذكوري، بالمعنى غير اللغوي للكلمة، وكان في سن الاستمتاع بالمضاجعة، ما يجعل من المنطقي أن نستنتج، على الأقل في هذه اللحظة الخاصة بمعاينة المؤشرات، وأمام مكان تواجد الجسد وموقعه في هذا الظرف، أنه كان له عضو تناسلي قبل أن يحصل، نظراً إلى رفق الموت وسخائه، على وضعية لا جنسي التي ينالها الجميع بشكل متساوٍ.

حاولت صاحبة الماخور مُلحة أن تنفي أن الجثة كان لها عضو تناسلي قبل لحظات، متحجّجة بأن ذلك أمر مستحيل، ما دام أن الجثث لا جنس لها، كما نعرف جميعاً. وقد كانت حججها لا تخلو من أسلوب وقوة إقناع، أبانت من خلالها عن معرفة ميدانية وتجريبية بالفلسفة، تليق بأحد التيارات البرغماتية، بل، من يدري، ربما حتى بفتغانستاين. ومع ذلك، فقد صرح محاوزها، الذي نسي اسمه في حوليات التاريخ، رغم أنه كان معروفاً وقتها بأنه من أتباع سبينوزا، أن الجسم، وإن كان واحداً، يمكن أن يتفعّل، ولو في شكل جثة، في وضع خنثوي، ويكون له، بالتالي، عضو تناسلي.

جوزي ماريو سيلْفا: الارنب

عندما كان ما زال ينعم بحياة كريمة، كان منظمو ملتقيات ألعاب القوى يدفعون له أموالاً مقابل أن يحث على المزيد من الجهد عَدّاءً معيناً، يكون قاب قوسين أو أدنى من تحقيق رقم قياسي جديد.

بعد عدة سنين وأحداث، عندما فرّ بعد القيام بتحقيق مصور، رغم أنه لا يتوفر على تلك الصلاحية. أخذ صوراً للجثة كما وجدها، معلقة في الهواء من الرجلين، ترتدي لباساً جميلاً من نوع مياكي. وقّع المحضر باسمه، وهو ما تسبب خلال تطور الملف في عراقيل شكلية كبيرة، نُظراً إلى عدم أهليته للقيام بتلك المهمة والمهارة العالية للمحامين الذين تعاقدت معهم المشتبه بها، من أصل تركي.

2.

أزواج، آباء، إخوة، عشاق أو قوّادون.

ألا يوجد سوى ذكر واحد في الجسد، يتضاعف داخله؟ طبعاً، لا. إنهم كثر ويتضاعفون داخل الجسم وخارجه، يمسكون بحبل جد موتور، وهم عراة بالكامل.

كان افتتاح المعرض يمر بشكل عادي، بحضور الوكيلة «ي»، التي ترتدي لباساً أصفر أنيقاً من تصميم «غوتييي»، من تشكيلة أزيائه الصيفية، وتنظر إلى كاميرات المراقبة. الفنانة الضريرة، صاحبة الأعمال المعروضة، التي ترتدي لباساً من تصميم «بالنثياغا»، من تشكيلة أزيائه الربيعية، كانت تجلسُ على كرسي آلي متحرك وتتحدث مع ضابط الشرطة القضائية، الذي يرتدي لباساً من تصميم «أرماني»، من تشكيلة أزيائه الشتوية، بلحية ثلاثة أيام، حول نوعية وحدة الإنتاج الفني المعاصر، وهو ما رد عليه المفتش: «اتعلمين؟ الجريمة العنيفة لم تتزايد، فقط ازدادت حدة العنف، يمكنك أن ترجعي إلى الإحصائيات...».

انطلق العرض عند منتصف الليل، كما كان متوقعاً. استبدل المفتش مكانه بمكان الفنانة، التي نهضت من كرسيها المتحرك، الذي أوسعته السيدة الوكيلة ضرباً.

مفتتناً، كان الجمهور يصفق، وسُمعت تعاليق من قبيل: «لم أحضر افتتاحاً بهذه الروعة، إننا نرى هنا أيضاً جدّة وألق الأعمال المعروضة»، أو، «لم أكن أعرف أن السيد المفتش يقوم بعروض»، أو أيضاً «نفهم لماذا ازدادت حدة الجريمة العنيفة، ولم تزدد نوعيتها».

3.

للاحظ أن الجثة، بدون عضو تناسلي الآن، وحسب مؤشرات الفحص التي تم جمعها في القاعة، ربما كان لها عضو لحظات قبل أن تحدث الوفاة.

فعلاً، المكان عبارة عن ماخور، والجثة من الجنس الذكوري، بالمعنى غير اللغوي للكلمة، وكان في سن الاستمتاع بالمضاجعة، ما يجعل من المنطقي أن نستنتج، على الأقل في هذه اللحظة الخاصة بمعاينة المؤشرات، وأمام مكان تواجد الجسد وموقعه في هذا الظرف، أنه كان له عضو تناسلي قبل أن يحصل، نظراً إلى رفق الموت وسخائه، على وضعية لا جنسي التي ينالها الجميع بشكل متساوٍ.

حاولت صاحبة الماخور مُلحة أن تنفي أن الجثة كان لها عضو تناسلي قبل لحظات، متحجّجة بأن ذلك أمر مستحيل، ما دام أن الجثث لا جنس لها، كما نعرف جميعاً. وقد كانت حججها لا تخلو من أسلوب وقوة إقناع، أبانت من خلالها عن معرفة ميدانية وتجريبية بالفلسفة، تليق بأحد التيارات البرغماتية، بل، من يدري، ربما حتى بفتغانستاين. ومع ذلك، فقد صرح محاوزها، الذي نسي اسمه في حوليات التاريخ، رغم أنه كان معروفاً وقتها بأنه من أتباع سبينوزا، أن الجسم، وإن كان واحداً، يمكن أن يتفعّل، ولو في شكل جثة، في وضع خنثوي، ويكون له، بالتالي، عضو تناسلي.

الشاندري اويونغ اوليفييْرا: ولادة

الجُثّة ذكرٌ، سواء بالمعنى اللغوي أو غير اللغوي للكلمة، وحسب مؤشرات الفحص التي تم جمعها في القاعة، ربما انتهت للتو من ممارسة الجنس لحظات قبل أن تحدث الوفاة.

فعلاً، المكان عبارة عن ماخور، والجثة من الجنس الذكوري، الآن بالمعنى المحض وغير اللغوي للكلمة، كان في سنّ الاستمتاع بالمضاجعة، ما يجعل من المنطقي أن نستنتج، على الأقل في هذه اللحظة الخاصة بمعاينة المؤشرات، وأمام مكان تواجد الجسد وموقعه في هذا الظرف، أنه كان له عضو تناسلي قبل أن يحصل، نظراً إلى خلف حوار يحرك وجدان القارئ ويدفع إلى استحضار ما تكدّس في ذاكرته أو لا وعيه من نصوص وأقوال. مع ظهور أساليب التعبير الجديدة في وسائل التواصل الاجتماعي من بريد إلكتروني ومنصات تواصل

الشاندري اويونغ اوليفييْرا: انتحار

1.

زوجات، أمهات، أخوات، عشيقات أو مومسات.

ألا توجد سوى أنثى واحدة في الجسد، تتضاعف داخله؟ طبعاً، لا. إنهن كثيرات ويتضاعفن داخل الجسم وخارجه، معلقات بطبات الحبل الموتور، وهن يرتدين تلك الملابس البالية التي صنعها مشاهير الخياطين.

تعود بداية هذه المحاضر إلى وشاية مجهولة: تردد صوت نسائي في التلكس، برموز أجنبية. وسُمع في بناية فريق الشرطة: تيك-تيك تيك-تاك. تيك-تيك تيك-تاك. تيك-تيك-تيك-تاك. تيك-تاك.

بعد أن فك رموز الرسالة، قرأ رئيس المصلحة ما يلي: «حُبي كبير، يهيمن على الأماكن السوداء في المدينة، أنا الحب – القضية، أتضاعف في القبو الذي ترقد فيه الجثة، زنقة مادالينا، رقم 133».

أرسلت فصيلةٌ من الجنود إلى عين المكان.

وعُثر على الجثة في حدود منتصف الليل في القبو. كانت جثة أحد الزبائن

دراسة

البدون في الخليج: غريبون عن الأوطان...

تهاني نصّار

كيف يمكن للمرء أن يثبت هويته إن لم يكن بوسع الانتماء الجغرافي، والبُعد الزمني/ التاريخي، واللغة واللهجة والعادات وثقافة البلد، أن تمنحه إياها؟ هل امتلاك الأوراق الرسمية هو الشيء الوحيد الذي يحدّد حقيقة انتماء الفرد إلى وطن أصلي أو بديل؟ ماذا عن ملايين البشر في العالم من فاقدي الأوراق الثبوتية، والمنفيين خارج أوطانهم، والذين أسقطت جنسيتهم رغماً عن إرادتهم، والباحثين عن ملجأ خارج أرضهم؟ قضايا كثيرة تجمعها آزمة الوجود التي تحوّل الفرد إلى «شبح» أو شخص غير مرئي بالنسبة إلى الدول والمؤسسات الرسمية، وتأتي معاناة الـ«بدُون» في الخليج ضمن هذه القضايا الحساسة. يتناول كتاب «عديمو الجنسية في الخليج: الهجرة والجنسية والمجتمع في الكويت» (الممتد على 483 صفحة من القطع المتوسط) للباحثة الفرنسية كلير بوغراند، قصة «البدون» (اختصاراً لـ«بدون جنسية») في الكويت منذ نشأتهم إلى احتجاجاتهم الأخيرة قبل سنوات عدّة.

الكتاب الصادر عن «منشورات تكوين» (ترجمة عبدالوهاب سليمان)، يحمل بين طياته ستة فصول رئيسة يضم كل منها أبواباً تفصيلية متعددة، بالإضافة إلى مقدمة وتوطئة وخاتمة. في مقدمة الكتاب، تختار الأكاديمية الكويتية العنود الشارخ أن تروي باختصار حادثة محزنة حصلت معها شخصياً حين رفضت تكليف منظمة بريطانية غير حكومية بالتحقّق من هوية ولهجة أحد الكويتيين الـ«بدُون» الذي طلب اللجوء إلى المملكة. وتعلّق الشارخ بالقول: «هذا التحقق من كويتية المرء قولٌ مستهلك يومياً، في البلد التي غادرها البدون. عديمو الجنسية الذين ولدوا وأقاموا في الكويت ويطالبون بالمواطنة، لكنهم لا يملكون الوثائق المؤهلة لإثبات هوياتهم؛ يمكن التذرع بهذه الحجة لصلتها بالمنظور الأمني لا في المملكة المتحدة فحسب، بل في الكويت أيضاً». وتشير الباحثة في «معهد لندن للشرق الأوسط» إلى ارتباط قضية البدون بالطبقية والاقتصاد الاجتماعي للبلد «فقصة السكان البدون واحدة من عوائد الدولة الريعية، حيث تستند الهوية الوطنية إلى المحسوبية العرقية، وانهيار نظام التجنّس الفعّال، وأصبح منح المواطنة مع سيطرة سياسات الدولة الريعية. في فترة بناء دولة ما بعد الاستقلال – امتيازاً يُمنح من قبل الطبقة الحاكمة أكثر منه إحداثاً لدور المواطن».

في الفصل الأول «من الخفاء إلى الوهم: من هم البدون؟»، تعرض الكاتبة كلير بوغراند تعريف مصطلح «البدون»، أو «أناس بلا وثائق» بحسب الترجمة الإنكليزية، فهم «يشكّلون مجموعة من الناس الذين يدّعون أحقيّتهم بالجنسية الكويتية، مستندين إلى عدم ارتباطهم بدول أخرى، بينما تعتبرهم دولة الكويت مقيمين بصورة قانونية على أراضيها. يحتل البدون فجوات الطبقات المتعددة والمركّبة للمجتمع الكويتي بوصفهم مجموعة أشباح؛ فهم غير مرئيين في القوائم الرسمية للدول، غير مرئيّين لدى الجميع في الكويت عدا المطّلعين». ليس هناك ما يميّز البدون عن المواطنين الكويتيين في اللباس واللهجة؛ فهم يتحدثون اللهجة الكويتية. وإن تخللتها نبرات قبلية. ويرتدون الدشداشة والغترة والعقال، ويرجع تاريخهم إلى الصحراء. تميّز الأكاديمية المحاضِرة في جامعة «إكستر» البريطانية، قضية البدون عن بقية التصنيفات الأخرى في المجتمع الكويتي وفقاً لقانون الجنسية، فالكويتيون أساساً هم «الذين أثبتوا إقامتهم المستمرة في الإمارة منذ عام 1920، وهو تاريخ رمزي يشير إلى معركة الجهراء، حيث تم التصدي للإخوان، القبائل المجنّدة من نجد والمحاربة لغير التابعين للوهابية...». أما العرب والأجانب الذين استقروا في الكويت بين عامَي 1930 و1945 «فقد مُنِحوا الجنسية بالتجنيس، ومع ذلك فإنهم محرومون من الحقوق السياسية»، بينما يُطلق على المنحدرين من ميناء الكويت في عهد ما قبل النفط، الذين أثبتوا إقامتهم المستمرة في مطلع ستينيات القرن الماضي مصطلح «الحَضَر». تعتبر الدولة أنّ البدون «قدموا إلى البلاد متأخرين بعد استكمال إجراءات منح الجنسية في عام 1965».

تستند الباحثة في أطروحتها إلى مفهوم «الهوامش» عند الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (1930-2004) الذي قدمه في كتابه «هوامش الفلسفة» (1972) Margins of philosophy، فالهوامش تتظاهر بخطاب متجانس فريد من نوعه، لكنّها في الوقت عينه تشكّل نصاً فلسفياً آخر، «يُحدث صدعاً» ويُعدّ «مكاناً للرؤية النقدية». تُسقط الباحثة منظور دريدا على السردية الرسمية لـ«المجتمعات المتجانسة التي تعيش بسلام في ظل القيادة الحكيمة للآباء القادة» لتطرح فكرة أنّ وجود معارضات بين «المواطنين أصحاب الامتيازات والمواطنين المحرومين» وآخرى بين المواطنين والأجانب في البلد، وقضية البدون، ما هي إلا إشارة إلى «الفشل في تحقيق الرؤية الأبوية التي يقوم عليها العقد الاجتماعي». تقدّم هذه الهوامش الكويتية «رؤية متجددة للواقع الاجتماعي في الإمارة، واقعاً متعدد الأوجه ومتعدد الطبقات ومليئاً بالصراعات».

إذاً تسعى الكاتبة إلى تقديم سردية جديدة تتميّز بكونها «مضادة لسردية الدولة الكويتية التي لطالما حطت من البدون، واستغلت موادرها الإعلامية للقدح فيهم وتجريمهم». تستخدم الباحثة في دراستها هذه نوعين من المصادر: مواد أرشيفية مكتوبة وهي مجموعة مقالات ونصوص صحافية محفوظة في «مركز المعلومات والدراسات» في صحيفة القبس، ومواد أخرى عبارة عن مقابلات مع أشخاص وجودهم المستمر في أراضي الإمارة وإلى بعض الصور التي تظهر المساكن الشعبية للبدون.

يعرض الفصل الثاني الذي يحمل عنوان «الأسس العابرة للأوطان في الإمارة الكويتية»، الخلفية التاريخية للدولة الوطنية قبل اكتشاف النفط، إذ إنّ «التراتبية الاجتماعية الحالية قائمة على سنوات استقرار سكان مختلفين في الكويت بأوقات مختلفة». بحسب الكتاب، «استمد حكام الخليج نفوذهم السياسي وشرعيتهم من سيطرتهم على غالبية سكان المناطق الساحلية الحضرية بقدر ما استُمدّت من سيطرتهم على القبائل المرتحلة من الداخل». وكانت السياسة القبلية هي السياسة العليا وكان من الوجاهة الانتماء إلى هذه القبائل، سواء الجنوبية السنية أو الشمالية «التي تحوّلت إلى المذهب الشيعي الذي انتشر في العراق في القرن التاسع عشر»، فكان البلد قائماً على تعايش وشراكة بين الميناء (المدينة) والصحراء. يقوم الفصل الثالث المعنون «من بدو يقطنون العشيش إلى مقيمين بصورة غير قانونية» على مناقشة نشوء الميثاق الاجتماعي الكويتي بالنظر إلى الممارسات والإجراءات التي خوّلت منح الجنسية الجديدة. وفق القانون الكويتي، «يعرّف الكويتيون أصلاً على أنهم بمقدورهم إثبات شهادة الدخام، ويبقى البدون غريبين في وطنهم، لكنهم يشكلون أحد «الهوامش» في البلد التي فتحت باب النقد تجاه السردية الرسمية. إنهم يعاندون الواقع الذي فُرض عليهم منذ عقود من الزمن، عبر تمسّكهم بقضيتهم ومقاومتهم لكل محاولات طمس هويتهم وانتمائهم للكويت، البلد الذي يحملون ثقافته ولهجته. ويغطي هذا الكتاب جانباً من قصتهم وهذه السردية، ويعتبر مادة تفصيلية حول القضية التي بقيت مهمّشة لعقود، وإن تناولتها بعض المواد الصحافية القصيرة.

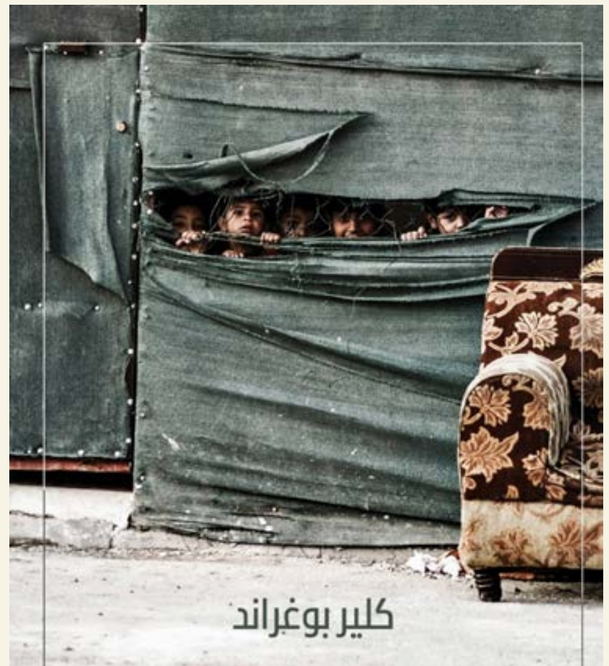

منهم في الشعر والرواية والصحافة محمد النبهان وناصر الظفيري وسعدية مفرح

شعر

لمياء المقدم: ماذا نفعل بكل هذا «العمى»؟

خليك صويلح

تبتكر لمياء المقدم في كتابها «قصائد العمى» (منشورات المتوسط) فضاءً شعرياً يتجنّب السيولة اللفظية والبلاغة والحدس، نحو خيارات أخرى لطالما أهملها الآخرون أو تعاملوا معها على أنها خارج عناية الشعر ومقاصده الجمالية، لكن الشاعرة التونسية المقيمة في هولندا، وجدت أغراضاً شعرية يمكن استثمارها بقليل من الانتباه، أو ما يمكن وضعه في خانة «الشعر والتجربة» وفقاً لمقترح أرشيبالد ماكليش، وهو ما يردم المسافة بين عمل المخيّلة وطراز العيش، باستدعاء ما هو يومي وعادي في حياة الكائن بوصفه جوهر الكتابة ومبتغاها.

سوف تكتب الحياة اليومية انشغالاتها لتشكّل شعرية التجربة، فتحضر الثلّاجة وصفير الغسّالة وحبل الغسيل والطماطم، ليس كضيوف طارئين على مائدة الشعر، وإنما ككائنات مشفّة تنطوي على مقدرة عالية في حمل القصيدة إلى علوٍ شاهقٍ بملاط متين، ومرايا عاكسة. وتالياً فإن الأشياء هي التي تحدّق بك لا أنت، فتتحوّل بتحديقة خاطفة إلى متن شعري «الغبار في كل مكان، صحن القطّة فارغ، النوافذ مضببة، والملابس مكوّمة في الممرّ». رهان من هذا النوع في تأثيث القصيدة، يضع صاحبة «في الزمن وخارجه» حيال تحدٍّ صعب، اختارته بنفسها، متكئة على مخزون حياتي لا يحتاج إلى تقليب عميق لحرائقه، وفي الوقت نفسه يصعب صقله، لفرط عريّه وافتقاده الأسباب الوجيهة لوضعه في خانة الشعر. إلا أن لمياء المقدم تمعن في استثمار ما يحدث لها وحولها بالتقاط شعريّ يتجنّب السيولة اللفظية والبلاغة والحدس، نحو خيارات أخرى لطالما أهملها الآخرون أو تعاملوا معها على أنها خارج عناية الشعر ومقاصده الجمالية، لكن الشاعرة التونسية المقيمة في هولندا، وجدت أغراضاً شعرية يمكن استثمارها بقليل من الانتباه، أو ما يمكن وضعه في خانة «الشعر والتجربة» وفقاً لمقترح أرشيبالد ماكليش، وهو ما يردم المسافة بين عمل المخيّلة وطراز العيش، باستدعاء ما هو يومي وعادي في حياة الكائن بوصفه جوهر الكتابة ومبتغاها.

سوف تكتب الحياة اليومية انشغالاتها لتشكّل شعرية التجربة، فتحضر الثلّاجة وصفير الغسّالة وحبل الغسيل والطماطم، ليس كضيوف طارئين على مائدة الشعر، وإنما ككائنات مشفّة تنطوي على مقدرة عالية في حمل القصيدة إلى علوٍ شاهقٍ بملاط متين، ومرايا عاكسة. وتالياً فإن الأشياء هي التي تحدّق بك لا أنت، فتتحوّل بتحديقة خاطفة إلى متن شعري «الغبار في كل مكان، صحن القطّة فارغ، النوافذ مضببة، والملابس مكوّمة في الممرّ». رهان من هذا النوع في تأثيث القصيدة، يضع صاحبة «في الزمن وخارجه» حيال تحدٍّ صعب، اختارته بنفسها، متكئة على مخزون حياتي لا يحتاج إلى تقليب عميق لحرائقه، وفي الوقت نفسه يصعب صقله، لفرط عريّه وافتقاده الأسباب الوجيهة لوضعه في خانة الشعر. إلا أن لمياء المقدم تمعن في استثمار ما يحدث لها وحولها بالتقاط شعريّ يتجنّب السيولة اللفظية والبلاغة والحدس، نحو خيارات أخرى لطالما أهملها الآخرون أو تعاملوا معها على أنها خارج عناية الشعر ومقاصده الجمالية، لكن الشاعرة التونسية المقيمة في هولندا، وجدت أغراضاً شعرية يمكن استثمارها بقليل من الانتباه، أو ما يمكن وضعه في خانة «الشعر والتجربة» وفقاً لمقترح أرشيبالد ماكليش، وهو ما يردم المسافة بين عمل المخيّلة وطراز العيش، باستدعاء ما هو يومي وعادي في حياة الكائن بوصفه جوهر الكتابة ومبتغاها.

سوف تكتب الحياة اليومية انشغالاتها لتشكّل شعرية التجربة، فتحضر الثلّاجة وصفير الغسّالة وحبل الغسيل والطماطم، ليس كضيوف طارئين على مائدة الشعر، وإنما ككائنات مشفّة تنطوي على مقدرة عالية في حمل القصيدة إلى علوٍ شاهقٍ بملاط متين، ومرايا عاكسة. وتالياً فإن الأشياء هي التي تحدّق بك لا أنت، فتتحوّل بتحديقة خاطفة إلى متن شعري «الغبار في كل مكان، صحن القطّة فارغ، النوافذ مضببة، والملابس مكوّمة في الممرّ». رهان من هذا النوع في تأثيث القصيدة، يضع صاحبة «في الزمن وخارجه» حيال تحدٍّ صعب، اختارته بنفسها، متكئة على مخزون حياتي لا يحتاج إلى تقليب عميق لحرائقه، وفي الوقت نفسه يصعب صقله، لفرط عريّه وافتقاده الأسباب الوجيهة لوضعه في خانة الشعر. إلا أن لمياء المقدم تمعن في استثمار ما يحدث لها وحولها بالتقاط شعريّ يتجنّب السيولة اللفظية والبلاغة والحدس، نحو خيارات أخرى لطالما أهملها الآخرون أو تعاملوا معها على أنها خارج عناية الشعر ومقاصده الجمالية، لكن الشاعرة التونسية المقيمة في هولندا، وجدت أغراضاً شعرية يمكن استثمارها بقليل من الانتباه، أو ما يمكن وضعه في خانة «الشعر والتجربة» وفقاً لمقترح أرشيبالد ماكليش، وهو ما يردم المسافة بين عمل المخيّلة وطراز العيش، باستدعاء ما هو يومي وعادي في حياة الكائن بوصفه جوهر الكتابة ومبتغاها.

سوف تكتب الحياة اليومية انشغالاتها لتشكّل شعرية التجربة، فتحضر الثلّاجة وصفير الغسّالة وحبل الغسيل والطماطم، ليس كضيوف طارئين على مائدة الشعر، وإنما ككائنات مشفّة تنطوي على مقدرة عالية في حمل القصيدة إلى علوٍ شاهقٍ بملاط متين، ومرايا عاكسة. وتالياً فإن الأشياء هي التي تحدّق بك لا أنت، فتتحوّل بتحديقة خاطفة إلى متن شعري «الغبار في كل مكان، صحن القطّة فارغ، النوافذ مضببة، والملابس مكوّمة في الممرّ». رهان من هذا النوع في تأثيث القصيدة، يضع صاحبة «في الزمن وخارجه» حيال تحدٍّ صعب، اختارته بنفسها، متكئة على مخزون حياتي لا يحتاج إلى تقليب عميق لحرائقه، وفي الوقت نفسه يصعب صقله، لفرط عريّه وافتقاده الأسباب الوجيهة لوضعه في خانة الشعر. إلا أن لمياء المقدم تمعن في استثمار ما يحدث لها وحولها بالتقاط شعريّ يتجنّب السيولة اللفظية والبلاغة والحدس، نحو خيارات أخرى لطالما أهملها الآخرون أو تعاملوا معها على أنها خارج عناية الشعر ومقاصده الجمالية، لكن الشاعرة التونسية المقيمة في هولندا، وجدت أغراضاً شعرية يمكن استثمارها بقليل من الانتباه، أو ما يمكن وضعه في خانة «الشعر والتجربة» وفقاً لمقترح أرشيبالد ماكليش، وهو ما يردم المسافة بين عمل المخيّلة وطراز العيش، باستدعاء ما هو يومي وعادي في حياة الكائن بوصفه جوهر الكتابة ومبتغاها.

سوف تكتب الحياة اليومية انشغالاتها لتشكّل شعرية التجربة، فتحضر الثلّاجة وصفير الغسّالة وحبل الغسيل والطماطم، ليس كضيوف طارئين على مائدة الشعر، وإنما ككائنات مشفّة تنطوي على مقدرة عالية في حمل القصيدة إلى علوٍ شاهقٍ بملاط متين، ومرايا عاكسة. وتالياً فإن الأشياء هي التي تحدّق بك لا أنت، فتتحوّل بتحديقة خاطفة إلى متن شعري «الغبار في كل مكان، صحن القطّة فارغ، النوافذ مضببة، والملابس مكوّمة في الممرّ». رهان من هذا النوع في تأثيث القصيدة، يضع صاحبة «في الزمن وخارجه» حيال تحدٍّ صعب، اختارته بنفسها، متكئة على مخزون حياتي لا يحتاج إلى تقليب عميق لحرائقه، وفي

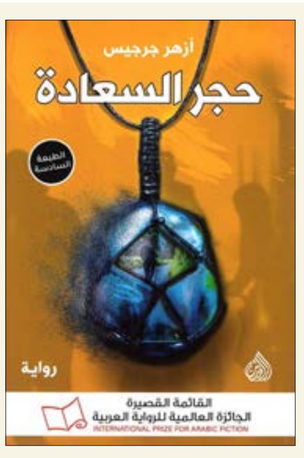

تهدينا نصوصاً متفرّدة، بالكاد نجد مثيلاً لها في مائدة الشعر اليوم

رواية

أزهر جرجيس يروي أحوال العراق

منير الحايك

في سؤاله عن الفنّ وحضوره في روايته «حجر السعادة» (دار الرافدين)، يستعين الروائي العراقي أزهر جرجيس بمقولة الببر كامو «طريق السعادة وعرٌ ما لم يساعدنا الفنّ على اجتيازه»، ثم يضيف إنّ الفنّ «ترياق جيّد لترميم النفس البشرية حين يطالها الخراب». وليس ثمّة خراب بطال النفس كذاك الذي يطال بلاداً تعاني أزمات متلاحقة، فيأتي دور الفنان/ الأديب ليصنع لنا هذا الترياق، ليكون معيناً لنا، وله على حدّ سواء، لتستطع الأنفس في بلادنا التقاط الأنفاس والاستمرار.

«حجر السعادة» هو عنوان رواية الكاتب التي تبدأ في الموصل وتنتهي في بغداد. في الموصل حيث الأب المهمل السكّير الذي يتزوّج بعد وفاة زوجته الأولى، فتكون حال الأطفال مع زوجة الأب التي تُنجب أيضاً، هي الحال التي نعرفها وتداولتها الكثير من القصص والأعمال الفنية والدرامية. إلا أنّها تغدو مقدّمة فقط لما سنؤول إليه حال كمال، الذي يكون مسؤولاً - عن غير قصد، بسبب عناده ورفضه للتنمّر والخضوع - عن وفاة الأخ الأصغر، من الزوجة الثانية. وهنا تبدأ الحكاية، وتبدأ رحلة كيمو/ كمال المصوّر. حضور الأخت التي تركها تصارع حياة البؤس مع والدها، ومن ثمّ مع الزوج المتخلّف، لم يكن قوياً، وهذا مقصود من الكاتب، الذي أراد لكمال أن يشقّ طريقه نحو العذابات بمعزل عن العائلة وهمومها، فيكون التركيز على الهمّ الشخصيّ، الممثّل لأبناء جيل بأسره، هو المتحكّم بسير أحداث الرواية وشخوصها، إلى أن تظهر الأخت فتعيد الحنين والذكريات، كله في سبيل التركيز على هموم الشخصية المنفردة بالأحداث، التي تتشكّل المتغيّرات من حولها بسبب حركتها هي فقط. حتى مع وفاة الأخت، فهي لا تُؤدّي سوى الدور المتمثّل باستعادة الماضي الممزوج بالأسى على وفاة الأخ الأصغر ريمون.

كمال المصوّر، يجد حجر السعادة في الموصل، حيث بستان الجنّ المزعوم. يرافقه هذا الحجر في جميع أسفاره، النفسية والمكانية، ضمن الأطر الزمنية المختلفة. سعى الكاتب بشكل مُحكَم ومدروس، إلى جعل كمال المحبّ للتصوير منذ طفولته، الذي صنع كاميرته الكرتونية بنفسه، يلتقي بالمصوّر خليل الذي أحبّ زوجته ولم ينجبا، فيحتضن كمال الفتى العنيد، الذي شاءت ظروفه أن يسرق ويحرق ويتعرض للطعن ويفقد كلية، من دون الخوض في الرومانسية المرافقة لمثل هذا الاحتضان. فقد ظلّ كمال المراهق على عناده، وظلّ العمّ خليل، يعامله بطريقة لم تتعدّ اللطف والاحتضان، فأصبح عاملاً ومن ثمّ مصوّراً، فأخذتنا الرواية من تنبُّؤ إلى فعل رومانسيّ قد يحصل، إلى فعل واقعي يدعم مسيرة كمال التي كانت همّ الرواية الأول، فيغدو الموظّف والعامل ويد معلّمه اليمنى.

قصّة حبّ كمال، التي تحميه في نهاية الرواية من أن يقوم بفعل القتل، فينتصر الحبّ على الانتقام، قابلتها قصة حبّ خليل لزوجته التي بوفاتها تحوّل إلى كائن كئيب، فيما تقف شخصية خليل في مواجهة صورة الأب التي صوّرتها الرواية، والد كمال، لتجعل المتلقي يقف أمام حالات مختلفة من حالات الحب والبغض، ولا يوجّهنا نحو تبنّي وجهة نظره حول إحداها، بل يترك للأحداث أن تقوم بالأمر.

هي واحدة من الروايات التي تجعلك تتمهّل في قراءتها كي لا تنتهي، ولا تشتّت نحو نهاية فيها تشويق حول ما، فتظلّ في حال توتّر لترى ماذا سيحصل. فقط خلال الفصلين الأخيرين، يحدث الأمر، فتكون جاهزاً لتُنهي الرواية وتنهي معك تساؤلك الذي لا تلبث الرواية أن تجيب عنه. تأتي سلاسة الأسلوب، واللغة المتينة التي يشوبها الحزن برشاقة، لتشكّل مع فكرة النصّ والهموم التي حملها، وطريقة معالجتها البعيدة عن التكلّف، لتجعل الرواية عملاً كاملاً، ضمن قالب سردي جاذب ومثير.

طرحت الرواية قضايا متنوّعة، حول العراق وما أصابه، فالزمن في الرواية أساسيّ، ليس أثناء الخوض في تجارب الشخصيات الفردية، على الرغم من تأثير الزمن فيها إلى حدّ ما، بل أثناء الحديث السريع وغير المؤثّر على حرفيّة كاتب السردية، في أمور الوطن والسياسة، فلا تسلم مرحلة سياسية من النقد، منذ صدّام وحروبه العبثية التي مات بسببها الناس جوعاً وقبل الجوع بالرصاص والصواريخ، إلى ما بعد الاحتلال، وتحديداً قبيل الثورة الأخيرة، التي تنبّأت الرواية بأنها ستهدأ، إن لم نقل ستفشل، وبأنّ الثعابين أمثال «صاحب مكتبة الأضواء الساطعة» سيستمرّون في ركوب الموجات مع كلّ زعيم جديد يفرّخ بعد الأزمات في بلادنا. الرواية لا تعطيه اسماً، بل صفة الثعبان وما تحمله من صفات، ليكون الحالة الأساسية التي تريد الرواية التبشير بأنه سيسود ويتكرر. وعندما جعلت كمال يغطّ في النوم بعد الجنس، فيمنعه الحب من الانتقام من هذا الثعبان، كانت تبعاً للمعايشة، بفحص أفق اليومي من جهة، وامتحان اللغة باستيعاب كلّ ما يبدو ليس شعراً من جهة ثانية، وتالياً، فإنّ هذه الهجنة التخييلية تذهب كثيرة مستقرة بالإفلات مما هو مكرّر لمصلحة الذات في متاهتها وصعوبة توثيق حركتها وترحالها من فضاء نحو مناطق بكر، وخلخلة الكتلة هندسياً بركض ويسقط، ينحني ويتعثر ويستبق؟ أليس هذا النص في حد ذاته ركبتين؟». هكذا تواجه لمياء المقدم الانسداد الشعري الذي أصاب تجارب كثيرة مستقرة بالإفلات مما هو مكرّر لمصلحة الذات في متاهتها وصعوبة توثيق حركتها وترحالها من فضاء نحو مناطق بكر، وخلخلة الكتلة هندسياً بركض ويسقط، ينحني ويتعثر ويستبق؟ أليس هذا النص في حد ذاته ركبتين؟». هكذا تواجه لمياء المقدم الانسداد الشعري الذي أصاب تجارب كثيرة مستقرة بالإفلات مما هو مكرّر لمصلحة الذات في متاهتها وصعوبة توثيق حركتها وترحالها من فضاء

تبدأ الأحداث في الموصل وتنتهي في بغداد

تؤكّد على أنّ الحبّ سينتصر في قلوب أبناء شعبنا دائماً، ولكن سيستمر في المقابل أمثال هذا الثعبان بالظهور والنجاة.

ماخذ واحد على الرواية هو عنوانها، فحجر السعادة الذي نتوقّع حضوره بشكل أساسيّ، فيكون مؤثّراً في الأحداث والحالات النفسية بشكل كبير، نجده يظهر كل حين وحين. كان الكاتب يبنساه أثناء انشغاله بما هو أعمق من فكرة الحجر، فيعود كمال ويذكره، إلى أن يرميه في النهر عندما يقرر الانتقام. اختيار العنوان جاء فقط لأنّه عنوان جاذب، لكنّ الحجر محشور في الأحداث، وكان يمكن التخلّي عنه بكل بساطة، لأنّ النصّ أقوى من فكرة الغرائبيّة التي كاد يسقط فيها.

وعلى الرغم من تصنيف بعضهم بأنّ أسلوب الكاتب كان ساخراً، أو ما يعرف بالسخرية السوداء، إلا أننا لم نجد ذلك أساسياً في النصّ كي يُذكر بوصفه مكوّناً من مكوّناته، على الرغم من مرور بعض السخرية والكلمات العامية في وصف الحالات، بيد أنّ أسلوب الكاتب يبقى طاغياً على المكوّنات جميعها، لما فيه من جذب وإمتاع، ومعه تأتي المكوّنات الأخرى بترتيب لاحق.

أراد أزهر جرجيس أن يجعل من خليل المصوّر حالة إنسانية، يحقّ لها النطق بالحكم والأفكار العظيمة، وأنت عندما تبدأ بالقراءة، تظنّ أنّ خليل المصوّر هو حقاً شخص موجود ومشهور. فالرواية تبدأ بحكمة له في صفحتها الخامسة، على غرار ما يبديه الكتّاب من أبيات شعرية وأقوال تأثّروا فيها وتتقاطع مع ما يكتبون، فتكتشف في ما بعد أنّ خليل المصوّر هو شخصية من إنتاج خيال الكاتب. ولكن ألا يحقّ للكاتب أن يكون نرجسيّاً ولو قليلاً؟ نقول ولمْ لا، فخليل المصوّر حين يفتتح الرواية يقول «حين تغادرنا السعادة، فإن كل ما نعيشه بعدها لا يعدّ مغرياً».

أوراق

نقش إسلامي من السنة الرابعة للبعثة النبوية

زكريا محمد *

أثار اهتمامي وشكوكي معاً إعلان «هيئة التراث» السعودية حلّها للغز نقش إسلامي جرى العثور عليه من قبل في منطقة «رابغ» مؤرَّخ بالسنة الرابعة والعشرين للهجرة، وله علاقة بالخليفة عثمان بن عفان، ومكتوب من قبل شخص اسمه «زهير». فالعثور على نقش مؤرخ بهذه السنة، ومكتوب بخط شخص يدعى «زهير» يشير إلى أننا قد نكون مع زهير نفسه الذي عثر له على نقش في منطقة العلا يتحدث عن مقتل الخليفة عمر، وقُرئ هكذا: «بسم الله. أنا زهير كتبت زمن توفي عمر سنة أربع وعشرين». ورغم أن الهيئة لم تربط مباشرة بين زهير رابغ وزهير العلا، فإن الربط يبدو منطقياً جداً. وقد أثار احتمال أن نكون مع الكاتب ذاته شكوكي تجاه قراءة «هيئة الآثار» للنقش. فوجود زهير في النقشين يعطينا ما يشبه أن يكون مراسلاً حربياً يتنقل من مكان إلى مكان لنقل أخبار الحرب على الجبهة. فقد وصل إلى زهير المفترض خبر مقتل عمر في العلا، فسجّله، ثم انتقل مباشرة، وعلى عجل، لتغطية ذيول الحدث الكبير. ثم وصله خبر تنصيب عثمان بن عفان وهو في رابغ (تبعد عن المدينة قرابة 280 كلم، وعن مكة قرابة 330 كلم، وهي اليوم تابعة لإمارة مكة)، فسجّله فوراً، ثم تابع رحلته في ما يبدو. وهذا يشبه فيلماً من هوليوود في الحقيقة أكثر ما يشبه قصة نقوش مبعثرة من عصر الخلفاء الراشدين.

وقد دفعني الاهتمام والشك إلى محاولة التحديق في النقش للتأكد من صحة القراءة المقدمة له، ومن صحة وجود زهير هذا، فوجدت بيان «هيئة التراث» منشوراً على تويتر تحت عنوان: «العثور على نقش تاريخي مرتبط بثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه». يقول البيان: «تُقدم هيئة التراث قراءة جديدة لنقش مرتبط بثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث تم العثور على النقش من بين عدد من المهتمين، ضمن حدود قصر عليا الأثري بمنطقة مكة المكرمة، وأجرت الهيئة فحصاً وتوثيقاً للنقش يكشف عن غموض السطر الأول، والذي أسفر عن اسم الذي كتب وقام بتدوين النص». ثم قدمت الهيئة قراءتها للنقش على الشكل التالي:

«أنا زهير آمنت
بالله وكتبت زمن
أمّر بن عفان
سنة أربع وعشرين».

وقد أدى النقاش الذي دار حول البيان الذي لم يذكر أسماء مكتشفي النقش وقارئيه الأول، إلى اضطرار الهيئة لتقديم توضيحات محددة بخصوص هؤلاء. نسبت العثور عليه وقراءته الأولى لكل من الدكتور عيد اليحيى ومحمد المغذوي، وجماعة معهما. بذا، فقد تبين أنّه كانت هناك قراءة أولى للنقش مختلفة عن قراءة الهيئة. وهذا يعني أنّ عمل الهيئة كان تصحيح القراءة السابقة التي كانت على الشكل التالي: «لله وكتبت زمن أمّر ابن عفان سنة 24». وهو ما أشارت إليه بالفعل «هيئة التراث» في بيانها حين تحدثت عن: «قراءة جديدة» للنقش. وتبعاً للبيان، فقد كان الجديد الذي قدمته الهيئة هو قراءة السطر الأول غير الواضح، وعلى الأخص الكلمة الثانية فيه التي قرأتها على أنها «زهير». بالتالي، صرنا نعلم أنّ هناك شخصاً يدعى زهيراً يعلن أنه كاتب النقش.

مشكلات قراءة هيئة التراث

لكن التدقيق في النقش والتحديق في صورته المنشورة وفي رسم الهيئة له يؤدّيان إلى اكتشاف مشكلات جدية في قراءته.

المشكلة الأولى: إنّ الهيئة أخرجت القسم الأسفل من النقش، أي السطرين الخامس والسادس اللذين يقولان بحسب رسمهما من قبل الهيئة: «أنا عبد اله سعد»، وهو ما كان قد فعله أيضاً أصحاب القراءة الأولية أيضاً، الذين أخرجوا هذه الجملة من النقش، ورأوا أنّها تمثل نقشاً آخر لا علاقة له بالنقش الذي نتحدث عنه. هذا رغم أن الجملة ملتصقة بشدة بالنقش، وتوحي بأنها جزء أصيل منه.

وقد أُخرج هذا الجزء نهائياً من النقش لأن السطر الأول يبدأ بكلمة «أنا... ». وجود هذه الكلمة جعل القارئين القدماء والجدد، يفترضون أن اسم الكاتب يجب أن يتبع كلمة «أنا». وإذ قرأت الهيئة الاسم غير الواضح بعد كلمة «أنا» على أنه «زهير»، فقد ثبت لها أنّ النقش الأسفل لكاتب آخر. عليه، فالعثور على «زهير»، أوجب إبعاد الشخص الذي يبدو أنه يدعى «عبد الله بن سعد». وبإبعاد عبد الله أقفلت طريق فهم النقش.

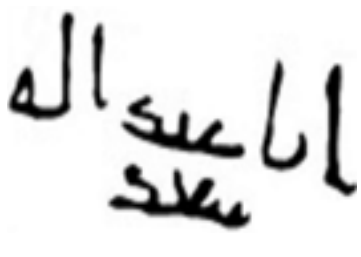

المشكلة الثانية: إن الاسم «عفان» كُتب بالألف حسب الهيئة. وهذا غير معهود في تلك الفترة. فنقش قيس الكاتب الذي يوثق حادثة مقتل الخليفة عثمان مثلاً يكتب اسمه هكذا: «عثمن بن عفن». وهذا يضاعف الشكوك. فالألف تكتب في النقش الأقدم، لكنها تحذف من النقش الأحدث. وهو عكس ما يجب أن يحدث منطقياً. فالألف التي كانت لا تكتب، أخذت تكتب مع تقدم الزمن.

المشكلة الثالثة: إن نون الاسم «عفان» تموضعت، حسب قراءة الهيئة، في الواقع في السطر الرابع لا في السطر الثالث. بالتالي، فالجزء الأساسي من الاسم عثمان، والمكون من ثلاثة حروف، يقع في السطر الثالث، لكن النون تقع بغالبية جسدها في السطر الرابع. وهذا غريب فعلاً.

المشكلة الرابعة: إنّ نون عفان هذه تقسم كلمة «وعشرين» إلى قسمين وتفصل بينهما: «وعشر+ ين». وهذا أمر غريب آخر أيضاً.

لكل هذا، بدا لي أن قراءة النقش بهذه الطريقة مشكوك فيها، بل غير سليمة. وبالتدريج تأكد لي أنّ القسم الذي أبعدته «هيئة التراث» جزء أصيل من النقش، وأنه يحوي اسم الكاتب. بذا فاسم كاتب النقش هو «عبد الله بن سعد». لكن بما أن السطر الأول يبدأ بكلمة «أنا...» فقد كان لا بد لي أن أفترض أن الكاتب يكرر اسمه بشكل ما في بداية النقش وآخره. وهذا ما سهل عليّ قراءة الجزء غير الواضح من السطر الأول هكذا «أنا بن سعد». وهذا يعني رفض فكرة وجود «زهير» في النقش نهائياً. أما ما يشبه الزاي هناك، وهو في الحقيقة يشبه الذال وليس الزاي، فليس في الواقع أكثر من خط مصادف حدث بعد كتابة النقش.

كما يمكن القول إنني حين قرأت الحرف الاسم «عفن» على أنه مكون من ثلاثة أحرف لا من أربعة، فقد أخذ الحرف الطويل الرابع، الذي قرئ نوناً، موقعه في السطر التالي، أي الرابع، ولم يعد تابعاً لكلمة «عفان» في السطر الثالث، وهذا ما سهل عليّ قراءته على أنّه تاء كبيرة الحجم في كلمة تقرأ «شعرتُ». وكلمة شعرت هذه هي التي قرئت على أنها «عشرين» بعدما أضيفت إليها كلمة «بن» في جملة «عبد الله بن سعد».

وحين وصلت إلى عدم وجود كلمة «عشرين» في النقش، كان لزاماً عليّ أن أقرأ «سنة أربع» وليس «أربع وعشرين». وكانت هذه هي مفاجأة النقش الكبرى.

وقد فرض وجود كلمة «أربع» بالضرورة إلغاء احتمال وجود كلمة «أُمِّر» التي تشير إلى تنصيب عثمان بن عفان خليفة. ففي السنة الرابعة الهجرية، لم تكن هناك لا إمارة ولا خلفاء. عليه، فقد كان عليّ تقديم قراءة أخرى للكلمة. وهكذا وصلت إلى أنّ الكلمة يجب أن تقرأ «آمَنَ» لا «أُمِّر»، وبهذا اكتمل النقش الذي ليس فيه أي زهير، وليس له علاقة بالتوقيت الهجري، ولا بخلافة عثمان بن عفان، وصار مفهوماً وواضحاً:

«أنا بن سعد آمنت با
لله وكتبت زمن
آمن بن عفن سنة
أربع وشعرتُ
أنا عبد الله بن
سعد»

مع ملاحظة أن ألف كلمة «الله» في السطر قبل الأخير ضائعة. بذا فإما أن يكون الكاتب قد نسي كتابتها، أو أنها طمست.

إعلان للإيمان على الصخرة

ويمكن القول، من دون مبالغة، إن قراءة النقش بهذه الطريقة يشبه انفجار قنبلة كبرى. فهو نقش يؤرخ بتاريخ غير التاريخ الهجري. إذ هو يقول: «زمن آمن بن عفان سنة أربع». وعثمان بن عفان لم يؤمن في السنة الرابعة للهجرة، بل آمن بمكة قبل الهجرة. بذا فالمنطقي أن نفهم أن الحديث يجري عن السنة الرابعة للبعثة النبوية. وهذا يعني أنّ الحلقة الأولى من المسلمين كانت تؤرخ في ما بينها بسنة المبعث في ما يبدو. لكن هذا التاريخ جرى التخلي عنه لصالح التاريخ الهجري لاحقاً.

> صراع قريش مع الرسول والمسلمين انفجر نهائياً بعد تاريخ كتابة النقش

ومن الواضح بالنسبة إليّ أنّ النقش قد كتب قبل انفجار الصراع على مداه بين النبي ودينه الجديد وبين قريش. وهو ما يعني أنّ صراع قريش مع الرسول والمسلمين انفجر نهائياً بعد تاريخ كتابة النقش، أي بعد السنة الرابعة للبعثة. أي عملياً في السنة الخامسة للبعثة، وهي السنة التي هاجر فيها عثمان بن عفان إلى الحبشة. بالتالي، فالنقش يؤيد الرواية الإسلامية عن الأحداث في هذه الفترة.

لكن النقطة المركزية، التي يجب توضيحها، تتعلق بكلمة «شعرت» في النقش. ففهمها في سياقها يعطينا فكرة عن تتابع الأحداث التي يعرضها النقش. وكلمة «شعرت» تعطينا أحد معنيين: حدست، أحسست، فهمت، فطنت، ونحن نستعملها الآن غالباً بالمعنى الأول. أو علمتُ وأُخبرت، ويبدو أنّ النقش يستعملها بهذا المعنى، أي بمعنى علمت وعرفت ودريت، هو المعنى الأشيع عند القدماء: «شَعَرَهُ الأَمْرَ وأَشْعَرَه به: أعلمه إياه. وفي التنزيل: وما يُشْعِركم أنها إِذا جاءت لا يؤمنون؛ أَي وما يدريكم. وأَشْعَرْتُه فَشَعَرَ أَي أَدْرَيْتُه فَدَرَى. وشَعَرَ به: عَقَلَه. وحكى اللحياني: أَشْعَرْتُ بفلان اطَّلَعْتُ عليه، وأَشْعَرْتُ به: أَطْلَعْتُ عليه، وشَعَرَ» (لسان العرب).

وإن صح هذا، فإنه يمكن الوصول إلى ترتيب الأحداث تبعاً للأفعال التي وردت في النقش: «أنا زهير آمنتُ وكتبتُ زمن آمن بن عفان وشعرتُ». فنحن نبدأ مع معرفة ابن سعد بخبر إيمان عثمان «شعرتُ»، ثم نمضي إلى إعلانه لإيمانه (آمنت) على إثر إيمان عثمان، ثم كتابته لنقش الإعلان عن إيمانه (كتبتُ). وهذا يعني:

أولاً: إنّ خبر إيمان ابن عفان وصل لابن سعد، وهو في رابغ، فكتب نقشه توثيقاً للخبر، واحتفاء به في ما يبدو.

ثانياً: وهذا يعني أن العطف في الأفعال (آمنت وكتبت وشعرتُ) عطف تتابع مباشر وفوري في ما يبدو. أي أن الرجل أعلن إيمانه بعد وصول خبر إيمان عثمان، ثم كتب إعلاناً بذلك على الصخرة فوراً.

ثالثاً: ويمكن للمرء أن يرى أن الفارق بين لحظة إيمان عثمان وإيمان ابن سعد يبلغ أسبوعاً تقريباً، فالمسافة بين مكة ورابغ في حدود 330 كلم. وهذه تحتاج إلى أسبوع لقطعها وإيصال الخبر.

رابعاً: كل هذا يشير إلى أنّ أمر إيمان الرجلين كان موضوع تداول بينهما من قبل، أي أنهما ناقشا معاً احتمال دخولهما حلقة الرسول الأولى وهما في مكة. لذا فحين سمع بن سعد بخبر إيمان عثمان رسمياً، بادر إلى الإعلان الفوري عن إيمانه هو أيضاً في نقشه. وهذا يعني أنّ ابن سعد كان على علاقة وطيدة بابن عفان. أي أنهما كانا صديقين. كما يعني أنّ إعلانه عن إيمانه في نقشه هو في الواقع إعلان مزدوج، أي إعلان عن إيمانه وإيمان عثمان معاً.

خامساً: أخيراً، هذا يجعلنا نفهم لمَ كرر الرجل اسمه مرتين في النقش. فالأول هو توقيعه (أنا بن سعد). وكان التوقيع، أي إعلان اسم الكاتب، يوضع في أول النقش في كثير من الأحيان. أما الثاني (أنا عبد الله بن سعد) فهو مربوط بكلمة شعرت: أي: حين شعرت- عرفت أنا عبد الله بن سعد. بالتالي، أراد الرجل أن يتضح للقارئ العابر من هو «بن سعد» الذي يعلن إيمانه ويعلن أنه كاتب النقش. وهذا يعني أنه لم يكن خائفاً من الإعلان عن ذلك. ومن المحتمل أنّ قضية الإعلان عن اتباع الدين الجديد قد نوقشت بينه وبين عثمان، واتفقا عليها، أي اتفقا على أنهما سيعلنان عن إيمانهما حين يقرران دخول الدين الجديد. ففي ذلك الوقت كانت قد بدأت حركة إعلان للمؤمنين الجدد في تحد لمكة وسادتها.

● عبد الله بن سعد

لكن، من هو عبد الله بن سعد كاتب النقش هذا؟ من هو هذا الشخص الذي كان قريباً جداً من عثمان بن عفان حدّ أنه يعلن إيمانه عقب إعلان بن عفان عن إيمانه؟ نحن لا ندري. فهناك أكثر من عبد الله بن سعد في فترة الإسلام الأولى في مكة.

لكنّ هناك احتمالاً جدياً لأن يكون هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخي عثمان بن عفان في الرضاعة. وهذا يفسر سرّ اهتمام الكاتب بعثمان بن عفان وإيمانه. لكن سيرة عبد الله بن سعد مضطربة للأسف. هناك من يقول إنه أسلم قبل صلح الحديبية، ثم هاجر إلى المدينة وصار كاتباً للرسول. وهذا تنقضه بقوة الأخبار التي تقول إنّ الرجل كتب للرسول في مكة: «وأول من كتب له [للرسول] بمكة من قريش عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح، ثمّ ارتدّ، ثمّ عاد إلى الإسلام يوم الفتح» (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري). يضيف الحلبي: «وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد» (الحلبي، السيرة الحلبية). وهو ما يحدثنا أيضاً عنه الدكتور جواد علي: «روي أنه كان أول من كتب له من قريش» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام). والحال، أن أول كاتب للرسول في مكة يجب أن يكون أول كاتب وحي على الإطلاق. فقد بدأت كتابة الوحي في مكة.

وهناك من يقول إن ابن سعد آمن قبل صلح الحديبية ثم هاجر إلى مكة وكتب للرسول. والنقش ينقض هذا القول نهائياً. كما أن الأخبار عن أنه أول من كتب للرسول تنقضه أيضاً.

لكن المشكلة أنّ وقت ميلاد عبد الله غير مؤكد. فهناك من أخبرنا أنه ولد في عام 23 قبل الهجرة، أي عملياً بين عامَي 599-600 ميلادية. لكن هذا يقتضي أنه كان غلاماً بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة حين أعلن إسلامه في نقشه. ولو أنه كان غلاماً حين أسلم بالفعل، لجرى التطرق إلى هذا بشكل ما. فالمصادر الإسلامية كانت مشغولة بإيمان الفتيان. فوق ذلك، فكيف يكون أخاً لعثمان في الرضاعة إن كان الفارق بينهما عشر سنوات؟ فعثمان كان في الخامسة والثلاثين حين أسلم. عليه، فالمنطقي أن يكون الرجلان في العمر ذاته تقريباً، أي أنهما معاً كانا في الثلاثينيات من العمر.

أما وفاته فمختلف عليها: «مات سنة ست وثلاثين، أو سبع وخمسين، أو تسع وخمسين» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام). ويبدو أن رقمين من هذه الأرقام ينطلقان من الرقم 23. فإذا جمعنا الرقمين 36 و 23، فسوف نحصل على الرقم 59. أي إنه عاش 23 سنة قبل الهجرة و 36 بعدها. بالتالي فهذه الأرقام تكرر، بشكل ما، الفكرة نفسها عن مولد الرجل في عام 23 قبل الهجرة.

على أي حال، فقد ارتد عبد الله بن سعد عن الإسلام لاحقاً، وبعد الهجرة، وبدأ يتقول على الرسول ويخبر أهل مكة أنه كان يحرّف ما يمليه عليه الرسول، وأن الرسول كان يوافق على التحريف. وقد آذى هذا الزعم الرسول إيذاء شديداً جداً، فهو يشكك بمصداقيته ومصداقية وحيه. وهذا ما جعله يضع عبد الله ضمن قائمة من أربعة هدر دمهم عند فتح مكة. لكن عثمان بن عفان هو الذي أنقذه، وما كاد لينجح. ثم (حسن إسلام) عبد الله من جديد بعد ذلك، كما تقول المصادر الإسلامية، وصار شخصية عسكرية وسياسية كبرى في الإسلام، فقد ولّي مصر، وأشير إليه أنه فاتح أفريقيا. وقد اعتزل في ما يبدو أيام الفتنة الكبرى، وأقام في بيته في فلسطين. ولا أنوي أن أطيل الحديث عن قصته المشهورة.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 27 Mai 2023 no66
السبت 27 أيار 2023 العدد 66

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

العدو عالسّمع

[2-3]

فصول من نهب التاريخ والاتجار بالتراث

[3/3]

7-6

استكمال عيد استعادة الحقوق

5

خطر تصاعد دوافع الانتحار في السجون

4

حذار السمسرة الإلكترونية

أونلاين

الجريمة المعلوماتية

يعمل العدو الإسرائيلي إلى إعادة إحياء شعار «الجيش الذي لا يُقهَر»، ولو من بوّابة الفضاء الافتراضي. من خلال تطوير «بيغاسوس» الذي يُعدّ من أكثر برمجيات التجسّس تطوّراً، والذي استطاع ان «يحلّق» بخفّة متخطّياً الحدود الاخلاقية والحقوق الشخصية والحواجز التقنية. فكيف تعمل «اجنحة» بيغاسوس الذي يستهدف العديد من الدول والشخصيات حول العالم، وما هي اهدافه؟ ومن هم المستفيدون منه؟ الإجرام والتجسّس الإسرائيليان قائمان، ومع تكريس حقّنا في المقاومة والكفاح المسلّح، لا بد من معركة حقوقية ضد العدو الإسرائيلي للحفاظ على الخصوصية الفردية والحياة الخاصة والحريات الأساسية

حصان التجسّس الإسرائيلي «الذي لا يُقهر»

بيغاسوس: العدو عالسّمَع

ياسر الموسوي

يسعى العدو الإسرائيلي، منذ نشأة كيانه، بشتّى الوسائل، إلى بسط نفوذه وسيطرته في مجالات عدّة، ولا سيّما على الصعد السياسية والأمنيّة والاستخباراتية لضمان وجوده وبقائه، وكي يخلق حالة من تبعيّة الدول والأنظمة له بشكل أو بآخر. ومن خلال المعلومات الأمنيّة التي يستحوذ عليها عبر أدوات التجسّس والاستخبارات لديه، بات باستطاعته معرفة أدقّ التفاصيل عن أهدافه، وعن مكامن الضعف والقوّة لدى الآخرين، وسيكون عندها قادراً على التصرّف براحة تامّة لتحقيق مآربه واستمرار عدوانه.

يُعدّ برنامج «بيغاسوس» من البرمجيّات المعقّدة تقنياً في عالم برامج التجسّس (Spyware) التي تستخدمها الجهات الحكومية والسلطات للمراقبة والتجسّس على أهداف محدّدة، عادةً ما تكون ذات حيثيّة كشخصيّات في دول معادية، أو سياسيين، أو ناشطين، أو صحافيين ومعارضين. وعندما نتحدّث عن الـ«سيبراني ويبر» لا بدّ من الإشارة إلى ما يشكّله هذا المصطلح كجزء لا يتجزّأ من منظومة الحروب الحديثة التي تشنّها الدول ضدّ بعضها بعضاً (الحرب السيبرانية Cyber Warfare). في هذا الإطار تحديداً، يبرز العدوّ الإسرائيلي كأحد اللاعبين الأساسيين في ساحة هذه الحرب نظراً إلى امتلاكه العناصر العلميّة والأكاديميّة والتكنولوجيا المتقدّمة والموارد التي تمكّنه من بسط سيطرته ونفوذه، وبالتالي هيمنته على ساحة الصراع واختراقه لأكبر عدد ممكن من الأنظمة الإلكترونيّة، بالإضافة إلى أجهزة وهواتف العديد من الأشخاص لتحقيق أهدافه بشكل رئيسي وكسب مزيد من الأرباح التجارية والتسويقية والدعائية على مستوى العالم.

اسلحة سيبرانية

قامت شركة المراقبة والتجسّس السيبرانية «الإسرائيليّة» NSO Group، التي يُطلق عليها لقب «تاجر الأسلحة السيبرانيّة» (على غرار شركات الأسلحة التقليديّة)، بإنشاء نسخة أوليّة من برنامج «بيغاسوس» في بداية العقد الماضي، والذي يهدف بشكل أساسي إلى اختراق أجهزة الهواتف الذكيّة عن بُعد وبصمت ومن دون ترك أي أثر.

> تطوّر بيغاسوس من نظام خام نسبياً يعتمد على الهندسة الاجتماعية إلى برنامج يمكنه اختراق الهاتف من دون ان يضطرّ «الضحية» إلى النقر فوق رابط واحد

(الإكس فالكو تشانغ ـ كوبا)

تقرير «برنامج التجسس بيغاسوس وتأثيراته على حقوق الإنسان»

تل ابيب للهاربين من العدالة»

تسمح تقنية NSO Group هذه لعملائها (زبائنها) -الذين تقول عنهم الشركة «إنهم حكومات ودول وليسوا أفراداً أو شركات خاصة»- باستهداف أشخاص محدّدين وأرقام هواتف محدّدة (تستطيع السلطات عادةً تتبّع هذه الشبكات بالطرق التقليديّة عن طريق أبراج الهواتف) وإصابة أجهزتهم بـ«فيروس بيغاسوس». فبدلاً من محاولة الاستماع إلى البيانات المتدفّقة بين جهازين -والتي من المحتمل أن تكون مشفّرة- يسمح «بيغاسوس» لزبائن الخدمة بالتحكّم بالجهاز نفسه، والوصول إلى كل شيء موجود عليه.

يراقب البرنامج أيضاً نقرات لوحة المفاتيح (Keystrokes) على جهاز مصاب. جميع الاتصالات المسجّلة والرسائل المكتوبة وعمليات البحث على الويب، وحتى كلمات المرور- ويعيدها إلى العميل (المستفيد من العملية)، مع تأمين الوصول إلى ميكروفون الهاتف والكاميرا، وتحويله إلى جهاز تجسّس محمول يحمله الهدف من دون قصد.

تطوّر بيغاسوس

في السنوات القليلة الماضية، تطوّر بيغاسوس من نظام خام نسبياً يعتمد على الهندسة الاجتماعية إلى برنامج يمكنه اختراق الهاتف من دون أن يضطرّ المستخدم «الضحية» إلى النقر فوق رابط واحد. ففي المرحلة الأولى من استخدام البرنامج، كانت الهجمات تستدعي مشاركة نشطة من الضحيّة أو صاحب الجهاز المستهدف، إذ يرسل مشغّلو البرنامج رسائل نصيّة تحتوي على رابط ضارّ إلى هاتف الهدف، وإذا نقر فوق الرابط، سيفتح صفحة على متصفّح الويب لتنزيل البرامج الضارّة وتنفيذها، ما يؤدي إلى إصابة الجهاز.

وهنا، لا بد من الإشارة إلى بعض التكتيكات والأساليب التي ساعدت عملاء NSO Group على زيادة فرص النقر من قبل الشخص المستهدف. في البداية، يرسل المهاجم رسائل غير مرغوب فيها لإزعاج الضحيّة المستهدفة، ثم يرسل رسالة أخرى بطريقة مخادعة الحاجة إلى النقر على روابط ضارّة مصمّمة خصيصاً. يتضمّن هذا الإجراء انتظار الهدف لزيارة موقع ويب غير آمن بالكامل أثناء نشاطه العادي عبر الإنترنت. وبمجرد النقر على رابط موقع غير محمي (Insecure)، يمكن لبرنامج بيغاسوس الوصول إلى الهاتف وإطلاق الهجوم.

قيادة وتحكّم

يستخدم بيغاسوس بنية تحتية معقّدة لعملية «القيادة والتحكّم» (Command and Control) تمكّنه من إنتاج رسائل استغلال الثغرات (منها ثغرات في «WebKit») وإرسال الأوامر إلى الهدف. بالإضافة إلى استخدام تقنيات مثل تسجيل أرقام المنافذ للبنية التحتية على الإنترنت لتجنّب مسحها. ويعتمد أيضاً على ثغرات أمنية في أنظمة التشغيل وفي قاعدة «Kernel» (المسؤولة عن إطلاق وتشغيل التطبيقات والبرامج في الهاتف)، تُسرّب المعلومات للمهاجم وتتيح له تحديد موقع النظام في الذاكرة وتلفها، ما يؤدّي إلى كسر الحماية في الجهاز وتثبيت البرنامج. في ضوء هذه المعطيات، يمكن القول، ولو نظرياً، إنّ مستخدمي هذا البرنامج (مطوّريه ومشغّليه والقيّمين عليه في الكيان الإسرائيلي ضمناً) والبرامج المشابهة أصبح باستطاعتهم التجسّس على سكّان العالم بأسره!

ولضمان استمراريّة الوصول إلى الضحية المستهدف، يحرص فريق NSO Group العامل في مشروع «بيغاسوس» على تحديث تقنيّات Viber وWeChat وTelegram وتطبيقات المراسلة والبريد الإلكتروني الخاصة بأجهزة Apple وغيرها. بالإضافة إلى عمليات استغلال ثغرات النقرات الصفرية، يمكن لعملاء NSO Group أيضاً استخدام ما يسمّى بـ«حقن الشبكة» Network Injections، للوصول إلى جهاز الهدف. يمكن لمتصفّح الويب الخاص بالهدف أن يترك مفتوحاً للهجوم من دون الحاجة إلى النقر على روابط ضارّة مصمّمة خصيصاً. يتضمّن هذا الإجراء انتظار الهدف لزيارة موقع ويب غير آمن بالكامل أثناء نشاطه العادي عبر الإنترنت. وبمجرد النقر على رابط موقع غير محمي (Insecure)، يمكن لبرنامج بيغاسوس الوصول إلى الهاتف وإطلاق الهجوم.

مجلس أوروبا يحذّر

أطلق مجلس أوروبا تقريراً جديداً عن تأثيرات برنامج التجسّس «بيغاسوس» على حقوق الإنسان بمناسبة الدورة الصيفية للجمعية البرلمانية. يقدم التقرير وصفاً تقنياً لبرنامج التجسّس ويحلّل تأثيره المحتمل على حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ولا سيّما الحق في الخصوصية وحرية التعبير. كما يؤكد على التأثير المخيف لبرامج التجسّس على حقوق الإنسان والحريات الأساسية الأخرى، بما في ذلك الحق في الكرامة وحرية التجمّع وحرية الدين وحتى السلامة الجسدية والنفسية للفرد. ويركز التقرير بشكل خاص على الأدوات القانونية والمعايير الراسخة التي يمتلكها مجلس أوروبا لدعم الحقوق الأساسية وضمان حماية أقوى ضد المراقبة الجماعية أو المستهدفة غير القانونية وغير المبررة. كما أنه يتيح القواعد الأساسية لتأمين حماية أفضل للأفراد.

> يخترق الهاتف بطريقة تتيح للمهاجمين الحصول على امتيازات إدارية على الجهاز كما لو كان بيد صاحبه

الصحافي جمال خاشقجي استخدم «بيغاسوس» من قبل السلطات لتتبّع مكان وجوده وتفاصيل تحرّكه.

● الإمارات: تجسّست السلطات من خلال البرنامج على العديد من الناشطين، منهم أحمد منصور والأء الصديق وعدد من أفراد العائلة الحاكمة ومسؤولون سياسيون في العالم العربي، من بينهم مسؤولون لبنانيون.

● البحرين: قامت الحكومة بالتجسّس على عدد من النشطاء والمنظّمات والحركات السياسيّة المعارضة.

● المكسيك: استخدم البرنامج من قبل الحكومة في عملية البحث وإلقاء القبض على تاجر المخدرات المعروف بـ«إل تشابو»، وفي قضية اختطاف الطلّاب واختفائهم (راجع «القوس»، 15 أيار 2023، «تل ابيب للهاربين من العدالة»). وجرى اتّهام جهات حكومية مكسيكية بالعبث بالقضيّة واختراق التحقيق عبر إرسال روابط تصيّد أتاحت التنصّت على المحقّقين، إضافة إلى اتهامات باستهداف هواتف عدد هائل من الناشطين والسياسيين المعارضين وشخصيات مختلفة.

● غانا: استهداف واختراق محادثات لعدد من الناشطين على تطبيق «واتساب».

● جيبوتي: احتمال استخدام برنامج «بيغاسوس» من قبل الاستخبارات الأميركية والحكومة في جيبوتي لملاحقة ناشطين والتجسّس عليهم في إطار حملات «مكافحة الإرهاب».

● أميركا: اتهامات لمكتب التحقيقات الفدرالي FBI ووكالات استخبارات أخرى بشراء البرنامج لتفعيله في التجسّس على المواطنين الأميركيين وموظّفين حكوميين، إضافة إلى محاولات شراء من قبل شركات أسلحة وشركات أمن سيبراني.

● الهند: اختراق هواتف عدد من النشطاء والشخصيات الحكومية عبر تطبيق «واتساب».

● تايلند: استهداف الهواتف المحمولة لعشرات الناشطين والأكاديميين والعاملين في منظمات مدنيّة.

● المجر: استهداف أجهزة مجموعة من الصحافيين والمحامين والمعارضين السياسيين.

● إسبانيا: تعرّض الهواتف الشخصيّة لعدد من المسؤولين السياسيين كرئيس الوزراء ووزيرة الدفاع لاختراق برنامج «بيغاسوس».

● ألمانيا: اتهامات من الأحزاب اليسارية بشأن استخدام السلطات الأمنيّة للبرنامج لأهداف تجسّسية.

● فرنسا: شكوك حول استهداف الهاتف الشخصي للرئيس الفرنسي وعدد من المسؤولين الحكوميين والصحافيين ومسؤولي وسائل إعلام.

● فنلندا: استهداف هواتف خاصّة بدبلوماسيين وموظّفين في وزارة الخارجية.

● «الكيان الإسرائيلي»: استخدم البرنامج للتجسّس على الإسرائيليين ومراقبة نشاطات العديد من الشخصيات من معارضين وسياسيين ومستشارين ومديري شركات كبرى.

وقد طوّر العديد من شركات التكنولوجيا والأمن السيبراني (Kaspersky, MVT, Trail of Bits, iVerify..) في ما بعد حلولاً وبرمجيّات خاصّة لأجهزة (Apple iOS, Android) بإمكانها أن تجري مسحاً للجهاز لتتبّع آثار «بيغاسوس» في حال اكتشافه، إضافة إلى تقديم النصائح والإجراءات المتّبعة في حال التعرّض للاختراق.

البرنامج باستمرار لتتفوّق على شركات مثل Apple وGoogle وتضمن اختراقاً ناجحاً لمنتجات هذه الشركات (كهواتف آيفون التي تعمل بأنظمة حماية «عصيّة على الاختراق» والتي كانت هدفاً رئيسياً لأغلب عمليات التجسّس) لأنّها تطبّق تصحيحات لإصلاح الثغرات الأمنية في كل تحديث أو نسخة جديدة من أنظمة التشغيل.

الدول والجماعات المستهدفة

ساهم برنامج بيغاسوس في تعاظم القوّة الاستخباريّة التي يتمتّع بها العدو الإسرائيلي، وعزّز من نفوذه الأمني والاستخباري في المنطقة وحتّى على صعيد العالم، ما دفع العديد من الدول وأجهزة الاستخبارات إلى شرائه والتعاون الأمني مع جهاز الموساد وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كافّة، بالإضافة إلى سعيه لاستقطاب العديد من الدول العربية وإبرام اتفاقيات معها وبيعها البرنامج لضمان سيطرة نفوذ الحكّام فيها مقابل امتيازات سياسية وأمنية واقتصاديّة للعدو.

وكانت تسريبات المتعاقد السابق في وكالة الأمن القومي الأميركية إدوارد سنودن قد كشفت عن مشروع «بيغاسوس»، إضافة إلى دراسات عدد من شركات الأمن السيبراني والمؤسّسات الأكاديميّة ومنظّمات الحقوق الرقميّة عن اختراقات «بيغاسوس» عام 2015 بعدما اكتشف خبراء الأمن في مختبر المعلوماتية في جامعة تورونتو الكنديّة (Citizen Lab) محاولة للتسلّل عبر رابط مشبوه إلى هاتف «آيفون» للناشط الإماراتي في حقوق الإنسان أحمد منصور. وقد أثارت هذه الحادثة تفاصيل هائلة وأماطت اللثام بشكل رسمي عن برنامج التجسّس الذي استهدف مئات الشخصيات حول العالم.

من الأمثلة على استخدام «بيغاسوس» في دول العالم:

● فلسطين: عملية اختراق لأجهزة وهواتف العديد من الناشطين والصحافيين الفلسطينيين.

● لبنان: استهداف شخصيّات سياسيّة وناشطين وعدد من الصحافيين.

● الأردن: استهداف صحافيين وناشطي حقوق إنسان، وقد يكون ذلك بعلم ومعرفة حكومية.

● المغرب: استهداف لعدد كبير من الناشطين السياسيين وشخصيات سياسية وصحافيين وأفراد من العائلة الملكيّة.

● السعودية: حصل وليّ العهد السعودي على إذن وترخيص استخدام البرنامج في السعودية لمراقبة وملاحقة المعارضين والناشطين وشخصيات أخرى من دول عربية، وقد كشفت قضية مقتل

(محمود رفاعي ـ الاردن)

جهاز استخباري متاح في الاسواق

«من الواضح أن NSO Group تقدّم وكالة استخبارات كخدمة»، يقول أحد الخبراء المتمرّسين في عالم الأمن السيبراني والذي نشط في محاولة تفكيك أحجية «بيغاسوس».

«NSO Group Technologies»، هي شركة استخبارات سيبرانيّة إسرائيليّة (Cyber Intelligence) تأسّست عام 2010 على أيدي أعضاء وضبّاط سابقين في الوحدة الاستخبارية 8200، ومقرّها مدينة هرتسليا في الكيان الإسرائيلي. يُعدّ «بيغاسوس» من أهمّ البرامج التي طوّرتها، والذي يستبعد، في الوقت الحالي، استهدافه لأفراد عاديين، ناهيك عن بيعه لهم نظراً إلى كلفته العالية (500 ألف دولار لتثبيت البرنامج بعد أخذ الترخيص من الشركة، إضافة إلى حوالي 650 ألف دولار مقابل عملية اختراق لعشرة أجهزة بأنظمة تشغيل مختلفة). إلى جانب «بيغاسوس»، هنالك العديد من برمجيّات التجسّس الأخرى التي طوّرتها الشركة كـ«Phantom» و«Circles».

تنافس «Rayzone Group» و«Senpai» وغيرها من الشركات الإسرائيلية الأخرى الناشطة في «NSO Group» في عالم التجسّس السيبراني، والتي طوّرت العديد من التكنولوجيّات والبرمجيّات التي بيعت واستخدمت في أنحاء العالم.

المرحلة الثالثة

قاووش

الصحة النفسية في السجون
خطر تصاعد دوافع الانتحار

مع تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في لبنان، تزداد معاناة المحتجزين داخل السجون اللبنانية، التي يزيد تفاقمها الاكتظاظ الذي بات يبلغ 300٪ (راجع «القوس»، 25 آذار 2023، اكتظاظ السجون، «ما عاد في محل»)، إذ يصل عدد المحتجزين إلى حوالي 9000 شخص، من بينهم 279 امرأة و96 حدثاً. بينما يشكل عدد الموقوفين 65٪، وعدد الأجانب 41٪. تشمل المشكلات إدارة السجون التي تعجز عن الاستجابة لاحتياجات السجناء الأساسية من غذاء ولباس ونظافة. وصعوبة تلبية الاحتياجات للخدمات الطبية (راجع «القوس»، 18 آذار 2023، «حاجات للبقاء»). فيما تبقى خدمات الرعاية الصحية النفسية «آخر الهمّ»، وهي التي لطالما عُدّت من الكماليات الخارجة عن نطاق اهتمامات إدارة السجن. بعد صدور بيان لقوى الأمن يشير إلى إقدام أحد السجناء على الانتحار شنقاً، نستعرض في هذا المقال الانتحار وراء القضبان من منظور علم النفس الجنائي. فهل في القاووش بيئة تدفع نحو الانتحار؟

أحمد مدلج

«كل ما الأوضاع عم تسوء كل ما ابني عم يبتعد عنّي أكثر وأكثر»، تشتكي والدة زياد السجين في المبنى الاحترازي في سجن رومية المركزي، بتهمة ترويج المخدرات وينتظر تعيين جلسة للبتّ في ملفّه. تؤكد لـ«القوس» أن ابنها يعاني من انفصام وبحاجة إلى طبيب نفسي لمساعدته. صحيح أن جريمته تُعدّ جنائية وهي من الاستثناءات على المدة القصوى للتوقيف الاحتياطي ويمكن للقاضي رفض إخلاء سبيله، لكن من حق زياد «المتّهم» -بحسب القانون الذي يلزم بتوقيف المدعى عليه والاستمرار بتوقيفه إلى أن يصدر الحكم بحقه- أن يُحاكم، لا أن تطول مدة توقيفه إلى 33 شهراً من دون محاكمة ومع تأجيل دائم لموعد الجلسات، ما يُفاقم تردّي حالته النفسية بعد كل تأجيل للجلسة.

«الكل عم يتخانق مع بعضه ما حدا طايق حدا» يقول كريم، النزيل في المبنى «ج» في رومية، ويشكو من أجواء صعبة وكئيبة التي تطغى داخل القاووش. «جزء من المساجين كأنهم في عالم آخر، ما بتعرف إذا تاقلموا أو عم يفكروا كيف يقضوا على نفسهم»، مشيراً إلى حالة الانتحار التي وقعت في سجن رومية الأسبوع الفائت. لا تراود كريم أفكار انتحارية، إذ لديه عائلة بانتظاره بعد خروجه، لكن، «ما بنطبق علي لا بنطبق على كل السجناء».

«مش عم نطلب شي غير قانوني: إما إخلاء السبيل أو صدور الحكم»، تقول والدة سجين آخر محكوم بجريمة سرقة وموقوف بجريمة قتل منذ ست سنوات، ولا يزال في انتظار تعيين جلسة للبتّ بملفه. وفي كل مرة يقترب موعد الجلسة تؤجّل إلى تاريخ لاحق، ما جعل اليأس والخوف يسيطران على عقل طارق، تقول والدته: «عم حاول خلّيه يضل عنده أمل وما يكتئب، بس قدّيش هالأمل بدّو يدوم؟».

أهمية الدعم الاجتماعي

أشارت دراسة أجريت عام 2021 لمجموعة باحثين أميركيين (الدعم الاجتماعي والتفكير الانتحاري بين السجناء المصابين باضطراب اكتئابي كبير) إلى أهمية الدعم الاجتماعي على التفكير الانتحاري على عيّنة من 169 سجيناً يعانون من اضطراب اكتئابي كبير. ووجدت الدراسة علاقة كبيرة بين الدعم الاجتماعي وانخفاض احتمال وجود الأفكار الانتحارية. ويُعدّ هذا التأثير مهماً أيضاً حتى بالنسبة للسجناء الذين سبق أن حاولوا الانتحار. توضح النتائج أنه حتى في ظل وجود عوامل خطيرة قد تؤدي إلى الانتحار، يبقى الدعم الاجتماعي مؤشراً قوياً لمكافحة هذه الظاهرة. ما يؤكد أهمية تعزيز الدعم الاجتماعي في مراكز الاحتجاز.

في ورقة مراجعة لعدة دراسات (Literature Review) أجراها باحث بلجيكي أواخر العام نفسه عن عوامل الخطر والوقاية من الأفكار والسلوك الانتحاري في السجون، تشير إلى أن رعاية الصحة العقلية لعلاج الحالات النفسية أساسية. إذ يفترض توفير التدخلات النفسية والاجتماعية التي تستهدف الأفكار والسلوك الانتحاري بشكل مباشر للسجناء المحتاجين. وجدت هذه المراجعة نتائج مشجعة، إذ يؤدي العلاج السلوكي المعرفي والعلاج النفسي الديناميكي الشخصي إلى تحسين حالة السجناء الذين راودتهم فكرة الانتحار. كما تشير إلى أن معدلات الانتحار في السجون تتجاوز بكثير المعدلات خارجه، إذ يعاني الكثيرون من الأفكار الانتحارية أو ينخرطون في سلوك انتحاري من دون نتيجة قاتلة. ولفتت المراجعة إلى أن خطر الانتحار يكون أعلى في الظروف الاجتماعية الشديدة للسجن، كالتعرض للحبس الانفرادي أو الاكتظاظ داخل القاووش. ونظراً لأهمية الدعم الاجتماعي للتصدي للأفكار الانتحارية، ما مدى وجود هذا الدعم في سجون لبنان اليوم؟ علماً أن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية ساعدت في انقطاع التواصل بين السجناء وأفراد أسرهم. ومن ناحية أخرى قد يكون دخول البعض إلى السجن سبباً لابتعاد عائلاتهم وتخليهم عنهم.

السجناء أكثر عرضة للانتحار؟

«السجناء أكثر عرضة وخطراً لمحاولة الإقدام على الانتحار» بحسب الاختصاصية في علم النفس العيادي في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت، دينا عينا، لافتة إلى أسباب عدة تعزّز هذا الخطر، منها الابتعاد عن المجتمع الذي كان يحيط بالسجناء ويحميهم ويساعدهم كالأم والأب والزوج والأصدقاء. كما أن بيئة السجون قد تلعب دوراً مساعداً على الانتحار عبر وجود حالات تنمّر واستعمال العنف بين السجناء والتعرض للأذى الجسدي، إذ لا يمكن لمن يعاني من مشكلات في إدارة المشاعر على حماية نفسه من الإحباط. تضيف عينا: «يحتاج العديد من السجناء إلى مصحّة لتلقّي المساعدة، لكن للأسف وبسبب الإمكانيات والموارد المحدودة يواجهون صعوبة في تلقّي العلاج المناسب». المعالجة النفسية في جمعية عدل ورحمة والخبيرة النفسية المحلّفة لدى المحاكم، كريستال بسترس، تشير إلى أن ظروف السجن السيّئة والنقص في تأمين الحاجات الأساسية من تغذية وطبابة، وصعوبة التواصل مع الأهل غير القادرين على زيارة أبنائهم، كلها تشكل عوامل تزيد من المخاطر على الصحة النفسية وتزيد من الاضطرابات النفسية للسجين كالاكتئاب. ويفترض أن يُعالج التهديد بالانتحار بحذر. إذ يمكن لهذا التهديد أن يكون مجرد وسيلة يستغلها السجناء للحصول على مطالبهم، كتحديد موعد للجلسات مثلاً. لكنه يمكن أن يكون جدّياً وحقيقياً، لذلك يجب مواجهة الأفكار الانتحارية للسجين بأخذها على محمل الجد. ولوجود الاختصاصي النفسي أهمية كبيرة لتقييم كل حالة على حدة، ومعرفة مدى وجود هذه الأفكار الانتحارية المطروحة ومدى نيّة السجين على تنفيذها، ومعرفة إن كان مقبلاً على التخطيط للانتحار

المعاناة واحدة

«الانتحار مش بس بسجن الرجال، انتحرت سجينة بسجن زحلة من 9 أشهر وصار في محاولات أخرى كمان»، بحسب مديرة جمعية «دار الأمل» هدى قرى، لافتة إلى أن الصعوبات داخل هذه السجون لا تختلف عن بقية أماكن الاحتجاز. يقتصر عمل جمعية دار الأمل على ثلاثة سجون للنساء: بعبدا وطرابلس وزحلة. تشير قرى إلى أن اليأس الموجود خصوصاً لدى المحكومين لمدة طويلة يُفقدهم الأمل والرغبة بالاستمرار في العيش. كما تفقد الكثير من النزيلات التواصل مع عائلاتهن بسبب وصمة العار التي ألحقنها بأسرهن. وساهم ارتفاع كلفة المواصلات في تقليص زيارات الأهل وجعل التواصل معهم شبه معدوم. كل ما سبق ذكره، بحسب قرى، يساهم بالإقدام على محاولة الانتحار.

شهد سجن زحلة حالة انتحار واحدة، وقعت منذ 9 أشهر لسجينة محكومة بالمؤبّد كانت تعاني من مشكلات نفسية بعدما تبرّأ أهلها منها. وتلفت قرى إلى أن سجن زحلة شهد محاولات انتحار عديدة مماثلة. فقد حاولت إحدى السجينات، التي وضعت بالغرفة الانفرادية، الانتحار عبر شنق نفسها بأغطية النوم، كذلك أولت سجينة أخرى أجنبية الانتحار بالطريقة نفسها. وتؤكد قرى أن المتابعة والمعالجة النفسية هي أحد الحلول للحد من ظاهرة الانتحار، و«الدليل وجود متابعة في دار الأمل لاختصاصيين نفسيين واجتماعيين للوقوف إلى جانب السجينات ومساعدتهن في سجني طرابلس وبعبدا اللذين لم يشهدا أي محاولة انتحار».

«ما بيكفي»

بحسب ممثلة «الحركة الاجتماعية» شارلوت طانيوس يوجد في سجن رومية المركزي ضمن مبنى الأحداث متابعة نفسية لأكثر من جمعية، وكذلك في سجون النساء الأربعة، ولكن بشكل غير متوازن وشبه يومي، باستثناء سجن بربر خازن حيث المتابعة النفسية قائمة من دون انقطاع.

يختلف الأمر في سجون الرجال، «السجون يلي يوجد فيها متابعة نفسية بينعدّوا ومش كتار» تقول طانيوس. فالمساعدة قائمة في سجن طرابلس، وزحلة ورومية خاصةً. وتضيف: «هناك افتقار لمتابعة الصحة النفسية عند الرجال»، إذ يبلغ عدد السجناء الذين هم بحاجة إلى متابعة نفسية 2500 وهو عدد كبير، تطاول المساعدة فقط 5% منهم، بل واقل بكثير أيضاً.

برنامج العدالة التصالحية

يصف رئيس جمعية «نسروتو»، الأب مروان غانم، لـ«القوس» أوضاع المتحجرين خلف القضبان بالسيّئة. هناك بعض الحالات التي تهدد بالانتحار وهناك من ينتحر فعلاً. لكن، بحسب غانم، لا يزال الرادع الديني والعائلي يقف بوجه هذا الفعل وقد يقتصر الأمر على التهديد.

> لتطوير نظام سجون يشمل جميع الأنماط الجنائية وكيفية التعامل معها ويؤمن الحاجة المتزايدة للطب النفسي

ويضيف أن الوقوف إلى جانب النزلاء وتقديم الدعم والمساعدة يساعد في ردعهم. تقديم المساعدة قائم في جمعية «نسروتو» بعد عقد اتفاقية تعاون مع الجامعة اللبنانية وجامعة الكسليك، تنصّ على أن يقدم الحائزون أخيراً على شهادة ماجستير في علم النفس من الجامعتين خدمات نفسية للسجناء الذين يطلبون المساعدة، انطلاقاً من برنامج «العدالة التصالحية». يدور البرنامج حول العدالة والمسؤولية والجرم المقترف من قبل السجين والمسؤولية تجاه هذا الجرم. فالمساعد النفسي يعمل على حالة السجين الشخصية وتنميتها. يشير غانم إلى أن هذه البرامج قوبلت بالنجاح، إذ يُلاحظ أن السجناء المشاركين بالبرنامج أعيد تأهيلهم وابتعدوا عن البيئة الجرمية، كما «نلاحظ تطوراً على المستوى النفسي عند السجناء».

أهمية الطبّ النفسي

«يمكن الحل، قبل كل شيء، في تحسين ظروف السجن وتأمين الحاجات الأساسية له وزيادة المشاغل داخل القاووش لخلق نشاطات تثقيفية وتعليمية ما يساعدهم على تنمية قدراتهم وكفاءاتهم وزيادة شعورهم بالفاعلية الذاتية، كما يفترض زيادة التدخل النفسي للسجناء ضمن برامج إعادة التأهيل» بالنسبة لبسترس. وتلفت إلى أنه يُفضّل إقامة تقييم نفسي لكل السجناء بمجرد دخولهم السجن، لمعرفة حالتهم النفسية، وإنشاء ملف لكل سجين يتضمّن وضعه النفسي. يتطلب ذلك وجود اختصاصيين وأطباء نفسيين لمتابعة صحة السجين النفسية ضمن برنامج إعادة تأهيله، لكن العدد الموجود حالياً غير كاف مقارنة بأعداد السجناء ومتطلباتهم. وتشير عينا إلى أن مساعدة السجين تتطلب تغييراً في ثقافة إدارة السجن التي، ربما، لا تعطي أي أهمية للطب النفسي، وقد يكون ذلك صعباً حالياً. لكن يمكن الاكتفاء، في الوقت الحالي، بمبادرات بسيطة لتعليم السجناء كيفية التعاطي مع الضغوطات والتعامل مع أفكارهم الانتحارية، والمساعدة على اكتسابهم مهارات كيفية التعاطي مع واقعهم بشكل بنّاء وفعّال. كما يُستحسن وجود توعية للسجّانين في ما يتعلق بكيفية التعامل مع المشكلات النفسية. فـ«الهدف هو إنقاذ السجين وإعادة تأهيله» كيف تكون بداية الحل؟

بحسب المرسوم الرقم 14310 «تنظيم السجون وأمكنة التوقيف ومعهد إصلاح الأحداث وتربيتهم»، تُعيّن وزارة الداخلية والبلديات الأطباء المسؤولين عن رعاية السجون بعد استطلاع رأي وزارة الصحة. وبحسب مواد المرسوم (52، 53 و54 - في الإدارة الطبية) يفترض على الأطباء أن يزوروا السجن ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع. وفي نهاية كل ثلاثة أشهر يضع الأطباء تقريراً مفصّلاً عن حالة السجن من حيث توافر الشروط الصحية وعن حالة المسجونين. لكن يُلاحَظ عدم وجود نص صريح يشمل الأطباء والاختصاصيين النفسيين لمعالجة السجناء.

صدر هذا المرسوم سنة 1949، أي أنه قد مرّ 74 سنة على تطور القوانين والمراسيم المتعلقة بأماكن الاحتجاز، بمعنى آخر، لا يحاكي هذا المرسوم واقع السجون اليوم.

فمع تطور المفاهيم المتعلقة بأماكن الاحتجاز وكيفية تنظيمها كي تتحقق أهداف العقوبة ومن أهمّها إعادة التأهيل، يفترض إصدار مرسوم جديد يتوافق مع الأنشطة الجرمية، كإنشاء مراكز لإعادة تأهيل النزيل، والمشكلات داخل القضبان التي نشهدها اليوم تؤكد ضرورة تطوير نظام ومرسوم السجون ليشمل جميع الأنماط الجنائية وكيفية التعامل معها، ولتأمين الحاجات المتزايدة للطب النفسي لأهميته بمتابعة ومعالجة كل سجين، ولكي يتوافق مع قواعد نيلسون مانديلا (قواعد الأمم المتحدة النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء) وتحديداً القاعدة 25 التي تنصّ على ضرورة «أن يكون في كل سجن دائرة لخدمات الرعاية الصحية مكلّفة بتقييم الصحة البدنية والعقلية للسجناء وتعزيزها وحمايتها وتحسينها في كل سجن». وتتألف هذه الدائرة من فريق متعدّد التخصُّصات يضمُّ عدداً كافياً من الأفراد المؤهَّلين الذين يعملون باستقلالية إكلينيكية تامة، وتضمُّ ما يكفي من خبرة في علم النفس والطب النفسي.

إن معاينة طبيب أو اختصاصي نفسي للسجناء في ظل ظروف معقّدة وشاقة قد يساعدهم على التعامل مع فكرة الانتحار. إذ قد تراود الفكرة أي نزيل، محكوماً كان أو موقوفاً، ومع ذلك يفترض معالجة الأسباب التي قد تؤدي إلى الانتحار ومنها:

- الاكتظاظ الحاد.
- النسبة العالية من الموقوفين احتياطياً.
- الأزمة الاقتصادية.
- الرعاية الصحية الضعيفة.
- عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية للسجناء من الغذاء والماء والنظافة والأمن.

الأساسيات المفقودة في سجون رومية والقبة وبربر الخازن: حاجات للبقاء

الانتحار.. من زاوية علمية

قضية

تحت القوس

استكمال عيد استعادة الحقوق

عمر نشابة

«يجب الحفاظ على هذا الإنجاز وهذا الانتصار ويجب تقويته وتحصينه وهذا يحتاج إلى جهد وتضحية أكبر والى تواضع كبير ايضا من الحميع».

السيد حسن نصرالله في عيد المقاومة والتحرير، 26 أيار 2000

لا شك أن خطاب السيد حسن نصر الله في ذلك اليوم يُعرّف قِيم وتوجّه وروح المقاومة المسلّحة في وجه الاحتلال الإسرائيلي. إذ إن إصرار السيد على رفع مستوى الوعي وتجنّب فخّ الصراعات الداخلية ودعوته القضاء اللبناني إلى محاكمة العملاء، وعدم تصفيتهم. كما يحدث غالباً بعد التحرير من الاحتلال الأجنبي، بدل إلى تمسّك قيادة المقاومة بـ:

- المعايير الأخلاقية والإنسانية والدينية الداعية إلى احترام كرامات الناس وتجنّب الثأر والقتل والتعذيب.
- مبادئ العدل والإنصاف والمطالبة بمحاسبة العملاء أمام قضاء نزيه ومستقل.
- الروح الوطنية اللبنانية، إذ إن التحرير من الاحتلال من أسمى وأرفع الإنجازات الوطنية.
- التعددية والديمقراطية والتنوّع الذي يتميّز به لبنان في الوطن العربي.

في المقابل، لم يُستجاب إلى مطلب المقاومة بمحاكمة العملاء محاكمة عادلة، ولم تتمكّن

الدولة من ملاحقتهم بشكل حاسم. فالقضاء اللبناني ليس مستقلاً وهو عاجز عن القيام بكامل واجباته. وبكل أسف، لم تبدأ ورشة إصلاح نظام العدالة في لبنان، لا قبل التحرير ولا حتى بعده. وقد أدى ذلك إلى إفلات العديد من المتعاملين مع العدو الإسرائيلي من المحاسبة. كما ساهم ذلك بشكل واسع في تعميم جوّ من الإفلات من العقاب. ليس فقط في جرائم العمالة للعدو، بل في جرائم سرقة وقتل ونهب وتفجير وخطف وغيرها.

لا يفترض أن تتساهل المقاومة مع الظلم في البلد الذي حرّرته من الاحتلال. فمن حق الناس أن تستعيد أموالها المحتجزة في المصارف، ومن حق ذوي ضحايا انفجار المرفأ الاقتصاص من المجرمين عبر القضاء، ومن حق كل من تعرض لأذى أن يلجأ إلى قضاء نزيه ومستقل لا يخضع للتدخلات السياسية والطائفية.

إن ما أنجزته المقاومة عام 2000 لا يُكتمل إلا بإصلاح مؤسسات الدولة وإداراتها وخصوصاً القضاء. فالتحرير هو شكل من أشكال تحقيق العدالة، ولا يفترض أن يكون مجرّد حدث عابر بل نقطة تحوّل نحو العدالة والإنصاف في كل المجالات لأن القِيَم لا تتجزّأ. ولا بدّ من الإضافة هنا أن من حق السوريين إعادة بناء بلدهم والعودة إلى ديارهم آمنين في أسرع وقت ممكن.

جليك الجنوب

عيد المقاومة والتحرير لا يكتمل إلا بتحقيق العدل والإنصاف للقضية المركزية، إذ لا يمكن أن تكون العدالة لصالح مجموعة من الناس دون غيرها. فلا بدّ من عودة إخوتنا وأخواتنا الفلسطينيين إلى ديارهم وأراضيهم وأرزاقهم. قد شكّل تحرير الجنوب والبقاع الغربي من الاحتلال الإسرائيلي عام 2000 محطةً أساسيةً على طريق تحرير القدس وكامل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلّة. فهذه المقاومة وهذا الحزب قد تأسّسا تحت شعار «يا قدس إننا قادمون». وكل ما يقال عن وجوب حصر عمل المقاومة واهتماماتها بلبنان هو كلام غير واقعي بحكم التاريخ والجغرافيا والانتماء والدين. فالمقاومة في لبنان كقوة دفاعية وحدها لا تكفي، خصوصاً في وجه عدو غدّار مجرم وخبيث كما شهدنا في حولا وقانا وصبرا وشاتيلا وغيرها من المجازر التي ارتكبها العدوّ بحقّ المدنيين العزّل. وبالتالي، وإلزاماً بحق اللبنانيين بالدفاع عن أنفسهم نتحدث عن قوّتين: دفاعية عندما يتعلق الأمر بالمنطقة التي تقع شمال الخط الأزرق، وهجومية عندما يتعلق الأمر بالمنطقة التي تقع جنوب الخط الأزرق، حتى يفهم العدو أن المقاومة لن تختبئ وتكتفي بالرد على مُطلقي النار على اللبنانيين فحسب، بل ستضرب عمق المستعمرات الإسرائيلية وستطاول صواريخها كل المدن الفلسطينية المحتلّة. في نهاية المطاف، لا بد من تكامل بين تحرير جنوب لبنان وتحرير الجليل، فالاحتلال الإسرائيلي لمزارع شبعا وتلال كفرشوبا وقرية الغجر دليل الامتداد الجغرافي الذي يُضاف إلى التكامل والتلاحم بين الشعبَين الفلسطيني واللبناني.

نموذج التحرير

المقاومة في لبنان قدّمت نموذجاً لكل العرب ولكل مَن ناصر الشعب الفلسطيني، بأن هزم الجيش الظالم «الذي لا يقهر» ممكن، وأن المقاومة قادرة على مواجهة العدو حتى لو دعمته كل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية وحتى بعض الأنظمة العربية بالمال والسلاح والاستخبارات والتكنولوجيا، فقد تمكّنت المقاومة، بفضل عزيمة وثبات المجاهدين وبفضل الدعم الشعبي الواسع وتكاتف الشرفاء، من تطوير أدائها وأساليبها ونوعية ترسانتها العسكرية وكفاءة جهاز الأمن والاستعلام ورصد وتعقّب العملاء، وثبّتت النصر عام 2000 بنصر ثان في صيف 2006. وهي تسعى اليوم للحفاظ على ما أنجزته بكل ما لديها من قوة، فهذا العدو لا يفهم إلا لغة القوة.

في عيد المقاومة والتحرير هذا العام، كما في كل عام، تمدّ المقاومة في لبنان يدها إلى إخوتها وأخواتها في فلسطين المحتلّة وتقول لهم إن الاحتلال سيُقتلع وإن الأرض ستعود إلى أصحابها وسيتحقّق العدل.

متابعة

فصول من نهب التاريخ والاتجار بالتراث [3/3]

التعدّيات الأجنبية: آثارنا في الحفظ والصون

«لا يمكن لمحو الاستعمار ان يكون ثمرة تفاهم ودّي بين الدول». ربما تنطبق مقولة الفيلسوف الفرنسي - الجزائري فرانز فانون (1925-1961) هذه على حكاية الدول المستعمرة التي تحاول استعادة ممتلكاتها الاثرية من المتاحف الاوروبية مستعينة بالقانون الدولي. فاثريات لبنان، كحال العديد من اثريات الشعوب التي عانت من الاستعمار العسكري والثقافي، أوصدت الاقفال عليها في المتاحف الاوروبية والعثمانية تحت ذرائع ومسمّيات عدة. فهي هنالك «لان لبنان كان ولاية عثمانية»، او لان «الحقائب الدبلوماسية قد وسعتها»، او لانّها «في الحفظ والصون»!

ناووس الإسكندر المقدوني - في متحف إسطنبول

راجع «القوس» الحلقة الاولى: قانون حماية الآثار.. «الثري»

الحلقة الثانية: خلل في الحفر والتنقيب

«القطع الأثرية المكتشفة حديثاً في جبيل معروضة في متحف اللوفر»

إقبال زين

منذ فترة وجيزة، اعترض بعض الناشطين في مجال حماية الآثار على الخطوة التي قامت بها وزارة الثقافة اللبنانية بإعارة أكثر من 400 قطعة أثرية لمتحف اللوفر في فرنسا والمتحف الهولندي للآثار في لايدن، قبل أن يشاهد اللبنانيون جزءاً كبيراً منها، فكانت بذلك للأوروبيين «الأسبقية» في التعرّف إلى قطع أثرية استُخرجت حديثاً من مدينة جبيل، إذ لا يمكن تجاهل، بحسب الناشطين، أن «لمتحف اللوفر والمتحف الهولندي تاريخاً طويلاً في تهريب القطع الأثرية من لبنان أيام الانتداب الفرنسي». فتابوت إشمونازار الثاني ونصب بيبلوس وغيرهما خير دليل على ذلك. ويسال الناشطون: «هل يصح إعطاء الأوروبيين الأسبقية في رؤية قطع أثرية لم يشاهدها اللبنانيون في وقت تحارب بعض الدول لاسترجاع ممتلكاتها الثقافية من المتاحف الأوروبية؟».

في هذا السياق، تُعدّ المطالبة باستعادة الممتلكات الأثرية للشعوب الأصلية جزءاً من محاربة الإمبريالية الثقافية لخلّفات الاستعمار الذي فرضه، في حالة لبنان، الحكم العثماني ومن ثم الانتداب الفرنسي. ومن المعلوم أن المتاحف الأوروبية كما العثمانية كان لها نصيب من ثروات لبنان الأثرية، إلا أن القانون الدولي له تحفّظاته في هذا الشأن، فاسترجاع تلك القطع مشروط باعتبارات دبلوماسية. لكن، هل يلغي ذلك ضرورة المطالبة المستمرة باسترجاع ممتلكاتنا الأثرية أو اتخاذ «أعلى» التدابير لحمايتها الآن؟

«دياسبورا» النواويس: إبعادٌ قسري

عام 1887، كان أمين متحف إسطنبول، عثمان حمدي بك، يقوم بالتنقيب عن الأثريات في المناطق الخاضعة للاحتلال العثماني، وكان أجمل وأشهر اكتشافاته في لبنان ناووس الإسكندر المقدوني الذي وجده في صيدون. نهب العثمانيون، طيلة مدة حكمهم، أثريات لبنانية ذات أهمية بالغة بحسب تقييم علماء الآثار، منها: ناووس الباكيات والليقي والمرزبان، إضافة إلى ناووس الملك تبنيت. كذلك ضُمّت العديد من الممتلكات اللبنانية إلى المتاحف الأوروبية بمساعدة العائلات الإقطاعية الأجنبية واللبنانية التي ساهمت في تصدير ثروات لبنان في زمن الانتداب إلى متحف اللوفر. فعائلة دوريغيللو (Durighellos) الفرنسية استخدمت نفوذها الدبلوماسي للتنقيب وبيع القطع الأثرية بين عامَي 1889 و1906 للمتحف الفرنسي. وكان أشهر اكتشاف لهذه العائلة في مدينة صيدا القطع الميثرائية التي تعود إلى القرن الثاني الميلادي والتي بيعت إلى المتحف ذاته، إضافة إلى تابوت إشمونازار الثاني الذي دارت معركة لامتلاكه بين فرنسا والعثمانيين والبريطانيين إلى أن استقرّ في فرنسا.

> **العمال اللبنانيون في حفرية موقع جبيل الأثري يُعاملون بشكل سيّئ من المشرفين الفرنسيين ويوقّعون عقوداً تشترط عدم الإدلاء بأي تفاصيل عن سير عملهم**

تشرح عالمة الآثار لينا طحان في مقالها «الآثار اللبنانية المهرّبة: هل يمكن إعادتها إلى الوطن من المتاحف الأوروبية؟» المنشور عام 2017، أن كمّاً من أثريات لبنان غادر في «حقائب دبلوماسية» مستندة إلى كلام حرفي من الأرشيف الفرنسي للعلاقات الخارجية. وتشير طحان إلى أن الأرشيف الفرنسي يحمل مراسلات عديدة بين متحف اللوفر ومتاحف أجنبية أخرى، في ألمانيا والدنمارك وهولندا، تُظهر أن التبادل التجاري لم يكن يكشف عن أصل تلك البضائع الأثرية. يُصرّح بعض العاملين في مجال الآثار أن لبنان لا يزال تحت وطأة «الاستعمار» الثقافي، فاحجار اللقى التي يفوق عددها الـ 400 قطعة، رآها الأوروبيون أولاً، إذ تمّت إعارتها إلى متحف اللوفر في فرنسا والمتحف الوطني للآثار في لايدن (هولندا)، على عكس ما كانَ مقرراً بعرضها في مدينة جبيل ومن ثم في أوروبا. «من حق اللبنانيين رؤية تلك القطع قبل الأوروبيين»، تقول الوسيطة الأثرية نيللي عبود لـ«القوس»، خصوصاً أن جزءاً كبيراً من القطع «مستخرج من حفرية في موقع جبيل الأثري تحت سرّية مشدّدة وبإشراف فرنسي». وعلمت «القوس» أن العمال اللبنانيين في الحفرية يُعاملون بشكل «سيّئ» من قبل المشرفين، ما يدفع للسؤال عن وضع العمّال وسط «هذه السرّية» و«العقود التي تشترط عليهم عدم الإدلاء بأي تفاصيل عن عملهم» (راجع «القوس»، 20 أيار 2023، «خلل في الحفر والتنقيب»).

القانون الدولي لا ينفع

أعطى المجتمع الدولي الحق في استرجاع القطع الأثرية في حال كانت الجماعات الإرهابية وراء السرقة، لكن في المقابل أتى الحديث عن التعدّيات التي حدثت في حقبة الاستعمار خجولاً. في هذا السياق، كانت اتفاقية اليونسكو عام 1970 هي الأولى من نوعها التي تكرّس حقّ استرداد الشعوب الأصلية لممتلكاتها، وجاءت من بعدها اتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص عام 1995 والتي كان القصد منها «استكمال أحكام القانون العام الواردة في اتفاقية اليونسكو لعام 1970» بحسب المنظمة. ووفقاً لأحكام القانون الدولي، تقول طحان إن على لبنان المحاولة المستمرة لاستعادة تابوت إشمونازار ونصب بيبلوس الموجودَين في متحف اللوفر لما يمثّلانه من قيمة فينيقية عريقة. لكنها لا تُخفي تشاؤمها إزاء ذلك، ففي حين تبذل دول مثل تركيا واليونان جهوداً لاستعادة الأثريات من المتاحف الأجنبية، لا نجد جهوداً لبنانية مماثلة حرصاً على «الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية» مع فرنسا.

ما هي شروط إعادة القطع؟

تشير المادة (7) من اتفاقية اليونسكو عام 1970 إلى أن «وجود جردة بالقطع» يُعدّ واحداً من شروط المطالبة بإعادتها إذا ما وُجدت في بلد آخر، لكن يجب اتباع الخطوات التالية:

1- تقديم الطلب من خلال القنوات الدبلوماسية.

2- توثيق القطعة الأثرية كجزء من قائمة جرد المؤسسة.

3- التعهّد بدفع تعويض منصف لأي مالك في حال شرائه القطعة عن حسن نيّة أو في حال حمله لقباً معتمداً وفقاً للقانون الوطني.

4- توفير جميع الأدلة الداعمة لمطالبتها بالاستعادة.

لم يستطع لبنان الاستفادة من اتفاقية 1970 كحال العديد من الدول التي استُعمرت، لأن الأمر يشمل القطع التي سبق جردها، في الوقت الذي هُرّبت ممتلكات لبنان الثقافية من خلال تنقيبات غير شرعية جرت في زمن الاستعمار، فضلاً عن أن إقناع دولة ذات نفوذ بإرجاع قطعة أصبحت تعدّها «من تراثها» ليس سهلاً. يُذكر أنه كان للجانب اللبناني عدة محاولات لاستعادة شيء من القطع، منها الموجودة في إسطنبول، مرتكزاً على القانون الدولي للإرث الوطني، وجاء الرد من جانب الدولة التركية، بأن القطع اكتُشفت عندما كانت صيدون ولاية عثمانية، فلا تُعدّ بذلك «لبنانية» بل «تركية».

وحتى بعد طلب اليونسكو من المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (UNIDROIT) وإصدار اتفاقية عام 1995 لدراسة مسائل القانون الخاص وسدّ الثغرات التي لم تتناولها بشكل مباشر اتفاقية 1970، والتي نصّت على أن القطع المأخوذة من تنقيبات غير شرعية في زمن الاحتلال هي قطع مسروقة أيضاً ويجب إعادتها. لكن، لم يوقّع على هذه الاتفاقية إلا عدد قليل من الدول، وتمنّعت بريطانيا وفرنسا من المصادقة عليها.

إلا أنه، يظهر أخيراً توجه جديد في فرنسا لإعادة الممتلكات الثقافية إلى شعوبها مع مساعي الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في محاولته «توطيد» العلاقات مع أفريقيا. فقد توجّهت وزيرة الثقافة الفرنسية ريما عبد الملك إلى البرلمان الفرنسي في مطلع السنة الحالية باقتراح تعديل ثلاثة قوانين تشمل خطوة إعادة فرنسا لبعض القطع الأثرية من متاحفها إلى الدول الأصلية، مع إلغاء الحاجة إلى التصويت على إعادة القطع في البرلمان الفرنسي كما هو حالياً من أجل «تسريع العملية»، فهل يكون للبنان نصيب من ذلك إذا ما تمّت المصادقة على القوانين؟

الإسرائيليون نهبوا آثار الجنوب

عام 1948، أثناء الحرب العربية الإسرائيلية، سمّى «الإسرائيليون» إحدى العمليات العسكرية التي شنّوها على منطقة الجليل بـ«عملية حيرام»، قاصدين الإشارة إلى ملك صور، الذي يعدّه الكيان أحد «رموز التوراة» لما له من «علاقات صداقة مع داوُد وسليمان». أما عام 1978، فقد كان قبر حيرام نفسه، الموجود في مدينة صور، هدفاً لقوات الاحتلال، إذ يشاع أن جنود الاحتلال قاموا بالاستعانة بمنقّبي الآثار «الإسرائيليين» ونهبوا ثروات المكان، ثم عادوا في عام 1983 ليجعلوه مقراً عسكرياً لهم. فاستقروا في الملعب الروماني في مدينة صور وأخذوا منه قطعاً بيزنطية، بحسب ما تشير إليه المديرية العامة للآثار اللبنانية التي اكتشفت تفريغ مبان أثرية بالكامل من كنوزها، وهذا ما تداولته صحف لبنانية عام 2006. واللافت أن المصادر في ما يتعلق بتعديات العدو الإسرائيلي على الآثار في جنوب لبنان شحيحة، ما ينذر بعمليات توثيق ضعيفة في هذا الشأن، فالثروات الثقافية لا تقلّ أهمية عن الموارد الأخرى التي ترتبط بسيادة الدولة، بخاصة أن هناك متاحف «إسرائيلية»، منها متحف في القدس المحتلة، يضم عدداً من أثريات عربية غير معلن عن أصلها، فما احتمال أن تضم تلك المتاحف جزءاً من ثروات لبنان الثقافية؟

القانون اللبناني: تنظيم المتاحف من البديهيات

أوكل القانون اللبناني تنظيم عمل المتاحف إلى مجلس الهيئة العامة للمتاحف عبر المرسوم الرقم 3050، إلا أن للبعض مآخذ في هذا الشأن، لجهة عدم التطرق إلى قطاع المتاحف في قانون منفصل. فلهذا القطاع «أهمية خاصة وتعقيدات»، إذ سبق أن فُتحت ملفات قضائية «كبيرة» كان أحد أهم أسبابها أن إنشاء متحف في لبنان لا يحتاج إلى رخصة رسمية. «أي شخص يمتلك مجموعة خاصة يمكنه فتح متحف» تقول عبود، التي تعتقد أن في الأمر عشوائية تؤدي إلى المزيد من «التهريب والسرقات» وأن هذا الأمر كان بوابة «للمزيد من الفوضى» في ظل غياب جردة بالقطع الموجودة في المتاحف. وتؤكد الوسيطة الثقافية التي عملت في المتاحف لأكثر من 10 سنوات أنه «لا يوجد في بعض المتاحف الجامعية جردة بالقطع الموجودة فيها»، وتسأل: «هل تعرف الدولة اللبنانية تفاصيل ما هو موجود في هذا المتحف الجامعي أو في ذاك؟». الأمر الذي قد يعرضها لخطر السرقة ويصعب إثبات «لبنانيّتها» إذا ما هُرّبت إلى الخارج من قبل الجماعات «الإرهابية».

بعض المتاحف الأثرية الموجودة في لبنان:

- المتحف الوطني اللبناني في بيروت.
- المتحف الأثري في الجامعة الأميركية في بيروت.
- متحف ما قبل التاريخ اللبناني في جامعة القديس يوسف في بيروت.
- متحف صيدا الأثري.
- متحف موقع جبيل الأثري.
- متحف موقع بعلبك الأثري.
- متحف موقع بيت الدين.

لا شكّ أن مسار استعادة القطع الأثرية المهرّبة والمسروقة في المتاحف الأجنبية، إضافة إلى محاسبة العدو الإسرائيلي على الانتهاكات التي قام بها في جنوب لبنان، طويل ويتطلب تضافر جهود قانونية وأمنية كبيرة. ربما من الصعب على لبنان حالياً فتح الملفات «القديمة»، إلا أنه يفترض القيام ببعض الخطوات الإصلاحية، كفرض رقابة كبرى على المتاحف اللبنانية، ووضع ما هو ملك للبنانيين «أمامهم» بجرأة وشفافية.

تابوت إشمونازار الثاني - في متحف اللوفر، فرنسا

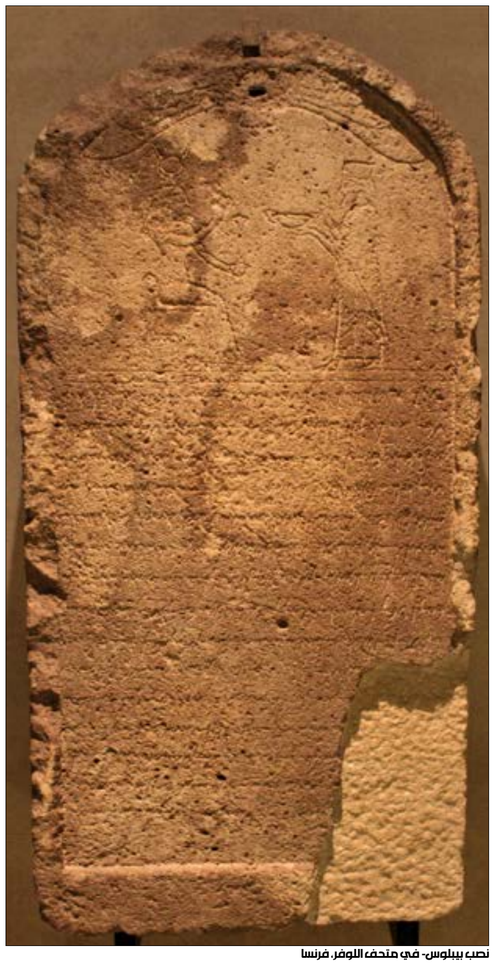

نصب بيبلوس- في متحف اللوفر، فرنسا

«ممتلكات» أو «بضائع» ثقافية؟

تختلف الإشارة إلى الأثريات مع اختلاف الفلسفات التي تحيط بها، إذ يعتقد البعض أنها مورد للبلد الأم ولذلك فهي «مُلك» ثقافي، أما البعض الآخر فيدافع عن كون الثقافة «تشاركاً غير محدود»، بحجة أن للبشرية تاريخاً واحداً لذلك فهي «بضائع ثقافية». ومن هنا يبدأ النقاش حول حق الشعوب الأصلية باستعادة الأثريات من عدمه تحت منطق «هل يهم إن كانت هذه المنتجات الفنيقية مثلاً في فرنسا أو في هولندا لا في البلد الذي نشأت فيه طالما أن الثقافة للجميع؟». لذلك يمكن القول إن اختلاف التسميات هو اختلاف في تشريع العودة الذي يكون طيّ الاستعمار المهيمن والانتقائي في تحديد من له الحق في السيادة.

بعض الاتفاقيات التي وقّعها لبنان لحماية الأثريات:

- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي الصادرة بتاريخ: 1972/11/23، التي انضمّ إليها لبنان بموجب القانون الرقم 1982/30.
- اتفاقية اليونسكو لحماية الآثار لمنع تصدير واستيراد ونقل الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة الصادرة عام 1970، التي انضمّ إليها لبنان بموجب القانون الرقم 1990/21.
- اتفاقية حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه الصادرة عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة بتاريخ: 2001/11/2، التي انضمّ إليها لبنان بموجب القانون الرقم 2006/722.

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com